

محمود عوض



مصرى.. بمليون دولار!

أولى تسجيلات الحياة: المصريون المهاجرون في إسبانيا وأمريكا

محمود عوض

مصرى.. بجايون ديولار !

جميع الحقوق محفوظة المؤلف

مكتبة الانجلو المصرية

مقدمة

لو قدر لي أن أكتب هذا الكتاب منذ مائة وخمسين سنة فقط
لكان يجب أن يكون عنوانه : « الدفع للذين في شرح أحوال الساكنين
من المصريين ، الذين يعيشون في بلاد الفرنج والأمريكين ، لصفحة
أبدا . » فهذا مائة وخمسين سنة فقط كان لي شخص يعنى البحر
ويركب البر والبحر يعتبر مهاجرا . مناسيا وليس مهاجرا ، انه
حتى - لم يكن يعتبر مسافرا ، ولا مغتربا . كان يعتبر ..
مهاجرا .

منذ مائة وخمسين سنة كان المصري اذا ترك بيت أسرته يسكن
في التسارع للجبال يعتبر .. مغتربا .. اذا ترك القرية وسافر
الى القاهرة فهو .. مهاجر .. اذا ترك القاهرة وسافر الى لندن
او مرسيليا فهو مغترب . ضائع . سافر الى بلاد الفرنجة . انه
مسكين انسان يستحق الرحمة . الشفقة . الرحمة . العزة . انه
جائر في بلاد العمالة . انسان في دنيا من الاتساع والظلم
هل تريد مثلا ؟ حسنا .

منذ مائة وخمسين سنة سافر وفاعة الفيلسوفى - مصرى - الى
باريس . انه يسجل في كتابه « تحليل الاربع في تحليل
باريز » انطباعاته عن حياة الفرنسيين انه يقول : « معلوم ان
الفرنسيون يتكلمون بالفرنسية . طبعاً . ولكنه بعد ذلك منبر
لأنهم يستمعون عربات لرش الشوارع باليه . منبر لأنهم
يجلسون على كرسي ولا يجلسون على الأرض . منبر لأنهم يحون
الانفلة ، مع أنهم ليس عندهم » .. ذرة من الإيمان « منبر لأنهم
لا يكونوا بأيديهم ، وإنما يستمعون شوكه وسكيناً . منبر لأنهم
ينصتون على .. شئ مرتفع يسمى سرير . » منبر لأن الفلاسفة
عندهم » .. ليست مجتمعا كالمغريش ، بل هي مجتمع لا يربط

الخشبة ، • منبر لأن لديهم • • تذاكر يومية مسجلة جرنالات
جمع جرنال • • ماثون فيها لسائر أهل فرنسا أن تقول ما يخطر
أفها • •

مالا حدث بعد مائة وخمسين سنة ؟ مالا الآن ؟
إن الصورة تغيرت تماما • تغيرت جدا •
عند عدة سنوات سافرت إلى نيويورك • أمريكا • ومونتريال •
كندا • وفي كل مرة كنت أسمع في اللدبتين هذه الكلمات : يونجور
• • جوتين تاج • • جود مورتنج • • يونجورنو • • يونوس ديلس
• • هالو • • جونا • • لوهايو • •

كلمات كثيرة بالفرنسية والكناية والانجليزية والاطالية
والاسبانية والهولندية والامريكية واليابانية
كلمات كثيرة • ولكنها كلها تعني كلمة واحدة عربية صباح
الحق •

الآن تستطيع أن تسمع • صباح الحق • هذه • بلنتها العربية
هذه • • في تلك البلاد • • الآن سوف ترى مصريين هناك •
مهاجرين هناك • ناجحين هناك • فلما بقدم • • مع كل الجنسيات
التي سبقتهم بالهجرة إلى تلك البلاد •

انني كنت اتقي بهم يوما • على هذه الاشهر الاربعة التي
قضيتها في كندا وأمريكا • كنت أراهم في العمل • • في البيت
في خارج البيت • • وحدهم أو مع زوجاتهم • • وفي كل مرة كنت
اتقي بهم كان السؤال الذي يتود في ذهني دائما :

هل هؤلاء المصريون يختلفون كثيرا في الطباعاتهم عن ولادة
راحم الطهطاوي • الذي سافر كمبعوث وليس مهاجرا • منذ ١٥٠
سنة ؟

القول الحق • •

انهم يختلفون • • ولا يختلفون •

إن الفارق مازال هناك • ولكن الانبهار بتلك الدنيا الاخرى
خارج الحدود أصبح مجرد دهشة • شعور بالدهشة • • وربما
يخص به المصري لغة خمس دقائق • بالكثير خمسة أيام • ليس
هذا هو المهم • إن المهم هو أن المصري يحصل تلك الاجتماعات

الفرصة عليه كرجل يستطيع أن يتعامل معها . أنه ليس طغلا .
 أنه لا يحمو . أنه لا ينهر . أنه - الحقيقة - قد ينهزم مرة ،
 ومرتين .. سوف تعرف لماذا .. ولكنه في النهاية ينجح . أنه
 إنسان متعصب ، مثقف . كل ما يريد هو الفرصة المتساوية للبدء
 في السباق بغير سلاسل . الباقى عليه . الباقى مسئولية .
 أمته الفرصة ، وسوف يهزم هو . سوف يدهشك هو بما
 يستطيع أن يفعله .

أناك ربما تقرأ في هذا الكتاب عن مصريين سافروا - هاجروا -
 بلا شيء في جيوبهم . لا شيء يذكر . لا شيء حتى في عقولهم ..
 سوى مجرد حلم . أمنية . أمل . تجربة . مسألة لو حسبتها
 بالقيم والمسطرة فسوف تحكم عليهم مقدما بالفشل . ولكنهم لم
 يفشلوا . لقد نجحوا . وعندما نجحوا كان نجاحهم أكثر مما تولدوه
 هم - حتى هم - لأنفسهم .

وربما تقرأ في هذا الكتاب عن فتيات مصريات - ربما امرأتين
 أو ثلاث - هاجرن بغير رجل يشق لهن الطريق .. ولا تكف يداهن
 قولها النوع .. ثم نجحن .

وربما تقرأ في هذا الكتاب عن استاذ جامعة مصري قل يدوس
 ٢٩ سنة لكي يحصل على الدكتوراه وعندما حصل عليها كانت كل
 الوظيفة التي حصل عليها هي .. صبي بقال .. أنه لم يشعر
 باليأس ، بالشفقة ، بالارادة بالهزيمة . لقد شعر بكل الرضا في
 العالم . لهذا تحققت له بعد ذلك - بعد ذلك فقط - كل الاحلام
 التي يريدنا

أكثر من ذلك .. ربما تقرأ في هذا الكتاب عن معلم ابن بلد .
 رجل بجلباب وطايلة وصديري وقبض . أسف . لم يكن في
 قميصه قبضات . لم يكن لديه دولار واحد يشتري منه قبضاة .
 لم هاجر هذا الرجل .. ربما لم يكن يقصد ذلك . ربما لم يكن
 يعرف . ربما لم يكن يتفيل . ولكنه هاجر على أي حال . هاجر
 بغير كلمة واحدة يعرفها من اللغة العربية الفصحى - فما بالك
 باللغة الانجليزية .. ثم .. نجح هذا الرجل في أن يصبح ..
 نصف مليون .

و .. و .. و .. عشرات من القصص ومئات من النماذج التي
 لم تتفيل أنت - مثلكا لم تفعلها - انها يمكن أن تخلق هذا النجاح

في بلاد تقع في النصف الآخر من الدنيا . انهم حقايق . ليسوا مجرد اشاعات .

ولكن .. قبل ان تعرف على هذه النماذج - وبعد ان تعرف على بعضها - ربما تعرف على اشياء اخرى اكثر غرابة في هذا الكتاب .

ربما تقرأ مثلا عن مجتمعات لها قيم مختلفة ومبادئ مختلفة، في النظر الى الأمور . هنا أرجو ان أتبعك الى نقطة هامة . هذه هي : اذا قرأت في هذا الكتاب من ناس يصدقون الله كل يوم احد ويصدقون النفود كل دقيقة .. اذا سمعت في هذا الكتاب من امرأة تمارس الحب مع رجل وزوجته في سرير واحد .. اذا قرأت عن فتاة تريد ان ترفض معك قبل ان تأكل معها .. فأرجو .. لا تصدر أحكاما أخلاقية ضدهم . لا تستنكر . لا تستغفر الله وتضرب كفا بكف متحصرا على الأخلاق التي فسدت والانحلال الذي نشأ . أرجو .. لا تنصر . منذ ألف سنة ونحن نتنصر . لقد أردت هؤلاء الناس - وباشياء أخرى في الكتاب - ان اقدم لك اطارا عاما لأفكار المجتمعات التي يعيش فيها المصريون المهاجرون . انه إطار عام .. نظرة طيبة .. ميكروسكوب .. يكمل لك فجوة في الحديث عن المصريين المهاجرين بأمريكا وكندا . انهم نجحوا - بل نجحوا جدا - بناء على تلك الشروط التي وضعت قبل وصولهم . بناء على تلك الأفكار التي استقرت قبل هجرتهم . هنا معناه ان مهمتهم كانت صعبة . وهذا معناه ان جهنم كان مضافا . ولذا كان كل واحد منهم قد صنع لنفسه ألف دولار .. عشرة آلاف .. مائة ألف دولار .. فان نجاحهم في حد ذاته - مجرد نجاحهم - هو الشيء الذي يستحق مليون دولار .

عزيزي القارئ ..

الضم لك في هذا الكتاب مصريين مهاجرين . مصريين بطيئون دولار .. بشيرين مليون دولار .. بخمسين مليون دولار .. باكثر من خمسين . التي ستتركك معهم غصص دقائق في الفصل الأول .. ثم نلتقي من جديد في الفصل الثاني . دعنا نسرع اليهم الآن . تعياني ..

محمود عوض

برات هياتي فتي من الخمسين !

ثلاث حكايات يرويها المهاجرون



الحكاية الاولى :

« اسمي مصطفى .. »

ليس من المفيد أن أقول لك أن اسمي كمالا هو : مصطفى مزام ،
 لأن هذا لن يبعثك ترفتي أكثر . في الواقع لأحد يعرفني في مصر
 الآن إلا حفنة أصدقاء ربما يكونون ما زالوا في الاسكندرية . حيث
 عملت فترة ، أو زملاء الطقولة بالنصورة .. التي ولدت بها . أن
 النصورة هي مدينة الطقولة والجمال والكورنيش والحوار والليل
 .. أن كل ميلان في النصورة ، كل شارع ، كل حارة . تقدر إلى
 قلبي الآن فوراً بمجرد أن ذكرت لك اسم « النصورة » . انها
 مدينة لا يمكن أن ينساها أحد .. الست من في ذلك !

أنتي أحب الصورة ، أحبها ، ولكن الحساسة تقذف بالإنسان دائماً الى حيث لا يتوقع . هذا - على الأقل - ملاحظ معي عندما اضطرت .. بحكم القداسة .. أن التحق بكلية التجارة في جامعة الاسكندرية . أنت تطلب مني الدقة ؟ حسناً .

كنت طالبا شعبة المحاسبة بتجارة الاسكندرية ، الى أن تخرجت فيها في سنة ١٩٦٢ ، حملنا البكالوريوس في يدي اليسرى .. ولا شيء تملأنا في يدي اليمنى . لاشيء سوى بعض قصاصات الصحف التي تتضمن إعلانات الوظائف الخالية بالشركات والمؤسسات العامة . لأنهم أسماء الشركات ، فكل الوظائف مضمونها واحد بالنسبة لخريج الجامعة . أنت تعرف العشرين جنيتها . حسناً . عندما عينت في بنك الاستيراد والتصدير المصري كنت أحصل على هذه العشرين جنيتها كل شهر . ثم تكن عشرين بالاضبط ، ولكنها كانت ١٧ جنيتها و ١٢ قرشا و ١١ مليما .

كيف أرفع هذا المربأ ؟

هذا أول سؤال فكرت فيه . أنت تعرف أن شيئا في هذه الأيام لا يستطيع الحياة بسبعة عشر جنيتها . ولكنك لا تعرف أنني كنت طموحا جدا . كنت أريد أن تصبح السبعة عشر جنيتها ففريقين ، خمسين ، مائة ! ولماذا لا .. ؟ أن الأحلام هي الشيء الوحيد الذي لا يخفض لوائح الشركات والبنوك ..

وبدأت أبحث عن حل . فكرت في أن أدرس الماجستير . ولكن اللوائح تقول أنه لا بد من الانتظار سنة بعد التخرج لكي يتم تسجيلي في دراسات الماجستير . ثم هناك بعد ذلك ماهو أهم : كم جنيتها سيدينها الماجستير الى مرتبي ؟ جنيتها ؟ ثلاثة ؟ الكثير ثلاثة .

اذن .. ماهو الحل ؟

هناك حاول كثيرة . ولكن حلا واحدا منها سيطر على افكاري : الهجرة . ولماذا لا ؟ ألم أقل لك من قبل أنني متوجعان أسلم كثيرا ؟ أن الهجرة كانت بالنسبة لي حلما . أكثر من حلم . كانت مغامرة وقررت أن أقوم بهذه المغامرة : إذا نجحت فهو خير .. إذا لم تنجح فالعودة ممكنة الى السبعة عشر جنيتها .

عند هذه النقطة بدأت أفكر : الهجرة .. الى أين ؟ الى استراليا أنها بلاد بعيدة جدا ؟ ولا تعرف منها شيئا كثيرا . الى أمريكا ؟ اننا نعرف منها الكثير ليس مشجعا . الى كندا ؟ ممكن أن كندا هي أوروبا زائد أمريكا .

ثم .. سافرت الى كندا !

منعما وصلت الى مطار مونتريل كان اليوم هو يوم خميس .
بالضبط كان يوم ٢٠ ابريل سنة ١٩٦٤ .

اذن .. هذه هي كندا !!! . ليست هذه هي كندا بعد .
التي ما زلت في مطار مونتريل بكندا . من المطار لا تستطيع ان ترى
كندا بعد . تستطيع ان ترى فقط اجارات الجوارات والهجرة
ان الطائرة التي حملتني كانت تحمل مئى مهاجرين اخرين قادمين
من بلاد مديفة الى كندا . وبعد ان فحصوا اوراق كل واحد من
هؤلاء .. حدثت مئى اول مفاجاة .. لقد قالوا لى ان الشهادة
الطبية التي احملها لا تصلح ، وانه لايد من اجراء كشف طبي جديد
على قبل ان يسمح لى بالدخول . موافق . بمسد هذا الاجراء
اصبحت احصل تأشيرة الدخول الى كندا كمهاجر .

وتكثنى في الواقع بقيت في المطار انتظر اول طائرة تنجه الى مدينة
تورنتو . السبب ؟ ان منسوب الهجرة في سفارة كندا بالقاهرة كان
قد سالتى قبل سفرى من المدينة التي اود الاستقرار بها عند
هجرنى الى كندا . وقتها ذكرت له اربع مسكن : كوبك سبى ،
مونتريل ، اولوا ، وتورنتو . لقد حددت لك المسكن على انظر
انها تسمى مع الفتيان الذين اجهدهما : الفرنسية والانجليزية .
سألتهما قال لى منسوب الهجرة انه ينحصر بالاتجاه اولا الى مدينة
تورنتو ، لان اقتصادها في حالة انتماش واستقرار . حسنا . انا
الان اتجه بالطائرة الى تورنتو .

هل تعلم كم كان مئى منعما وصلت الى مطار تورنتو في تلك
الليلة ؟

كان مئى عشرة دولارات . اى والله . عشرة دولارات فقط ،
كانت مئى كل ثروتى التي هبطت بها في تورنتو . لقد خرجت من
مطار القاهرة ومئى اربعمون دولارا فقط . الان سمعت ان المهاجر
يحصل على اضعاف هذا المبلغ عند خروجه . المهم ، انه حتى تلك
الدولارات الاربعين ، لم تستمر في جيبي حتى كندا . لقد انقفت
منها للاثين دولارا في المطارات الاوربية التي هبطت فيها الطائرة
قبل وصولى الى كندا .

والان .. انا امام اول مشكلة . هذه هي كندا : بلد لا اعرف
فيه شيئا ولا احدا . هنا هو جيبي : لايعتضن من النقود سوى
الدولارات العشرة . لا يعتضن حتى عقد عمل ، او وعلا بعمل .
لهذا كان جيبي هو اول جزء في ملايى بحس يبرد كندا . ان مشرة

دولارات لا تكفي أبدا لخلق الاحساس بالثروة ، لو الراحة ، أو الطمأنينة :

ولكن .. ألم أقل لك من البداية أنها كانت بالنسبة لي مغامرة ؟
 انني لرايك الآن تعرضي لرايك تحفظ على كلمة « مغامرة » هذه .
 تقول ان هناك فرقا كبيرا بين المغامرة والمجازفة . وان ما قمت به
 انا هو اقرب الى المجازفة منه الى المغامرة . موافق . ولكنني في
 الواقع لم أجازف . بيني وبينك انا كنت معك نفسيا لتقبل كل
 شيء . أسوأ شيء . لقد سافرت على اساس اني سأعطى لنفسى
 مهلة سنة . في هذه السنة انقضى مع نفسى على ان اقبل اى شيء ،
 وارضى بأية ظروف . لم يكن عندي مانع من ان اكنس ، افسل
 اطباق ، لأعمل سائقا ، أعمل حمالا ، فراشا ، ماسح احذية .. اى
 شيء . لم يكن لدى أية توقعات .

لقد غررت مع نفسى ان الواقع أسوأ الطول الممكنة ، اسوأ
 الظروف الممكنة . اننى - حتى - لم أحمل معي تذكرة مودة من
 كندا ، لكن ارفع نفسى على اختبار قدرتي على التحمل والمعاناة
 لمدة سنة . كل شيء - بعد الجوع - كنت مستعيا لتقبله . بل رضى
 الجوع كنت مستعيا لمواجهة . اننى اعرف ان هذا هو الشرط
 المهم عندما ينتقل الانسان الى حياة جديدة وظروف جديدة . لم
 اكن الواقع مساعدة من احد ، ولا حتى مجرد نصيحة . لم اكن
 الواقع ان احدى همومي لاحد .. انا وحيدى .. ضد ظروف لا أعلم
 عنها شيئا بعد . كل ما أعلمه الآن شيئا واحدا : اننى مزلت في مطر
 تورنتو . مازال في جيبى عشرة دولارات . ما زال على ان ابحت من
 طريقة للتصرف . هذه هي : ذهبت الى ضابط الهجرة في المطار
 وسألته - ما هي المساعدات الممكنة التي يستطيع تقديمها المهاجر
 جديد مثلى مهاجر يعرف قليلا ويملك اقل ؟

وقال لي ضابط الهجرة : اطلب - خذ هذه التذكرة - اتجه بها
 الى فندق « فور » في المدينة ، وسوف يحسبون لك الايلة الواحدة
 بدولارين فقط . الى ان تتوجه في الصباح الى ادارة الهجرة في
 تورنتو .

- جميل .. ولكن .. كيف لأذهب عن المطار الى « فندق فور » ؟
 رد الضابط : بالتاكسي ..
 - كم يتكلف التاكسي .. تقريبا ؟
 - ثمانية دولارات ..

— ثمانية دولارات ؟ ان كل ما ملكه في جيبي هو عشرة دولارات .
عني ذلك انه بعد دفع اجرة التاكسي لن يبق لي سوى اجر التاكسي
ليلة واحدة ٢٠٠

ها لم يسطع الضابط ان يرد . كنت دهشة اكبر من اي
كلمات يمكن ان تخرج من فمه . لقد اصاب هذا الضابط على استعمال
مئات المهاجرين كل يوم . واعتاد على ان يرى عشرات من هؤلاء المئات
في حالة يرثى لها . ولكنه لم ير ابداً — هكذا بقا عليه — مهاجراً
قادماً بمجرد عشرة دولارات في جيبه . هذه حالة يستحق الرثاء
تستحق الرثاء . يستحق القتل . عشرة دولارات ٢٠٠ عشرة ٢٠٠
دولارات ؟ حشر . . 1

ان الضابط لم يملك لحظات عديدة تالية — سوى ان يعبر عن
دهشة ، لم يبد من علامات خزي . كثير على وجهه — بمثابة لمشاعري —
ولكنني بالتأكيد كنت احسها . كنت اتوقعها . انه لم يملك — بعد
لحظات اخرى سوى ان يقول لي : انتظر .

ودخل الضابط الى المكتب لينشاور مع رئيسه في هذه المشكلة
الفريدة . لحظات قليلة اخرى ، ثم عاد الى بنسفاكر جديدة بدلا من
التذاكر الاولى .

قال لي الضابط : اعطه التذاكر الاولى من فضلك . انما لا تصنع
في مثل حالتك . حد هذه التذاكر الجديدة بدلا منها . توجه الى نفس
الفتى . بهذه التذاكر يستطيع ان تبيت وتاكل في الفندق مجانا .
الوحدة التي لاكتناولها في الفندق تستطيع ان تحصل من الفتى على
نفسها — دولار ونصف . اما امر التاكسي فلا يستطيع التصرف لك
فيه . لا بد ان تدفعه انت .

ولم اكن محتاحا الى هذه الجملة الاخيرة من الضابط . طبعا
سأدفع أنا اجر التاكسي . لقد قدم لي الضابط اقمي مساعدة مسكنة
بروح من الفهم والتقدير . . لم اكن اتوقعها ، فعد كل شيء .
هذه مشككتي أنا . . وليست مشككتي هو .

× × ×

المهم . . وصلت الى الفندق . قبيد ان تحصلت الدولارات في جيبي
من عشرة الى مجرد دولارين . مشكلة لا بد ان اواجهها اتسدا من
الصباح التالي .

في الصباح كنت اول من توجه الى مكتب الهجرة في نورنتو .
طبعا كنت هناك من الفجر . نريد مني التوصل هنا ؟ حسنا . مكتب

الهجرة هذا هو مكتب ضخم . يختص بكل ما يتعلق بالهجرة والمهاجرين .
 . . ان به نسما خاصا بتسهيل المهاجرين الجدد . عندما تتوجه الى
 الى هذا القسم يصفون لك رقما . وموظفيا لتسجيل بياناتك .
 يسمى صبط الاستعلام . انه يصح لك ملقا خاصا بك . من الآن
 فصاعدا . سوف تسجل في هذا الملف كل بياناتك أولا بأول .
 (المخلات ، انصره ، السن (كتب سبي يومها امل من ٢٤ سنة)
 البلد الاصل . الحالة الاجتماعية . تاريخ الوصول . نوع العمل
 المربوب فيه . . . وهكذا . . بعد ذلك يطول وشاكت الى كيفية الحصول
 على مسكن . في نفس الوقت يطيلك ساعة مالية حسب تقديره
 لمالكك المبدئية . في حالتي انا اعطاني عشرين دولارا . ثم - الخطوة
 الهامة - هي البحث عن عمل . عند هذا الحد لسبك الضابط باحدى
 يديه مجموعة من اعلانات الوظائف المالية بالصحف ، وباليد
 الاخرى دليل التليفونات انه يتصل بليونيريا بكل شركة يمكن ان
 لتأسيسها مؤهلاتي وجبرتي وسني ، في النهاية اعطاني عنوان شركة
 تريد محاسب تكاليف ، وقال لي توجه الى هذه الشركة . اهتم
 سيجرون لك اختبارا شعريا لقياس مدى صلاحيتك للوظيفة التي
 يبحثون عن موظف لها . اذا لم توفق . . عند الباسم اخرى .
 وبسرعة البرق . توجهت الى تلك الشركة . وبعد ان اجريت
 الاختبار قالوا لي ستعمل اليك الرد على عنوانك بالفندق .
 ولم اتسع . في الواقع لم اكن اريد ان انتظر . . لارملت ثلاث ايام
 ليس لدى يوم واحد انفسه . لبست لدي ساعة . دقيقة . ثانية .
 . . يمكن ان اصبحا في غير المهمة الاولى المتاحة جدا البحث عن
 عمل .

لقد برزت في الشركة واشترت حريته لأبحث فيها بنفسي هي
 اعلانات الوظائف المالية بالشركات . وحتى من غير هذه الاعلانات
 بدأت اقرأ اللافعات في التسوق ، وادخل الى مراكز الشركات
 مركزا مركزا وشركة شركة . . لكي أبحث عن عمل . . لم اوفى
 الا بربات اراحم بصبي اتيتعت اخذ دولارين معي على التواصلات
 والصحف . لم يبق معي غير العشرين دولارا التي تسلستها في الصباح
 من ضابط الهجرة . ان كل شركة اتوجه اليها . . تصالني عن عنواني
 لكي يرسلوا الى عندما يحتاجوني . . . الخطوة الاولى بعد توجه
 الطعام - هي البحث عن مسكن أستقر فيه .

ومن الفندق بدأت ابدأ عن اوجس مسكني ممكن . وقبل ان يقترب
 النهار من نهايته عثرت عليه . حجرة صغيرة جدا ، صاحبها مسيلة

يجوز من أصل مجرى • كم تريدني يا سيدتي إيطارا لهذه المجرة ؟
- ١٥ دولارا في الأسبوع •

- لا • لا • • • • • هذا سعر عرقي للثاية • تكفي عشرة دولارات •
ومن السيفة المجرة: اسمح • • انتي لم أتعود هذه المساومة أبدا •
ومع ذلك ، تفصل • • المجرة لك • بعشرة دولارات !

وعلى الفور نقلت حباتي الى المجرة الحديدية بعد ان امطيت للسيفة
عشرة دولارات • الاي لم يعد مني سوى عشرة دولارات أخرى • ان
هذه الدولارات لن تنام مني • فرائرا انك قد مني لاسرع للجوع في
الايام القليلة التالية • هذا ما اشترينته بها بالخط • • شتر لداكر
للمواصلات • دسة بيض ، وحاجة لبن كيرة ، خمسة لوزعة من
الحشر ، ثم • • لم يعد مني ولا طيلم • أقصد • • ولا كنت واحد ؟
لكي • • بعد ان توغر المسكن والطعام • • يستطيع الانسان ان ينام
مستريح البال حتى الصباح •

× × ×

ال صباح عدت الى ادارة الهجرة • من هناك ارسلوني الى شركة
أخرى • شركة اسمها • ديهانيلاند • لصناعة الطائرات • وعندما
وصلت قالوا لي • • هذا البناء • • لاجراء الاحضار •

مرة أخرى ، لم ألتصق • لقد خرجت من هذه الشركة لأواصل
البحث عن عمل في شركة أخرى • كل شركة • أي شركة • أي عمل
• • لا يهم • • معاشه • احصاء • ادلره لعمل • فصل اطلاق • •
لا يهم • •

هل تعلم كم شركة ذهبت اليها في أول ٣٦ ساعة في تورنتو ؟
٢٨ شركة • هل تعلم السؤال المشترك الذي كنت أسمعته في كل
شركة • • هذا هو • هل هناك حيرة كندية ؟

- • • • • • حيرة كندية • • ؟

- • • • • • هل لديك حيرة مشابهة في العمل بكندا ؟

- لا • • • • • طبعا !

- اني سوف ترد عليك بالبريد !

سؤال واحد كنت أسمعته ، احالة واحدة كنت اقولها ، ونسجعة
واحدة كنت أخرج بها • في كل حديث أخرته داخل قسم الاستخدام
بأي شركة • وحتى نهاية اليوم الثاني لي في تورنتو • لم تكن هناك
أية بشائر بانني سوف أحصل على عمل خلال فترة قريبة • كلهم
يصرون على حكاية • الحيرة الكندية • • • • • وأنا لا أملكها بعد •

ال « خيرة الكندية » . ان سوف « مرد عليك بالبريد » . أى -
لا عمل ٠٠ لا وظيفة ٠ لا طعام بعد يومين ٠ لا مسكن بعد خمسة
أيام ٠ لا حياة بعد اسبوع !

وفكرت ٠٠ لماذا لا أترك الشركات الكبيرة - وأبحث عن عمل في
أى مكان آخر لماذا لا أقوم مثلاً بعمل الطباق أو البضعة في أى
مطعم أو بار صغير ٠ ألم أنت مع ضي من طبخاية على أن أكون
مبعضاً لأسوأ ظروف ؟ هذه أسوأ ظروف عمل الطباق أو مسبح
أحدية ٠ لا بهم ٠٠ المهم الآن هو الحصول على مورد للحياة بسرعة ٠

ودخلت الى مطعم ٠ انه مطعم صغير ٠ قرأت اعلاناً في واجهته من
الخارج ، اعلاناً من حاجته الى شخص يقدم ليلاً ويوصل الطباق
مقابل أربعين دولاراً في الاسبوع ٠ أجر صغير جداً ٠ ولكنه في
النهاية أحسن من لا شئ ، أحسن من العدم - أنا الآن في حالة « عدم »
ودخلت الى المطعم لعرض القيام بهذه الوظيفة ٠ وظيفة غسل
الطباق ٠ ولكنني فوجئت بنفس السؤال من جديد

- هل عليك خبرة كندية ؟

- يقاس ! حتى غسل الطباق يحتاج الى « خبرة كندية » ؟
نعم ٠ هذا ما حدث ٠ لقد كنت أصور أن يواجهني أية مشكلة ،
الا هذه المشكلة - ما هو العمل لهذه المشكلة ٠٠ ما هو العمل ٠٠ ؟
هكذا تمت لبس القنينة وأنا أحس بسك عال يوجهني اسمه
« الخيرة الكندية » ؟ غفرت طاردي حتى في أحلامي تلك الليلة !
وفي كل مرة - داخل الخبز - كان المفريت يمد لي ببلايس مختلفة ،
بأشكال مختلفة ، بأحجام مختلفة ، ولكنه هو هو في كل مرة ٠٠
وكلماته هي هي في كل حلم أنا الخيرة الكندية !

في اليوم التالي ذهبت الى التجمع المقرر في شركة « ديهاليلاند »
للطائرات لاجراء اختيار القبول لوظيفة سحاسب تكاليف في قسم
صناعة الطائرات « دى - ٩ »

وبعد أن ناقشني المدير المختص في مؤهلاتي وخبرتي قال لي
- اننا سوف نرسل اليك الرد بالبريد ٠ ولكنني أؤكد لك من
الآن بمرحلة ٠٠ نحن لن نقبلتسبب عدم توافر شرط أساسى عليك
وهو « الخبرة الكندية »

ما هو المفريت ، الشبح ، يعود ثانية الى مطاردي ٠ ولكنني
تمكنت منى وأنا أقول للرجل - جهوه ولكن صيظ مكتوم
- سيدى ، أنتي احترام رايتك طبعاً ، ولكنني أطلب نصيحتك في

هذه المشكلة : انني لا أستطيع العمل في كتنا إلا لما كانت لي خبرة كندية . . ولكن . . من ناحية أخرى . . كيف أحصل على خبرة كندية . . دون أن أعمل في كتنا ؟ ثم . . نقطة أخرى لو سمحت - هل كانت هناك طريقة للحصول على هذه الخبرة الكندية في مصر . . قبل أن أحضر إلى كتنا ؟

بعد هذه النقطة بدأ الرجل يشعر بالمرح ، فالمشكلة تبدو لملا بلا حل البسيطة من الفرحة أم الفرحه من البهجة ولكنني استأنفت حديثي الهادي مع المدير الرقيق .

قلت : ما دمت ترى عملاً أنها مشكلة ، وأنه لا دسب لي في حلها المشكلة ، فاني أقدم لك برهان واحد . لماذا لا تطبق فرصة متساوية مع الذين لديهم خبرة كندية لماذا أثبت في الاعتبار أنني في مستواهم أو أحسن منهم ، حصلت على العمل . وإذا ثبت أن استفادتي للخبرة الكندية يقلل من كفاءتي ، حصل على العمل من هو أكفأ مني . أنها تجربة . . أرجو مخلصاً أن تحاولها . ولم يملك الرجل سوى أن يقول : هناك الحق .

وعل هذا الأساس سمح لي المدير بدخول امتحان المسابقة مع باقي المتقدمين لفضل هذه الوظيفة . كان الموضوع ثمانية ، وأنا تأسيهم . هل تعلم لماذا كانت النتيجة . . انني لم أكن التاسع ، ولا الثامن ، ولا حتى العاشر . لقد أصبحت أنا . . الأول . مع الأول على الثمانية ، كلهم لديهم « الخبرة الكندية » !

وبعد يومين استدعاني المدير ليخبرني لي بمرور الوظيفة لك . إن أي كلمات أقولها لك الآن لن تستطيع أن تشرح لك مشاهري في تلك الدقيقة . تلك اللحظة . انني ما زلت أذكر الساعة . الدقيقة التي قال لي فيها المدير تلك الكلمات الثلاث . ولا أستطيع أن أسي ذلك اليوم . كان يوم ثلاثاء . لو كنت في مكان ، لو كان نفس ذلك الشح - شبح الضراء الكندية - قد واحك مثلي ، فهل كنت أسي ذلك اليوم ؟ أنه بالنسبة لي هو اليوم الذي توقف فيه الشبح عن ملاحقتي ومطاردتي حتى في أحلامي . أنه أهم عندي من اليوم الذي استلمت فيه العمل عملاً . . يوم ١١ مايو سنة ١٩٦٤ . اليوم الذي بدأت فيه العمل مكتفا لأول مرة . في وظيفة مسطرب تكاليف : المرتب ٨٥ دولاراً في الأسبوع . هل تعلم لماذا حدث بعد ذلك ؟

في خلال سنة ونصف ارتفع مرتبي بهذه الشركة إلى ١٠٥ دولاراً أسبوعياً ، بالإضافة إلى أجرى من العمل الإضافي بالشركة ثلاث ليل

أسبوعياً ، مما جعل المرنين يصبح ١٢٠ دولاراً ، أي ٤٨٠ دولاراً في الشهر .

ولم يكن هذا هو كل ما أتت به بعد ، ولكنه كان يكفي لوجود درجة من الاستقرار في جاني ، عارضت إلي حصر استنعي خطيتي التي كنت قد سطتها قبل مسيرى . لقد نسيت أن أحدثك عن خطيتي . . . اليس كذلك ؟ لا يهم . إنها منتظر في هذا السياق . . . مملوئاً بالقدرة . أنها حاصلة على الثانوية العامة مرسى . وبعد أن حضرت والتهينا من عقد الفراغ ، استطاعت أن تحصل على عمل بستين دولاراً أسبوعياً .

ثم بدأت الحياة بعد ذلك سبب مما سببها الطبيعي . فتمت طلباً لجامعة تورنتو لدراسة الماجستير في الاقتصاد . بعد عدة شهور قبلتني الجامعة . ونظراً لأن دراسة الجامعة تحتاج إلى مخرج ، فقد حصلت من الحكومة على ألف دولار كمرس أدفع منه مصروفات الجامعة من مدة سنة (٥٥٠ دولاراً) ثم أسدده بعد الحصول على الماجستير مختصفاً على خمس سنوات .

وعندما وجدت أنني لم أستطيع الجمع بين العمل والدراسة ، استقلت من العمل . وتفرغت للماجستير . بالطبع لم يكن عروبي زوجتي يكفي للاتفاق عليا معي الإنسي ، فبحثت عن عمل بسيط يأخذ من ساعات أقل ومطبخاً آخر أقل طمعا . لقد وجدت هذا العمل في مطعم وباد ليبي بمطبخ لورسو لمدة ثلاث ليال فقط في الأسبوع - الجمعة والسبت والأحد . لقد كان هذا العمل عبارة عن مرثب لمطبخ نظير خمسين دولاراً في الأسبوع .

ورغم أنني انتهيت في آخر السنة من إعداد رسالة الماجستير ، إلا أنني كنت أريد تحقيق نتائج أكبر في وقت أقل . ألم أقل لك في قبل أن طوبحي أكبر مني . وأحلامي أكبر من طوبحي ، ومشروعاتي أكبر من أحلامي !

بم . هذه هي الحقيقة . فقل أن انتهى من الماجستير الأول في الاقتصاد . فتمت طلباً إلى جامعة يورك للحصول على منحة دراسية لتطهير الماجستير في إدارة الأعمال . قبلتني الجامعة - أعطيتني منحة ١٥٠٠ دولار . وقبل أن ينتهي شهر أبريل سنة ١٩٦٧ - كنت قد حصلت على الماجستير فعلاً .

إن الماجستير كان بالنسبة لي مجرد شهادة معلومات وخبرة ، في فرع يحتاج إليه المجتمع . إن كل شركة هنا تعتبر أن نجاحها يعتمد أولاً على نجاح تنظيمها وإدارتها . لهذا لم يكن فرساً أن أكتفى - بعد

الاجستير - شركة « نسو » للبترول ، كغيره في التنظيم والاقتصاد ، يرتب ٧٠٠ دولار في الشهر ، وخلال سنة واحدة ست ترقبني الى وظيفة رئيس مبيعات في التنظيم الاقتصادي بمنى الشركة وارتفع الربح منه المرة الى ٨٥٠ دولارا شهريا .

ان الترقبات هنا لا تتم بالانقصة ولا بالمجاملة ، ولا بالطاير ، ولا ببدء الاولاد لا شيء من هذا مطلقا . ان الشركة حبا - اى شركة - تتوقع منك ان سطيا لولا حوبا في العمل والانتاج ، قبل ان تعطيك في حلك في المكافاة او التقدم . وعندما يكون الانسان واثقا جديدا الى المجتمع الكندي - او حتى اى مجتمع آخر - فانه يحتاج الى ان يزر نفسه مرتين مرة كمرتب ، ومرة كمشخص عامل منتج . لهذا كنت احس دائما بأنه اذا كان المواطن الكندي يعمل مرة ، غلابد ان يعمل مرتين . الا كان عليه ان يكون كعضو مع سامع ، فيجب على ان يكون كعضو ٢٤ ساعة . ان الطموح كان دائما في الهجرة والكفالة في طريقى الى الطموح . لهذا لم يكن فرسا على بعد ذلك ان اثرلا العمل في شركة « نسو » ، لاني وجدت عملا يرتب اكبر لي شركة أخرى ، هي اكبر شركة للاطعمة حبا شركة اسمها « جنرال فودز » ان على المزيد الذي هو على الحال ، هو مستشار اقتصادى لفردسة التنظيم الممثل ومستشارات السوق

المرتب ١٤ الف دولار في السنة . ولكن دخل السنوى هو في الواقع اكثر من هذا . لاسى افوم سبى الاعمال المرة الى حاب على التابت هذا . فبعد حصولي على الاجستير في ادارة الاعمال افوم تقدم بيض الاستشارات لمص الشركات الصغيرة بعد وقت على الفصل من هذه الاستشارات احصل على دخل يفوق حوى رقم الخمسة آلاف دولار في السنة . ان هذا يعمل دخل السنوى الان ١٩ الف دولار . او اكثر قليلا من ١٥٠٠ دولار في الشهر . حل اقوى لك الحقيقة اى لمست مقتنعا بعد بهذه النتيجة . رغم اننى ضور بها اننى ما دلت مؤتمنا بان الحال ينتوج لىنى لأحقق نتائج احسن ودخلا اكبر . والا انه ياغارية ١١ آه . ان نادبة - روجنى - مشغولة الان مع انتاجها المشرقى طفتنا بيمين . لا . لا . ان صرحا صبره ثلاث سوات . والفصل في رعاتها يرجع الى أم روحنى ، صلاتى يبنى التى تقم معنا الان في جنرلا يفرورنو الحكاية ، هى . صلاتى تحبى . حب متبادل طبعها . والا ايه يا صلاتى ؟

✻ الحكاية الثانية :

● ● واسم ابتدائية :

أرجو ألا تنزعج عندما أقول لك فتي واسم ابتدائية ! نعم ، لا تنزعج ، لأن هذا ليس بمنسوخاً ما يمكن أن نقوله لك عن نفسي ، أن اسمي ليس " جابر كما قالوا لك ، اسمي الأول هو جلال ، نعم .. جلال محمود جابر .. وأنا مجرد الشخص الذي تراه أمامك الآن ، وهذا المحلل الفهم الذي تراه فيه .. أنا صاحبه ، ربما إلا عدت في مرة تالية فسوف تعمدني قد اشتريت المسارة كلها التي تقع فوق هذا المحلل ، أنتي سامعة ذلك ، لأنني أحب هذا الحي من مدينة لوتلوا ، من لوتلوا بالنسبة في ليست مجرد عاصمة لكندا ، أنها هي المكان الذي عشت فيه تلك الفترة المبكرة من حياتي ، مكان خلقت في فيه الثروة ، والخبرة ، والأسرة ، والاطمئنان ، ولكن .. هل أنت متأكد حقاً أنك تريد أن تقارني أنا .. رغم أنني سأقسط ابتدائية ؟ ورغم أنني جئت إلى هنا - إلى كندا - دون أن أعرف كلمة واحدة من اللغة الإنجليزية ، أو حتى الفرنسية ؟ ورغم أنني عملت هنا في البداية ساعياً ، وسالماً وحادياً ؟ هل أنت متأكد ؟ هل أنت ؟ يجوز ؟ .. إذن .. دعني أقول لك حكايتي من البداية .

أنا ياسيندي مولود في طره تليد - بالضبط مولود في ١٦ يونيو سنة ١٩٤٢ لحي ستة الأب والأم ، ثم أخ يصل في صبيح حلوان للمسيح ، وأحد أكبر مني ثم أخت أصغر .

عندما كنت في مصر من نجاحي في الابتدائية ، عملت حلاقاً ، سائق رجال أولاً ، ثم حريمي بعد ذلك . أنت تعرف طبعا ..

فلوس الحريم أكثر من فلوس الرجال !
لقد ظل عمل هو ، كوافير ، تل في قرأت إعلانا في حاجة وزارة الخارجية إلى شخص يشغل وظيفة (ساعي) في قسمانية الجمهورية العربية المتحدة بمدينة مونتريال ، بيني وبينك ، لم أكن في البداية أعرف ما هي مونتريال هذه ، كل ما كنت أعرفه هو أنها مدينة تقع في بلد اسمه كندا ، وأن كندا هذه هي بلاد بيليه ما حيا . بعد كثيراً من .. استولان !

أنهم .. أنهم قبلوني للعمل في تلك الوظيفة مسامحة ، وسافرت لملا إلى كندا في أواخر سنة ١٩٦٠ . مجرد شخص واسم في الابتدائية ، مرة ١٨ سنة ، حاول أن مسوغب كل هذه الدنيا

الحديقة التي وجد نفسه في وسطها . طبعاً كنت أعرف قلباً من
اللسنة الانجليزية . ياتوب . . فانك يو . . جود جودتج . . قشرب
فهوة آ لارم تشرب قهوة . .

في البداية ، لم تكن هناك مشكلة . من شخصاً مثل . بميل
ساعياً في الانفصالية المصرية يوننريال لاند فن تكون معظم تصالفة
اليومي مع مصريي مثله . أو عن طريق مصريي يتحدون لفته .
ولكن من ناحية أخرى - كان السبل في الانفصالية له متاعبه أيضاً
ففي كل يوم يحضر عشرات من المصريي ليقوموا بتحديد جوازات
سفرهم . أو استخراج جوازات جديدة . أو تجديدات ميلاد . أو
تسجيل قراري . وعندما يسبح الواحد منهم كلمة . تصال في
الاسبوع القادم . يكاد فقد أعصابه . طبعاً هذا . . فلف أ هي
الدنيا طارت أ يعني أبه لو تاحث الازراق اسبوع ؟ أو حتى
شهر ؟ خلاص ؟ الصبر انتهى أ الواحد كان يتعب في
الشرح لهم . طيب . . أقول لك ؟ الموضع كانوا يبتسروا جفا .
بعضوا الى عليهم . لكن - التعليمات . . تعليمات - التوالع .
لوائح أ لارم اللوائح . . لوائح أ لارم اللوائح والقوانين تنفسه
لاستخراج كل دولة . طيب . . انت بيمتلك . . لوائح على كسر
اللوائح والتعليمات ؟ طبعاً لا . .

على أي حال . أنا ظلمت في الانفصالية الى ان غلبت ساعياً
بالسفارة في أولادها الخاصة . بعد ان غرد الفلال الانفصالية في
حوضيها . ولكنني بعد فترة بدأت أفكر : أريد أن أستقر . أن
أفروج . أن أكسب . أن أجيء اللغتي الانجليزية والفرنسية . لقد
حصلت من قبل على برنامج في ودولة الخارجية بمصر لمدة ثلاثة
شهور لتعليم مايمكنني من الانجليزية والفرنسي . ولكنني هنا - في
كندا - بدأت بحكم التعامل مع الناس النقط الأكبر ما يمكن من
الكلمات وأحفظها . وحتى عندما كنت لأشاهد برامج التلفزيون ،
كنت أتابع الكلمات في الإعلام وأحفظها . شهر بعد شهر . سنة
بعد سنة . . الى أن أصبحت في سنة ١٩٦٨ أجيء التعامل
بالانجليزية . وقبيل من الفرنسية . ثم انني كنت قد سافرت الى
مصر في أواخر سنة ١٩٦٤ . أحارة فبت فيها بقدر قرأت على إحدى
قريباتي . بنت خالتي . وعندما وصلت وزوجتي الى هنا - الى
أوتوا - بدأت أحس فلتا انني رب أسرة . وعلى فكرة - ان زوجتي
جاءت الى هنا وهي أيضاً لا تعرف كلمة واحدة أجنبية . ولكنها
لحقيقة استطاعت أن تكبر أموراً مثلما استطعت أنا في النهاية

المهم ، انه عند هذا الحد قررت انه من الضروري ان اجرب حظي في العمل خارج السامرة . انت تعرف ان المرفأ هو السبب طبعا . كنت اري الناس تكسب الالاف كل يوم .. بينما مرتبي من السفارة مائة دولار في الشهر . لهذا قمت استقالتني في سنة ١٩٦٨ من العمل بالسفارة . وتحولت الى مهاجر بعد ان استكملت اوراقني عن مصر ثم كنتا .

و .. بدأت أبحث عن فرصتي داخل المجتمع الكندي .. في البداية عملت في مستشفى بأجر ٩٥ دولار في الأسبوع ، اى ٢٨٠ دولار في الشهر . بعد فترة عملت سائقا في سيارة الارحمتي هنا - في لوتاوا - ورغم اني كنت سائقا للسفر ، لا اني تركت هذا العمل بعد اسبوعين فقط . لقد اكتشفت انني اترك وظيفة ، لاعمل في وظيفة اخرى وان لثرتب مضمون كل شهر ، ولكنه ثابت . كنت اريد ان يغير دخل مرة واحدة فقرة واحدة . بمخيلة واحدة . ان هذا لا يحدث في الوظائف . ولكنه يحدث فقط في التجارة . ف قررت ان اعمل في التجارة

لقد ساعدني في الاقتناع بهذا القرار صديق فلسطيني موجود هنا في لوتاوا . لقد ذهبت اليه اولا لاطلب منه الاشارة معي في البحث عن شقة للاسكان . وخلال تجربتنا اكتشفنا هذا المحل ، الذي نراي فيه الآن . ان صاحبه هي سيدة لبنانية محورة هاجرت الى هنا عند فترة طويلة . وبعد مناقشة مع السيدة اكتشفت انني أستطيع ان استأجر للمنى كله بمائة وخمسين دولار في الشهر . حتى من دورين كما ترى . محل تجارى في الدور الارضى ، وشقة واسعة في الدور العلوى .. و .. انضمت مع السيدة اللبنانية هل استأجر المنى . رغم انه لم يكن في جيبي مائة دولار واحد .. من أين اذفع الايجار ؟

سبلة . - لقد ذهبت الى بنك .. وحصلت على قرضي قدره ثمانمائة دولار بصلى شخصي . هذه الـ ٨٠٠ دولار بدأت حياتي عن جديد . لقد دفعت ايجار المنى للمالكة . ثم اثبتت الدور الارضى كمحل تجارى . اتصد محل بمائة عمل فيه أنا . ثم قمت بتأجير الدور العلوى حجرة حجرة . ان الدور فيه خمس حجرات .. بأربعين دولارا ايجارا للحجرة في الشهر .. فتكون الحصيلة هي مائتي دولار في الشهر . حتى .. ايجار من الباطن ا بعد ستة اشهر بدأت حياتي تنظم .. المحل التجاري يكسب .. الايجار مدفوع . حصيلة المحلات الخمس مضمونة . لم اني

أعمل في المحل وحتى ليل بهار ، وأحيانا تساعدني زوجتي .

ونتيجة لهذا كله أصبحت أظنور بالموتى من السكان ، وأضحت فيه مع زوجتي والأطفال . لقد حدث هذا بعد أن أصبح كل مقل المحل مملوكا لي . هم ، كل ما وراء الآن لمالك أنا صاحبه . بمعنى آخر . . . لأن رأسمال هذا المحل الذي تملكه . هو الآن عشرة آلاف دولار . أن الآن صاحب هذه البضرة آلاف دولار . تعرف ليه ؟ لأن المحل حقق أرباحا في السنة الأولى قدرها ثمانية آلاف دولار . أرباحا صافية بعد استبعاد مصروحاتي الشخصية . انني أريد أن تظهر الأرباح هذا العام إلى ١٢ ألف دولار . . . إن شاء الله . . .

تعرف الحقيقة ؟ أنا فخور بما فعلته . فخور بأنني بدأت من لا شيء . ولا حتى كلمة انجليزي . أني فخور أيضا بزوجتي . لقد ساعدتني كثيرا . في الواقع أن كلا منا ساعد الآخر كثيرا . ولكنني أقول . أن كل هذا يتوقف من ظله . هل ترى هذه اللوحة الملصقة داخل المحل . أنها تقول باللغة العربية « نارب » . أني تعامل بها ، كثيرا . رغم أن ربائتي الكنديين لا يعرفون ما هي هذه اللوحة أو ما هو مكتوب فيها . ولكنهم يعرفون هذه الصورة الملصقة أمامك صورة أبو الهول . أنهم يلهون أيضا هذه الصورة الأخرى الملصقة صورة مسجد السيدة زينب . الفاتحة لام هاشم .

» « «

هل تعرف ما هي المسألة التي تشغلني الآن ؟ أنها هذا المنزل . لقد تعاقدت مع صاحبه على استئجار هذا المنزل لمدة خمس سنوات . ولكنني الآن أريد أن أشتريه . لربيد ذلك . . . لأنني أريد أن أحس أنه قد أصبح ملكا حاصلا لي . هل تصبف كم لربيد فيه صاحبه ٢٨ ألفا و ٥٠ دولار ؟ لقد قلت لها أن هذا السعر مرتفع ، ولكنها خفضت السعر إلى ٢٢ ألف دولار فقط . أنا مرضت عليها شرائه بشترين ألفا فقط بالتقسيط . أنها لم توافق به . ولكنني متأكد من أنها ستوافق في النهاية . ألا ترى أن السعر الذي أعرضه عليها مقبول ؟ أنه مقبول . طبعاً ! أنها لا تعرف أن عشرين ألف دولار كندي تساوي عشرة آلاف جنيه مصري بالسعر الرسمي .

هل أرى عايني أتوقع أن صاحبة المنزل لو فكرت مرة أخرى فسوافق . ولهذا لا أفكر في هذه المشكلة كثيرا .

لما المشكلة الحقيقية التي تشغلني أكثر فهي زوجتي . أنا لا أقصد زوجتي شخصياً ، ولكنني أقصد إجراءات هجرتها . لقد

قدمت لها اوراق حجرتها في مصر منذ سنة ونصف سنة ولكنها
حتى الآن لم تحصل على الموافقة . ان المسألة كلها اجراءات .
تضيق وقت . احنا كده نعرف ؟ انا الان هندي بنتي . بنت
مصرها اربع سنوات ، وبنت لربصة اشهر . عندما ذهبت الى
سفارتنا هنا لاسجل ورقة ميلاد بنى الاحيرة ، اكتشفت انه لابد
ان ادفع عشرة دولارات ، ولابد ان اطلق للمحل ساعتين على الاقل
لاننى اعمل فيه وحشى . و . . . يارب الورقة تخلص لى يوم ،
او حتى فى اسبوع . لازم تضرب لهم تليفونات . وتسال كل
يوم . . . ولادم تسال يادب . . . ولازم تنتظر . . . ولادم تنفك
اجراءات طويلة مطقة . كاننا فى الكبة متى فى سفارة انا
عارف لوائح انه دى ؟ موظفين ايه دول ؟ لا مؤاخذا ؟ انت ممك
الاستاذ عادل الخضرى من السفارة . لكن الاستاذ عادل ممتاز .
اننا تسال ايه فى الباقي ؟ تسال ايه فى اللوائح ؟ اصلهم معلومين
برضة . لكن متى فى كل حاجة . بتضحك ؟ اهو احنا كده ؟
عاوز تمشي ؟ ليه ؟ ياللى الواحد لرحلن عشاق شايب واحد عن
مصر . والتى تقدم . لازم ناكل سوا . مضافش على موايدك .
انا حاوصلك بحريني . اقدم ياشيخ . يعنى حاضرج لى ؟ معادك
فى السفارة يعنى فى السفارة كبة ؟ طيب يا سيدى . . . امرك ؟



✻ الحكاية الثالثة :

●● اهلا وسهلا !

قبل ان نتكلم . . . ماذا تفعل ان تضرب ؟ بطي . كل شىء
موجود . لابد ان تشرب شيئا . لابد ايضا ان اسمع منك أولا .
اننى اريد ان تحكى لى عن مصر . لقد اوحشتنى مصر جدا . ان
حياتي كلها . ذكرياتي كلها . صفاقتنى كلها ما زالت فى مصر . .
لهذا ارجوك ان تحكى لى اكثر ما يمكن الان عن الحياة فى مصر .
من شمس مصر ، ناس مصر ، يا اخى تعرف ؟ الواحد هيا زاد
جيه مصر . حب اكبر جدا هيا يمكن لى تفصيل . اننى ادخرو
لحازاتى هيا كى استطيع ان اسافر الى مصر تسعة اسابيع كل
ثلاث سنوات . ولكن مصر توحشتنى آلاف مرة فى الثلاث سنوات ؟
انت تعرف اسمى طبعا . . . ولكن اسمى كاملا هو . . . حسنى
محمد صالح . هل من الضروري ان اذكر لك تاريخ ميلادى ؟

القول لك - عنما جئت الى كندا - منذ تجميع ممتلكات - كان هيرى هو ٤٤ سنة - انها من متاعره كما تقول - ولكن هذا ما حدث على كل حال -

لقد جئت الى هنا لاجد البحث عن فرصة - لاجود التفسير - هذا كل شيء - ثم احضر لاني فشلت في مصر - بالعكس - لقد كنت - بالمقاييس المادية - شخصا ناجحا في عمل - عندما حصلت على ليسانس الحقوق من جامعة مونتريال في سنة ١٩٤٥ واما متعمد في عمل - لقد بدأت حياكي بالعمل في النيابة العامة - وكيتا لنيابة المدع الاخير - الى ان حضروا من القضاء في سنة ١٩٥٠ لتحولت الى السلك القضائي ، كنت قاصيا في محكمة مصر في البداية ، ثم رئيسا لمحكمة بعد ذلك -

وفي سنة ١٩٥٥ عرضت على شركة - شل - للهترول ان اعمل بها وكيتا لادارة القضايا ، فاستقلت من القضاء ، والتفت بهذا العمل - الى ان اصبحت في سنة ١٩٦٦ مديرا عاما لادارة القضايا في الشركة - المرتب ٢٤٥ جنيها في الشهر - مرتب ضخم طبعاً - ولهذا تقرر تعيينه محافظت اللوائح الجديدة في الشركة - ثم بدأت التفكير في الهجرة - في البداية فكرت في الهجرة الى استراليا او أمريكا الجنوبية ، او الولايات المتحدة لوكندا ، طبعاً استبعدت استراليا لاني سمعت ان تكاليف الحياة فيها مرتفعة - استبعدت أمريكا الجنوبية لانهم لا يتكلمون الانجليزية او الفرنسية - استبعدت الولايات المتحدة لاني شخصياً لا أحب الامريكيين - الى ان احضر الى كندا -

هكذا جئت الى كندا في سنة ١٩٦٦ - جئت بعد ان تركت كل شيء في مصر - هنري ، ابنتي ، حياتي - حيث لا أعرف أحدا على الإطلاق في كندا - ولكنني عندما توجهت الى مدينة تورنتو ، التقيت بأصدقاء مصريين قدامى سبق ان احضروا الى كندا واستقروا في تورنتو - طبعاً اصروا على انام عندهم - طبعاً هذا حدث -

من اليوم الثاني بدأت المهمة الصعبة - مهمة البحث عن عمل وبسرعة ظهرت امامي مشكلة ضخمة واحسنتي في كل شركة احاول ان اعمل بها - مشكلة الخبرة الكندية - ففي كل مرة أقبلهم لشركة ، يرفضون لانه لا توجد لدى - خبرة كندية - ، اي خبرة سابقة في العمل بكندا - شهر - شهرين - شهرين ونصف - وانا ما رلت عاطلاً بلا عمل -

والعمل ؟

حاولت أن أجعل معلوما • ولكنني اكتشفت عجبتي • لا أولا
هم لا يصرحون هنا يشهداتنا الخاسية • - أن الثقبان سبب في
ذلك • وثانيا لا بد لي - بناء على ذلك - من دراسة القانون من
جديد هنا للحصول على اللسان من جديد •

ولكني أكون صريحا معك • فلماذا أن أقول لك أنه قد موت
على أيام قاسية هنا - في البداية • أيام بعض منها أنك وحيد
لحام المشاكل • وحيد ضد الظروف • أنك تريد أن تضع قلبا
واحدة - مجرد قدم واحدة - في مكان ما داخل عجلة المجتمع •
ثم لا تستطيع •

كان القدر الذي يحكمني في تلك الفترة هو شعور بالهزيمة
جنينة الإمل • بالحيرة أحيانا • حسنا ، أنا لا أحب أن أفشل •
من منا يحب لنفسه الفشل ؟ ولكن كراهيتي للفشل تحولت عندي
إلى تحدي • إلى رغبة في التطب على الظروف ، على النقصات ،
على المشاكل •

لهذا لم أياي • ظلت أقم عشرات الطلبات إلى الشركات
والأممسات • وفي كل مرة أتلقي عشرات الردود بالرفض •
عشرات الردود • ولكن السبب واحد • عدم وجود الخبرة الكندية
أنني سوف أريك الآن أنني وسعيت خطأ من سركت معلومة
خطابات يمتدرون فيها عن شملتي لبعض هذا السبب • خطابات
ما رلب أحفظ بها للذكرى •

ثم • لم أستطع في النهاية سوى الميل متعبا لشركة تسمى •
هذه لا تضر ونظيفة ، لأنها عمل • مقفل مضمولة • كل بوليصة
تسمى أصبح في عملها لشخص ما • أتقاضى عنها مبلو • ومن
متوسط الممولات لم يصل دخلي بعد ستة شهور إلى أكثر من
٦٠٠ دولار في الشهر • أنها مئة شاق • أمك نفسك في يدك
بمجموعة من بوالس التامبي تم تمور بها على الناس في عملهم أو
متارلهم تحاول إقناعهم بالتنامي على جانتهم بواسطتك و • بيبي
ويك • فإن معظم بوالس التنامي التي عملتها في البداية
كانت لمصريين • وربما اشتراها بعضهم معكم للجامعة • ربما يحكم
تفهم الظروف • وربما لأي سبب آخر • اللهم أني بعد عدة أشهر
بدأت أتحصل من هذه الوظيفة على دخل يكاد يكون ثابتا • • تلك
الـ ٦٠٠ دولار التي ذكرتها منذ دقيقة • تعرف ؟ أولشي اشتريته
من كندا كان جهاز راديو قوي • راديو لأصبحه إذاعة القاهرة • •

ان صوت القضاة بالنسبة لي كان سحرا . شيء لا انا ان اعل
صداه في اذني .

ولكن عقل كانت تشغله مهمة اخرى في نفس الوقت . انها
ما زالت نفس المهمة . البحث عن عمل . اني - رغم الرخص
المسمر - لم اتوقف عن تقديم طلبات العمل في أي شركة . بل
أكثر من هذا - اني فكرت في البحث عن وظيفة في الحكومة .
لكن اتقادي مشكلة عدم توازن الخبرة الكندية ، التي تشترطها
الشركات .

ان انصي في جميع وظائف الحكومة هنا يتم بمسابقات . لا احد
يتم تعيينه في وظيفة الا اذا ثبت انه اطلع للتخصص لها . بل ان
الترقيات للدرجة اعل تتم في الاخرى بمسابقات . وبغير مراعاة
لأية تقنية ، أو أية اعتبارات اخرى غير مصلحة العمل . وفي
مقابل ذلك ، فانه اذا رقي احد موظفي الحكومة الفدرالية الى درجة
اغل ، ودأى موظف آخر زميلا له ان كان احق بالترقية . فانه
يستطيع ان يعترض ويرفع دعوى تفرد ليهما المحكمة انهما كان
فعلا احق بالترقية هل ان الشرط امتحان المسابقة للتعيين في
الحكومة لم يكن هو المشكلة لي . ان المشكلة هي انهم
- عند التمس في وظائف الحكومة هنا - يصفون طبعا الشخص
الكندي الجنسية في القضاة غير الكندي . هذا امر طبيعي .

وبالنسبة لي ، فاني لم اكن قد حصلت بعد على الجنسية
الكندية . لهذا فحدث اني لا استطيع الحصول على وظيفة حكومية
الا في حال واحدة . ان أثبت لهم اني اكفا من أي شخص آخر .

وهذا ، قدرته فعلا . لقد قرأت اعلانا في الصحف عن حاجتهم
الى شغل وظيفة في الحكومة الفدرالية . وظيفة حبر في الكفائية
الانتاجية . ولزرت ان انظم للامتحان في تلك الوظيفة الخاصة بهذه
الوظيفة . قررت ذلك رغم انها لا تتشبي مع دراستي ، وان كانت
تتشي مع خبرتي ، والبرامج التي حصلت عليها في التنظيم
والادارة اثناء عملي في شركة « شل » بالقطرة . وفي نفس الوقت
تقدم معي ٢٢ شخصا آخر لشغل نفس الوظيفة . كلهم كنديون
طبعا .

و . . حصلت على الوظيفة !

حصلت عليها لاني أصبحت الاول على التماسين لشغلها .
مساعتها فقط قرروا تعييني . . مساعتها فقط بدأت احصل على

أول مرتب منظم ، تسعة آلاف دولار في السنة - وهو مرتب الوظيفة الجديدة .. مريمها وأنا عمل في هذه الوظيفة ، وأحصل على ترقيةاتي بعد دخول المسابقات التي تجري لهذا الغرض ، والنتيجة هي التي ترأها أنت الآخر .. أنني أصبحت مستشارا للحكومة الفيدرالية بلوتاروا في الكفاية الانتخابية ، بمرتب ١٦ ألف دولار . وقد حدث أكثر من مرة أن انتدبني الحكومة لرئاسة لجان خاصة للدراسة البرهني الجديدة لتنظيم القوى العاملة ، أو قياس حط رفح الكفاية الانتخابية

إن الصورة التي لمالك هذه هي صورة مشرقها جوية ، ذي يو أوتشيمست ، هي صممتها الأولى منذ سنة .. يسما كنت أحضر كلمات بعض الصائغ في الحكومة .. صورة ضفحه منشورة على ثلاثة أعمدة كما ترى بحرفي الصفحة الأولى من الجريدة .. لا .. لا .. لا نأخذها لزورك .. هذه هي النسخة الوحيدة المتبقية عندي من ذلك العدد . اسي طبعا لزيد الاحتفاظ بها ، لاني أعتبر بهذه الصورة . ان قيمة هذه الصورة عندي ضفحة طبعا . انها بالنسبة لي رمز يمثل المارق بين النقطه التي بدأت منها حياتي في كندا . ثم النقطة التي وصلت اليها . أما لا تقول ان هذا أحسن ما يمكن ان لهيله . فما زال طموحي ضفحا بالنسبة لما يمكن ان أحظه في المستقبل ، وبالنسبة للعرض التي يتيحها المجتمع الكندي لأي شخص يشت كفاءته . أنني أقول فقط ان عملي الحالي هو على الأقل خطوة في الطريق التي طأته . طريق لم أكن أتصور في البداية أنني يمكن ان أسير فيه . ثم الاستمرار في السبر فيه ، أو التخلي عن الطيات التي صادفتني خلاله .

أنني منذ أول يوم وال الآن - أسير على ان أعطي كل وقتي . أكثر من وقتي .. لعملي أنني حسا لا أحصل على إحازات . في الحقيقة ان إحازتي السنوية هي ثلاثة أسابيع . ولكنني أدر هذه الإجازات حتى يتجمع لدي تسعة أسابيع كل ثلاث سنوات . قلت لك هنا من قبل تسعة أسابيع أسافر فيها الى مصر . أه . يا أخى أنت مثله قدموك الى شقي هذه مع الصديق عادل القنطري .. وأنت تكودني في حديث لا أريده من طقس .. الآن جله دورك أنت لابد ان تحدثني أنت الآن عن مصر . لزورك .. أنني أريد ان تحكي لي عن هذا السحر الذي يعيش في داخلنا جميعا ، عن مصر . هل تتحدث عني بتفصيل .. بأسهاب .. بالفاضة ؟ اتفلسا . تشرب ايه . شيل الكلام بحتل !

الفصل الثاني :

عرب في كندا ،
المليونير .. والموظف .. والنصف نصف !



مع ان المصريين يشكلون الان حالة صعبة جدا في كندا ،
الا اننا لو حسبنا عددهم بالنسبة لاجموع سكان كندا ، سنوف
تكشف هذه الحقيقة : انه من بين كل الف مواطن كندي .. هناك
مواطن مصري واحد يعيش في كندا كهاجر .. ان هذا معناه ان
المصريين في كندا يزيد عددهم قليلا على عشرين الفا . انهم بذلك
يشكلون اول حالة مصرية ضخمة خارج حدود مصر . جالية
شخصية ، ولكنها مازالت اقلية داخل المجتمع الكندي نفسه . ولو
وسعنا دائره اهتمامنا بحث منظر الى كل المهاجرين العرب
المستوطنين في كندا . فان النسبة في هذه الحالة سوف ترتفع .
عده هي " من بين كل الف من سكان كندا .. هناك فرصة من

أصل عربي .. مثالث هذه النسبة اقلية ضمن المجتمع الكندي .. في الواقع انها اقلية ضئيلة جدا .

ولكن .. لو نظرنا الامور من زاوية اخرى .. فسوف نكتشف في الجالية العربية في كندا كانت اقل من ذلك جدا ، اقل من نصف عددها الحالي - منذ عشر سنوات فقط ان السبب في ذلك هو ان لبنان وسوريا كانا تمثلان المصدرين الرئيسيين للهجرة العربية الى كندا حتى وقت قريب . ومنذ سنوات قليلة فقط أصبحت مصر تشكل مصدرا لثالثا .. مصدرا رئيسيا للهجرة العربية الى كندا .

وقد أدى اتجاه المصريين الى كندا الى تغيير كبير في طبيعة تكوين الجالية العربية هناك . انه اولا تغيير عددي ، فاعتبارا من سنة ١٩٦٢ بدأ المصريون يصبحون سنة استغفار من كل عشرة عرب يهاجرون الى كندا ، بالإضافة الى اثنين من المغرب ، واثنين من باقي الدول العربية .

ان وصول المصريين لدى كل رفع عدد الجالية العربية في كندا من ٦١ ألفا الى ٨١ ألفا ، هذا تغير عدي . ولكن هناك أيضا تعبيرا نوعيا قرب على اتجاه المصريين الى الهجرة الى كندا .

فلو نظرنا الى احصائيات الهجرة والسكان التي تصدرها حكومة كندا ، فسوف نكتشف المفاهيم التالية:

اولا - ان النسبة الكبرى من المهاجرين المصريين هم مهنيون ومتخصصون .. لهذا فقد أصبحوا الفئة الاعلى تخصصا والاكثر احترافا بين المهاجرين العرب ، ان ٣٦ ٪ من المهاجرين المصريين الى كندا ينجحون أساسا الى الاعمال المهنية او النصف مهنية ، مقابل ٩ ٪ فقط من المهاجرين اللبنانيين . أما السوريون فانهم يمثلون مكانا وسطا بين الاثنين . ان هذا معناه ان المصري الذي يتجه الى كندا هو غالبا - مدير ، مهندس ، محام ، طبيب ، خراج ، كيميائي ، صيدلي ، مدرس ، رسام ، محاسب ، أو خبير فني .

ثانيا - ان المهاجرين المصريين هم الاقل بين المهاجرين العرب اتجاها الى احتراف الاعمال اليدوية . فبينما نجد من الاحصائيات الكندية ان حوالي نصف اللبنانيين والسوريين يتجهون الى هذه الاعمال ، نجد ان نسبة من توجه اليها من المصريين هي اقل من الربع - أما باقي المصريين الذين لا يصلون كهنئين أو يدويين ،

حائهم يجهون الى الاحمال الكناية مشبل . صراف ، محروبي ،
مضطر . مترجم ، ميكانيكي . الخ .

وعدا الاتجاه الذي تمثله الهجرة المصرية الى كندا ، يمثل في
الواقع تغييرا نوعيا كبيرا طرأ على تكوين الجالية العربية هناك .
ان الجالية العربية في كندا يصل تقديرها الى ٨٦ ألفا من بينهم
٢٠ ألف مصري ، أما الباقون فهم أساسا لبنانيون وسوريون .

ان اللبنانيين والسوريين بدأوا يجهون الى كندا قبل بداية
القرن العشرين بقليل . من الجيل الأولي من المهاجرين العرب الى
كندا جاؤا من الشام ، تلك المنطقة التي تسمى الآن سوريا ، ولبنان
ولقد ظلت السمة المشتركة لديهم قبلية هي نفسها حتى الحرب
العالمية الثانية . انهم يتميزون بتعليمهم المحدود ، وحياتهم البسيطة
الضئيلة ، وحرفتهم اليدوية ، وممارستهم للتجارة ، ورغبتهم
في الثراء .

أما الجيل الثالث - من المهاجرين اللبنانيين والسوريين فقد توجه
الى كندا بعد الحرب العالمية الثانية ، وهو يتكون أساسا من أسر
واقرباء الجيل الأولي ، الذين كانوا قد استقروا في كندا قبل
الحرب .

واعتبارا من الجيل الرابع فقط . بدأ مستوى المهاجرين اللبنانيين
والسوريين المتجهين الى كندا يضم الكفاءات التي أسهرت مقعها كل
مقومات الهجرة . ولكن هذا الاتجاه لم يتأكد نهائيا إلا بعد أن بدأ
المصريون يجهون الى الهجرة الى كندا في موجات متتالية غير منتظمة
خلال ستينات هذا القرن .

ان هذا الاختلاف الراسي والفرعي بين اتجاه اللبنانيين والسوريين
والمصريين الى كندا ترتب عليه نتائج فرعية كثيرة . هي التي
نلمسها الآن في قذوة الفئات الثلاث على تربية جيل جديد داخل
المجتمع الكندي . . . فبينما المصريون ما زالوا حديثي كيهناجرين
في كندا . فان اللبنانيين والسوريين أصبحت لهم حدود أكثر
عمقا لدخول التربة الكندية . جيلهم تلمسها من مظاهر كثيرة ، منها
هضم الظاهرة مثلا . أنه يوجد في كندا ٢٥ مليونيرا من أصل
لبناني وسوري !

وفي الواقع كان أول تصادج ثلاثة من العرب الذين قابلتهم في
كندا يسرون بوضوح عن قيمة هذه الجذور ، واستطيع أن أخلص
هذه التصادج في الصور الثلاث التالية :

الصورة الاولى :

عندما نزل الأب مع أسرته الى شاطئ كندا منذ سبعين سنة بالضبط ، لم يكن هناك ما يشير بان هذه الارض سوف تكون في يوم ما ارض المستقبل . الارض عبارة عن صورة مهدية للجيم . انها في منتهى البرودة عندما يعمل الشتاء وهي في منتهى القسوة عندما تصبح باردة . وهي لا ترحم عندما تكون قاسية . انها باحتصار لرمي ترفض الانسان .

وظل الرجل يكافح . الى ان مات . مات واكبر اولاده لا يريد عمره على ١٧ سنة . واضطر الشاب الى ان يدرس صب الوقت . ويمسك في النصف الآخر . واضطرت امة الى العمل كصحة لريد . ثم اصبح الشاب مهندسا . وتخصص المهندس في الجيولوجيا وبدأ حياته فاحل الماحم ، شهرا ها وشهرا هناك .

ومرت السنوات ، في الواقع مرت سبعون سنة على هاجر الأب مع اولاده الى كندا . سبعون سنة ، اصبح الشاب المهندس بعدا ابا لثلاثة اولاد . بنين وولد في السنة النهائية بالمدرسة الثانوية . واصبح رئيسا لشركة ضخمة اسمها مؤسسة الاسيستوس المتحدة . ومقرها الرئيسي مدينة مونترال بكندا . انها شركة تقوى عمليات استخراج الرصاص والذهب واليورانيوم والاسيستوس في مناطق واسعة من العالم من بينها فرنسا . بقيت شقة واحدة من هذا الرجل . فن لروته الآن ٢٨ مليون دولار . اكرز كعاقبة ومشرون مليون من الدولارات اي ما يقرب من ٢٢ مليون جيه .

قصة اخرى ان الرجل اسمه فيليب مطوف . ليماني . هاجرت أسرته الى كندا سنة ١٩٠٠ . مات ابيه سنة ١٩٢٠ عيش الآن في مدينة مونترال بكندا . اعمار بنينه وولده هي ٢٢ ، ١٦ ، ١٧ سنة . الجميع مع والدهم - جسيهم الآن كندية . . انهم لا يتكلمون لغة العربية ولكنهم يفهمونها .

وعندما قامت فيليب مطوف في مقر شركته بالفور التاسع من شارع دورشمستر بمدينة مونترال قال لي انني احاول ان اربط اولادي بلغة الاصلي - لكن - بعد ان اصبحت الظروف تكتس من ذلك الآن . ان الولد يريد ان يتخصص - بعد تخرجه

- في أعمال السور - أنا لريد أن ونولي اعمالى من بعضى . ان
عمرى الان ٥٧ سنة . قسى لم نغيب بعد لانى حريص على عملى .
لقد حنت حالا من رحلة الى جنوب افريقيا وكينيا وتنزانيا ..
انى نعلمت اشترحل من امي .. ان ابى هو الذى جاء با انى
هنا .. ابى جاء الى استراليا أولا في سنة ١٨٨٥ ، ثم جاء بسا
الى كندا في سنة ١٩٠٠ ، قسى لم اكد لبنان ، ولا مرة حتى
الآن .. قريبا سافعل ذلك ..

الصورة الثانية :

هذا نانى نموذج فائته في كندا ، بمودج مصرى هذه المرة .
هذا النموذج هو هرى حشيمة - مصرى عمره خمسون سنة
ظل يعمل في مصر الى ان وصل الى وظيفة مدير لبنك القاهرة
في مدينة الاسكندرية . ولكنه ترك هذه الوظيفة ليهاجر الى كندا
سنة ١٩٦٢ .

انه الان يعمل وظيفة مضمو مجلس الادارة المنتخب بشركة
(انترافينا) ، وهي شركة كندية لتمويل عمليات التجارة الخارجية
مرته ٢٥ الف دولار سنويا (اكثر من ١١ الف جنيه مصرى)
.. متزوج ولديه ولد واثنتان (احدهما مستغرف ملها بعد)
.. اخته أيضا تعمل في مدينة مونتريال ، وهي متزوجة من
مهندس الكترولكات مصرى يعمل في مونتريال ودخله السنوى
٢٢ الف دولار ..

وبعد ان نصح هرى في عمله ذهب اليه شقيق زوجته الحاصل
على ليسانس الحقوق من جامعة القاهرة وبعد ان حصل على
المحستير في الحقوق من كندا اكتشف ان العمل بالمحاماة صعب ،
فحصل على بكالوريوس في التربية ثم عمل استاذ في احد المعاهد
التعليمية ، ثم مضوا بمجلس الادارة . وبعدها حصل على منحة
دراسية لدراسة الدكتوراه في فرنسا

الصورة الثالثة :

مصرى أيضا .. هذا النموذج الثالث .. اسمه مصطفى
محمد الهلالى .

ان الدكتور مصطفى مهاجر مصرى بالصلفة .. لقد بدأ
كبحرود مفترب بعض في كندا . انه ذهب الى كندا في اول يوليو
سنة ١٩٦٥ ليحصل على الدكتوراه في جراحة المسالك البولية

بعد أن حصل على اللجوء في مصر . ومع أن مصطفى له قصة أخرى وربما كتبها فيما بعد ، إلا أنه يكتب الآن أن يعرف أنه يصل حاليا استنادا مائلا لراحة المسالك البولية في حمامة (شيربروج) كنعا ، بالإضافة إلى أنه طبيب اختصاصي في المسنى التابع لجامعة .. فهم اختاروه في هذه العاصمة بالذات ، وهذا المسنى الحديث بالذات . بعد أن اعتبروه هناك واحدا من أكفأ وأرشد جراحى المسالك البولية .

و .. هذه أول ثلاث صور مجلدة من أعضاء التحالف العربية الذين قابلتهم في كنعا ، بعد أن منحوا في الجمعية داخل المجتمع الكنسى . أنهم مجرد ثلاثة علاج من الـ 81 ألف عربي الذين هاجروا إلى كنعا ومبشون فيها الآن . معظم اكتسب الحية الكتلوه ، وبعضهم لم يكتسبها بعد .

حتى تكون الصورة مهمة لعلنا فلابد أن أصبح نعتنا كبيرا هنا . هذا هو : أن العلاج الثلاثة السابقة - النموذج الذى والنموذجين المصريين - لا يمثلون القاعدة بالنسبة للمهاجرين العرب في كنعا . أنهم ليسوا كذلك - لا هم ولا العلاج الثلاثة التى تحدثت عنها الفصل الأول من هذا الكتاب .. بمعنى أنه ليس من الآلام بالضرورة أن كل مهاجر إلى كنعا سوف يعمق بمس هذه النتائج في نفس هذه الفئة الصغيرة . بل أنه ربما توجد في مقابل ذلك حالات فشل سوف ناقش أسانجا ، وسنعرضها فيما بعد ولكن النتيجة الرئيسية بعد هذا كله هي : أن العلاج .. الفشل أحيانا - هو أمر ممكن دائما بالنسبة للعناية العربية في كنعا ..

والواقع أن العلاج الثلاثة تعطينا صورة تشمل كل العناصر المبررة للعناية العربية في كنعا . فالسنيون مثلا هم - كما ذكرت من قبل - أول المهاجرين العرب إلى كنعا - لأن هجرتهم إلى هناك بدأت في وقت مبكر من نمو المجتمع الكنسى . وبالتالي فإنهم أكثر اندماجا فيه وأكثر قسرة على العلاج .. وهذا مما أن تتوقع وجود طبوعيرات بينهم مثل المليونير فيليب مطوف الذى اشرت إليه منذ قليل .

وق مقال ذلك قال السوريون هم لقبة مصمومة عربية بدأت تهاجر إلى كنعا بعد الستين لما المصريون هم - كما عرفنا في الصفحات السابقة - أحلت من هاجروا إلى كنعا .. ومع أن مددع في كنعا يسو الآن سرعة ، إلا أن هذا المدد له خصائصه المشتركة . بل وحتى يكاد يكون له نفس الأعمال المتشابهة .

فحين نجد ان المصريين المهاجرين الى كندا هم عادة موظفون .. اساتذة في الجامعات والمدارس ، مهندسون ، أطباء ، مديرو بنوك .. ولكن .. ما زالت هناك كلها أعمال موظفين ، أقول هنا من خلال الشهور التي قضيتها في قنصلية بلديات منهم في كندا . وهذا في مقابل أن اللبنانيين نادرا ما يهاجرون للحصول على وظيفة . لقد اكتشفت في كندا أنه من النادر جدا أن أجد لبنانيا يعمل موظفا في مصلحة حكومية مثلا .. قد أجد اللبناني موظفا في شركة - رئيسا لمجلس إدارة مثلا ولقته في نفس الوقت .. صاحبها ؟ ..

وعندما تذهب الى مدينة أونتاريو - عاصمة كندا - أو الى مدينة مونتريال .. أكثر مدن كندا . هناك مسجد على الفور حوالي اثني مائتين وربع المئات التجارية وملكها أو يديرها لبنانيون وسوريون . ولا يمكن أن تجد مظهرا مفتوحا في مدينة أونتاريو مثلا يومى السبت والأحد إلا إذا كان صاحب لبنانيا أو سوريا .

ومعما سأنت واحد من هؤلاء من سر هذه الظاهرة قل لي « المسألة بسيطة . المسألة تبدأ دائما بواحد فقط من الأسرة يأتي الى هنا مهاجرا .. وحين أنك تستطيع الحصول على قروض ضخمة من البنوك هنا ، فإن أسهل عمل وأسرع ربحا هو أن تفتح مطعما . في هذا العمل له مزايا كثيرة .. فأولا لتفانسه فيه ممكنة ، ليس فقط من حيث مستوى الأكلية . ولكن من حيث سلامة العمل . فكل المحلات هنا تملك أبوابها في المنطقة سواء يسا من نزل يعمل الى ساحة متاخمة من الليل . وكل المحلات تفتح يومى السبت والأحد حيث العطلة الأسبوعية هي شيء مقدس ، بينما نحن كشرقيين مضطرون على العمل ساعات أطول وعندما أكبر .. ثم .. عندما يصبح أحفادها هنا فإنه يرسل لأحضر عائلته أو أخاويه لكي يعملوا معه .. وهكذا تبدأ المنطقة في الدوران .. ان التكم هنا اسمه يوسف راشد .. لبناني .. صاحب مطعم بمدينة أونتاريو عاصمة كندا هاجر الى هناك منذ ١٥ سنة .. بدأ حياته بالعمل بائعا أسوي لا يزيد على ٢٥ دولارا ولكنه الآن يملك مطعما ربحه الصافي العا دولار شهريا ، بالإضافة الى منزل قيمته الحالية مائة وخمسون ألف دولار . منزل كان قد اشراه منذ عدة سنوات بـ ٦٠ ألف دولار .

×××

ان اللبناني اذن من بين أعضاء الطائفة العربية في كندا - تعد دائما يمارس أعمال التجارة عندما يهاجر الى هناك .. وهو عادة

ويبدأ حياته بطريقة متواضعة للغاية .. وعظما يملأ ذاته كثيرا
 ما يغفل ويحسر كل ما يملك .. ولكن اللبنانيين لديهم مثل
 شعبي يقول : تقتل اللبناني .. يطلع ثاني .. وهذا صحيح الى
 حد كبير .. هالبني .. مثل أي تاجر لا يصرح بالهزيمة مطلقا
 .. ويحاول دائما ان يبدأ من جديد .. السوريون أيضا في كندا
 يجدهم دائما يمارسون أعمال التشغيل ولكن السوريين يقومون في
 سحب المأهله بين اللبناني من ناحية والمصري من ناحية أخرى
 ومن الطريف هنا اني كنت كلما دقت النظر في حياة المهاجرين
 العرب كلما ذهبت الى كندا، كنت اكتشف ان الجميع هنا في
 كندا .. يحملون صفات شعوبهم .. يحملونها كل هذه المسافة ..
 وهي تظلمهم طوال هذه المسافة ..

المصري يبحث عن العلم .. والسوري يبحث عن الشهرة ..
 اللبناني يبحث عن المال ..
 المصري يريد الاستغناء .. والسوري يريد التمييز ..
 اللبناني يريد الثروة ..
 المصري يحلم بالامن .. والسوري يحلم بالثروة .. واللبناني
 يعلم بليون دولار ..
 المصري يتمنى راحة البال .. والسوري يتمنى راحة القلب ..
 واللبناني يتمنى راحة الجيب ..
 المصري يعمل بقله .. والسوري يعمل بصوته .. واللبناني
 يعمل بقله ويده واسنانه ..
 المصري مثقف .. والسوري مجادل .. واللبناني متعب ..
 المصري بعيد الله .. والسوري بعيد الله واسرته .. واللبناني
 يمد الله ومحفلاته ..
 المصري بطبع السلفه .. والسوري متمرد على السلطة ..
 واللبناني لائق لحدتها ..
 المصري قنوع .. والسوري متطعم .. واللبناني معزوف ..
 المصري مشدود الى عائلته .. والسوري مشدود الى سمعته ..
 واللبناني مشدود الى رعيته في البيت ..
 المصري في غناه يشتري منزلا .. السوري يشتري لرضا ..
 اللبناني يشتري اسهما ..
 المصري ينق الى آخر طريق في جيبه .. السوري ينق الى
 آخر طريق في جيب أسرته .. اللبناني ينق الى آخر طريق في
 جيوب الآخرين ..

المصري لم يعمل في جيبه صورة لوالدته .. السوري صورة
لأنه .. اللبناني لا يعمل صورة على الإطلاق ..

المصري يرضيه التبات .. السوري يرضيه التطور .. اللبناني
ترضيه الفوضى ..

المصري موطن قلبا .. والسوري تاجر أحياء .. واللبناني
تاجر دنيا ..

المصري محافظ عادة .. والسوري معاصر نادرا .. واللبناني
معاصر أبدا ..

لنكون نتبعه هذا كله هي

اللبناني يفضل أحيانا وينجح غالبا .. والسوري .. ينجح
أحيانا .. ويصل نادرا .. والمصري ينجح .. ينجح فقط أ

و ... هذه هي أول نتيجة خرجت بها بعد التأمل في حياة
الـ ٨١ ألف مصري وسوري ولبناني .. الذين يعيشون في كندا .

وبتأمل هذه النتيجة في طبيعة الأعمال التي يتبعها المهاجرون
أعضاء الجالية العربية في كندا فاللبنانيون يمارسون الأعمال

التجارية ، ابتداء من البنوك والورق والضيافة .. إلى إدارة
المطاعم والعمارة .. والمصريون هم غالبا أساتذة في الجامعات ،

والمعاهد والمدارس ، وموظفون في الشركات وبعض مصالح الحكومة
.. أما السوريون فهم بين بين .

والواقع أن سمعة المصريين في كندا هي أمر يفرح به كل
مصري . فشهادة رئيس وزراء مقاطعة كولومبيا ، فان

الكنديين بروب أن المدرسين المصريين هناك هم أكمل المدرسين
والاطباء المصريين هم أكمل الأطباء وأبهرهم . وقد رأيت في مدرسة

واحدة بمدينة مونتريال ١٢ مدرسا مصريا .. من مجموع
المدرسين البالغ عددهم ٣٧ مدرسا !

بل أنه حدث منذ خمس سنوات أن حصل طبيب مصري في
أحد المستشفيات الغرب من مدينة مونتريال . وبعد خمس

سنوات وصل عند الأطباء المصريين في المستشفى إلى ١٧ طبيباً
لقد أصبح المستشفى « مسخرة » مصرية خرج الصليبيون

أن النسب في هذا بسيط . لقد أصعب مدير المستشفى تكفاة
وأمانة الطبيب المصري الأول .. قلب منه أن يرشح له طيباً

مصرياً ثانياً . وثالثاً ورابعاً .. مكان كروية تحلو في المستشفى
.. مما أدى في النهاية إلى هذه النتيجة .

xxx

والواقع ان هذه الصاعقة ترجع الى سببين :
الأول : المصري بطبعه موظف ممتاز . هذا عيب كبير في المدى
الطويل ، ولكن هذا موضوع آخر . المهم .. ان المصري سظم في
عمله ، متقن له .

وبالإضافة الى هذا قلل الثقافة المصرية أكثر شيوعاً من لقاعات
أخرى كثيرة . فالمقارنة هنا تمثل المقارنة بين الثقافة الأوروبية
والثقافة الأمريكية . الأولى أكثر شيوعاً والثانية أكثر تخصصاً .
الأولى تعطيك سبعين والمائة تعطيك فيعين . الأولى ممتاز في
المعلوم الأساسية والثانية تمتاز في العلوم التطبيقية والعملية .
ونظراً : يرجع السبب أيضاً في ظهور كفاءه المصريين الى طبيعة
المجتمع الكندي نفسه . أنه مجتمع يحرم التملذ ويبيع لها مجالاً
واسعاً للعمل والتقدم . ونظراً لأنه صار من مجتمع من المهاجرين
فان العيار الوحيد المعترف به لتمييز الأفراد هو كفاءتهم .

وإنه فلس هذا في أي مكان تنجح إليه في كندا ، مع أنك لن
تجد المصريين والعرب عموماً - في أي مكان في كندا .

إن العرب يتركزون في مقاطعات معينة داخل كندا ، في مدن
مصرية داخل هذه المقاطعات .

أما علم أن كندا مقسمة سياسياً الى عشر مقاطعات هي :
نيوفاوندلاند - جزيرة برنس إدوارد - نوفا سكوتيا -
نيو برونزويك - كويبك - أونتاريو - مانيتوبا - ساسكاتشوان
- ألبرتا - كولومبيا البريطانية ، ثم سيطران أتلانتان بعد ذلك
لديبرهما الحكومة الفيدرالية ، ومن بين المناطق النائية .

ومن بين المقاطعات العشر السابقة فأتينا نجد بصفة عامة أن
معظم التركيز العربي يوجد الآن في مقاطعة كويبك ، وبالدات في
مقاطعة مونتريال . أما التجمع المصري الذي يوجد في مقاطعة
أونتاريو . والتجمعات العربية الثالث والرابع موجودان في مقاطعة
ألبرتا ومقاطعة نوفا سكوتيا . ان ثمانية من كل عشرة مواطنين
عرب في كندا هيثون في واحدة من هذه المقاطعات الأربع .
وبالنسبة للمهاجرين المبتدئين قل ٩٠ ٪ منهم يختارون عادة
مقاطعة كويبك أو أونتاريو بالدات مقراً لأختهم .

ومن بين العرب في كندا ، نلاحظ أن المصريين موزعون
عالمياً الى الحياة في المدن ، وبالدات مونتريال .. تورنتو .. أوتاوا
.. ونيسبور ، لندن ، أونتاريو ، أونتاريو .
ان هذا التركيز ساعد العائلات العربية في كندا على تنظيم

نشاط اجتماعي مستمر ومنظم بين أعضائها . إن هذا لم يحدث بعد بصورة منتظمة بالنسبة للمصريين ، ولكنه حدث بالنسبة للسائين والسوريين .

ومن يستطيع أن تمنع هذا النشاط الذي تقوم به الجالية السورية اللبنانية بكندا في هذه مجالات بالتحديد ..

فأولا : هناك النشاط الاجتماعي الواسع ، الذي تلمس مظاهره في المجلات التي يقيمها اللبنانيون والسوريون في مائة الأحياء القومية للأدعهم أو في المناسبات العامة .

وثانيا : هناك الجريدة التي يصفرونها في كندا باسم (الشرق الأوسط في كندا) جريدة تملأ باللغات العربية والانجليزية والفرنسية ويملكها لثلاث أسماء جوزيف لحدود . أصبح أنها جريدة يدائية جدا ولقنها ركبنة حيفا وتلفظ بطريقة تعذرية جدا .. ولكنها جريدة على أي حال !

وثالثا : هناك الكفالات التي تتم في عطلة الاسوع وحملات عطلة الاسوع والتي يكون مكانها المفضل هو الكنائس العربية والمساجد الاسلامية . ونظرا لان المساجد ما زالت تدار جدا هناك فالتى سوف تحدث الآن من نشاط الكنيسة أولا .

x x x

إن أول ما يلتفت النظر في نشاط الكنيسة العربية في كندا هما مسيحيين بالذات .. أولاها الأب جورج كورماني ، ممثل الكنيسة الكاثوليكية اللبنانية في كندا . والثاني هو الأب دوفاليل ممثل الكنيسة المصرية هناك .

إن القس كورماني معروف جدا كبيرا من العرب في كندا ، وبالذات معظم المقيمين في مدينة مونتريال . انه يقيم في كنيسة بيمونفريال كنيسة ضخمة مسجل فيها ٢٥٠٠ أسرة أي ١٢٥٠٠ شخص تقريبا . والواقع أن وجود الأب كورماني هناك أدى الى حل مشاكل كثيرة بالنسبة للمصريين بالذات الذين هاجروا الى كندا - مسلمين أو مسيحيين .

فأولا - بالنسبة للمشاكل التي تواجه المصري المهاجر خلال أيامه الأولى من حيث الإقامة أو الطعام يوفرون له مكانا مريحا للإقامة ووجبات رخيصة تقصد قيمتها عندما يبدأ في العمل . وثانيا - بالنسبة لترجمة الوثائق الرسمية - الشهادات الجامعية وشهادات الزواج والبلاد مثلا - لابد من ترجمتها من

الامة العربية الى الصين الانتطرية او الفرنسية او المكسي .
عملية تكلف ٢٥ دولارا للهدية الواحدة . ولكن الاب كورباتي
يقوم بها محققا والحكومة اللبنانية تتصرف رسميا بترجيته . وقد
تبدو هذه المسألة غائبة ، ولكن لا يفكر سوى قيمتها الا من
هاجر عملا واحتاج إليها عدة مرات .

ولقد قال لي الاب كورباتي عمدا قائلة في كنيسته مونترال
« اننا اسنمنا هيا موه رئيس وبراء مقلطة كورك » ولقد صر
الرجل في خطابه يوما عن تعديده للثقافة الواسعة والكفاءة المازة
التي تمنح بها المهاجرون المصريون . وقال في خطابه ايضا ان
الرجل العادي في كندا احسن - من خلال المهاجرين المصريين - بأن
السبب المصري عملا شجب صاحب حضارة عظيمة ومنمنح بتقافة
عالية . وانه يسمى او تصاحب عدد المهاجرين المصريين . »

ومن الزكك ان السبب الرئيسي في ذلك يرجع أولا الى تركيز
المصريين في وظائف معينة وهامة داخل المجتمع الكندي ، منها مثلا
التدريس ، ففي وزارة التعليم هناك الآن خمسةائة مدرس عربي -
معظمهم مصريون - شومون يتدريس اللغة الفرنسية في منطقة
كورك وحدها . هذا الرقم على مسئولية الاب كورباتي .

ولكن اذا كتب جلدور المصري في كندا قد اصبحت غفلا الى
المدارس واحمره التعليم ، فلن الصبايين والسوريين - بسبب
هجرةهم المبكرة الى كندا - قد اصبحت طوبوهم الى الحق في ذلك
ان احد المهاجرين العرب مثلا - الذين هم من اصل سوري قد
اصبح عضوا في البرلمان الفيدرالي ، واسمه بيير ديتلي .

وهناك عضو آخر مجلس السيوخ الفيدرالي من اصل لبناني
واسمه بيحانيل باشا . وقد اخبرني الاب كورباتي ان الحكومة
اللبنانية اخارت فاقيا من العاليه العربية للفصل في الراع الذي
يكون احد اعمد العاليه طرفا فيه - على خلاف النظام الموصول
به هناك ، وذلك لصرا من تعذرهم العاليه العربية في كندا .

x x x

والنصبة الثانية للتمتع بالعلية المصرية باللات على نطاق
واسع هو الاب يوفليل الذي اوفدته مصرية لالافاد في مصر
الى كندا سنة ١٩٦٧ لرعاية احوال كاتسيحين اللوجودين في شمال
امريكا . ان القس يوفليل حاصل على الدكتوراه في الاجتماع من
فرنسا ، ويقوم حاليا بتعليم الكنيصة المصرية في كندا والولايات
المتحدة .

ومعما ردت القس دوفاتيل في المرة الأولى بعد وصوله الى كندا بسعة واحدة ، كان ما يزال مقيما في شقة ضيقة ، وبإمكانات محدودة للعامة . ثم روثه مرة أخرى بعد ذلك بسنتين . . فوجدته قد انتقل الى منزل حديث . منزل من دورين وسط مدينة مونتريال ، محجور بالامكانيات اللازمة له لشراء عطله . وبعد ان كان يبحث عن المربين المسيحيين في المرة الأولى ، اصحوا هم يبحثون عنه في المرة الثانية ، واصبح لديه جدول بالزيارات اليومية التي يقوم بها ، ومواعيد سفره المنتظمة الى الفن التي يتجمع فيها المصريون كل يومى سبت واحد .

وبالطبع مازال هناك محنة بين النشاط الذي تسنطيهه العالية المصرية ، والنشاط الذي تسنطيهه العالية السورية واللبنانية . ان ضعف الامكانيات المادية ، وقلة الصناديق ، وقصر المدة في كندا . هي اسباب رئيسية في ذلك . ان العالية اللبنانية السورية نفسها لم تبدأ نشاطا اجتماعيا موحدا الا بعد ان قضت في كندا اكثر من ثلاثين سنة .

لقد شكل اللاتيون والسوريون حمية لهم في سنة ١٩٦٩ . لممارسة النشاط الاجتماعي والتماني . جمعية احتضنت في سنة ١٩٦٩ بويلها القضي . وفي هذا الاحتمال يعرور خمسين سنة انماست الجمعية هذه حطاب للطعام والرفس وجمع التبرعات ، واصدرت كتابا انقضا شخصيا لراه من بدى الى . كتابا ييسوله للاعضاء باربعة دولارات . ويضم دليلا صادقين وللمعلومات اربعة الاف سوري ولقي من أعضاء الجمعية المتمركزين في مونتريال ، اوتاوا ، ونورثونو

والكتاب بدأ بصورة خطاب من جون دراو عمدة مونتريال . . موجه الى رئيس الجمعية اللبنانية السورية الكندية . في الخطاب يقول القمعة « اننى سعيد بالتشركة مع الاصمبفاد الصغيدين بالجمعية اللبنانية السورية الكندية في تقديم التهناني القلبية منى ومن زملاي المواطنين في مناسة العيد الخمسين لتأسيس هذه الجمعية . ان زملائي المواطنين ذوي الاصل اللبناني والسوري قد ساهموا دائما في تقديم وبدو مفعمتنا . ان احصائاتهم بهذا العيد سوف تشهد بقدر شاك تقييما لاجتازاتهم واملا في التفرح نحسب اهداف جديدة . ان الجمعية اللبنانية السورية الكندية في كويك قد لعبت . من خلال نشاطاتها المتنوعة . دورا ديناميكيا في كثير

من الحركات الاجتماعية والثقافية . التي انضمت لها نبطلة دائما ومستمرًا » .

ان نشاط الجمعية السورية اللاتينية في كندا لا يتم فقط من خلال ناديهما في مونتريال ، وانما ايضا من خلال الجمعية المتفرعة عنها للسيدات اللاتينيات والسوريات في كندا . جمعية خيرية تسكنت في الاخرى في سنة ١٩٢٠ .

وعندما قامت رليه هذه الجمعية في مونتريال - واسمها مسز ابلي ابو سمرة قالت لي : « ان الحديث حول تشكيل هذه الجمعية بدأ في سنة ١٩٢٩ » حديثا بدأ على اساس حاجة الجالية اللاتينية السورية الى جمعية خيرية تقوم بتقديم المساعدات للأسر المتفجرة الموحدة . او لرشد ومساعدة المهاجرين الجدد الذين يصلون من الوطن . وقد تقرر تشكيل هذه الجمعية في اجتماع خاص حضرته ثلاثون سيدة ، برئاسة الزوجية السيدة بلاء . وفي ذلك الاحتفال اعلنت السيدات ان هدفهن هو مساعدة المحتاجين من أسر المهاجرين السوريين واللبنانيين ، واتخذن مسز وبلي عبد النور رئيسة لهن ، ومسز سليم الشامي باقة للرئيس وحيدن رسم الاشتراك في الجمعية ثلاثة دولارات سنويا ، مع استخدام نادي الجمعية اللاتينية السورية في مونتريال مقرا لاحتفالهن بصباح النشورة »

واضاف مسز ابلي ابو سمرة : « اني الان انتخبت رئيسة لجمعية السيدات هذه . لقد ارفع رسم الاشتراك السنوي الى خمسة دولارات ، واصبح عدد ممولات الجمعية في مونتريال فقط يقرب من المائتين سيدة ، التسة الاكثر منهن نشيطات ونشاط الجمعية تتم نموله من طريق الحفلات التي يعيها الطعام والزينة وجمع التبرعات » .

وقبل ان اتس ، فريد ان اسجل ان مسز ابلي ابو سمرة كانت تعيش معظم الوقت بالثقة الانطورية . انها حاولت في البداية التحدث باللغة العربية ، ولكن بعد كلمة او كلمتين استعصبت باللغة الانطورية . انها تمثل الجيل الثاني من المهاجرين اللاتينيين في كندا . انه جبل ذاب اكثر في المجتمع الكندي ، ولا يعتمد بصورة واضحة لوطنه الاصلية الا عن خلال والده . صورة تتركز عليها دائما في الشهور بالعتين والشوق نحو الوطن الاصلية .

ومع أنها سيدة خفيفة الدم جدا ، ومع أنها الآن مواطنة تعمل
البحرية الكندية - وهناك مع زوجها شركة ضخمة في مونتريال -
لا أن أتول شيء طيبته مني هو : قل لي آخر تكتة اطلب تقيسني
نفسه من أي عربي عندما تطلبه ، فالتكتة هي فن السطرية ..
والحياة في كندا لا تعطي وقتا حتى للسطرية !

إن الحياة في كندا تسلي فقط وقتا للعمل ثم الراحة من العمل .
وحتى الراحة من العمل هي في الوقت نفسه استعداد لعمل اليوم
التالي . أنه مجتمع المتحركين فقط .. الساعدين فقط . النشطين
فقط . أنه مجتمع من المهاجرين ، والمهاجر بطبعه شخص نشيط
كفء ، متحرك ، وعظم ثروته أكثر أو مباح أفضل . أن إدراك هذه
الحقيقة كان سببا في الهجاء اللاتيني واليسوديين . ثم المصريين
مؤخرا ، إلى كندا .

وكما تمكنت أكثر في حياة أعضاء الجاليات العربية في كندا ..
فإن هذه الأعداد سوف تختفي من صياحك - هتاز ، ولكن مقصدا
منعوق .. لكن مصر - مطبخ - لكن محارزف . كفيه .. لكنه
معاصر . أن النماذج السابقة من الأشخاص يرفضها مجتمعنا كثيرا
أنه يفضل عليها نماذج أخرى بلا طعم ولا لون .. ولا خطا .. يفضل
من لا يحرب ولا معاصر ولا محارزف ولا بشر مشاكل .

ولكن هذه النماذج نفسها هي التي نصح في كندا . أن المجتمع
هناك يطلب منك أن تعمل أولا . العمل شاق . إذا عملت ..
فمتكادما إذا تعلمت . منكسب .. إذا فزقت .. لم تقدم
إذا فكرت لمستنجح .

أما إذا لم تعمل فالوظيفة مقبرة لك والجميع مصيرك . ساعتها
لن ينتظرك أحد . ويرحلك أحد . ساعتها لن تستطيع التقدم ، ولا
حتى التراجع إلى بلدك .. لكن برحمتك فيها أحد ..
و .. نحن الآن قد جئنا نتحدث عن المجتمع الكندي بلغة أنه
حديث طويل يحتاج إلى فصل آخر لمناقشته .

نظرة على المجتمع الكندي بمحدث من كندا فقط !



باختصار شديد هذه هي كندا : البعد هندي .. الاب انجليزى .. الام فرسية .. الابن اللبى .. والزوج امرىكى . انه زواج بمقد عرفى . زواج غير موجود رسميا - حتى لا يرد الناس الاشاعات - ولكنه زواج طلى . انه حقيقة ، امر واقع ، قدر لا مفر منه !

ان كندا اخذت ارضها من الهنود الخبر ، واخذت دستورها من بريطانيا ، وشاعها من فرنسا ، وبلائها من اللبى ، ونقودها من أمريكا !

ان ميراثها هندي ، الخبائها انجليزية ، طعمها فرنسى ، شوارعها اللبى ، ثم حباها كلها بعد ذلك .. أمريكية !
ان الحياة في كندا معناها في الواقع الحياة في أمريكا .. دون ان

تكون موجودا في واحدة من الولايات الخمسين بأمريكا . إن كندا هي الجار الشمالي للولايات المتحدة الأمريكية ، ومع ذلك هناك في كندا نخص بـ مثلا أحسن لنا - بذلك ما زالت في أمريكا .

طائر رجل الصادي بكندا أصبحت بلجة أمريكية ، ويركب سيارته جويك أو بليموث أو فورد ، ويذهب بها على طرق سريعة ، ويملأها بنفس نوع البنزين ، ويذهب إلى السينما بسيارته ، ويأكل الهامبرجر والسجق والفسطاط ، وشاهد مباريات الكرة في التلفزيون - أحيانا على نفس القناة القوية التي تشاهدها أمريكا ، ويعيش في منزل مكيف ، مطبخ عصري مجهز ، مطبخ جيد فيه دائما التلاجة والسخان والغلاط واليوتاجات الأتوماتيكي وغسالة اللابس وغسالة الأطباق ، ثم .. بعد هذا كله .. يعمل معه في أحارله مشواة لاعلام الطعام على الشاطيء .

إن الرجل الكندي يعيش الآن كأمريكي . دون أن يكون أمريكا حياة تتيح له امتيازات كثيرة ، ولكنه يدفع ثمنها أيضا . فلاحور أقل من أمريكا قليلا ، والجرارد من أمريكا قليلا ، والدولار الكندي أقل في قيمته من الدولار الأمريكي قليلا .

ومع ذلك .. فهذه هي الصيغة التي أختارها كندا للحياة بحوار الصالح الأمريكي . فقد تزوجت كندا بأمريكا . زواجا مع نصف النجس . أن الزوج والزوجة يعيش كل منهما في بيت مستقل . دولة مستقلة . الزوج يدفع الأموال ، والزوجة ترد إليه الأرباح كل سنة . فربما ضخمة . إن حجم الاستثمارات الأمريكية في كندا وصل إلى ثلاثة آلاف مليون حبة خلال السنوات الست السابقة فقط .

فحينما تكون كندا هي البحر الشمالي للولايات المتحدة ، وحينما تكون شعبها مشرب من مليون . بحوار نصف أمريكي يزد هبطه على ٢٠ مليون ، فلابد أن يؤدي هذا الوضع إلى وجود تأثير مستمر لصالح الدولة الأكبر ، وهي الولايات المتحدة . ولابد أن نلاحظ هذا التأثير في مظاهر الحياة اليومية بكندا ، وفقا لما نرى إليها أول مرة .

إن كندا بلد سيد ما بها صائل ١٧ ساعة بالطائرة . أنها تقع في فترة أمريكا الشمالية . نصف أمريكا وتقع شمال الولايات المتحدة الأمريكية . إن كندا هي ثلثي بلاد العالم من حيث المساحة . معنى ذلك أن مساحتها أكبر من مساحة الصين الشعبية مثلا ، وأكبر من

مساحة الولايات المتحدة نفسها . بل ان مساحة كندا تكاد تتساوى مع مساحة جميع الدول العربية ، فيما سكتها هم خمس سكان الدول العربية

باحصار مساحة كندا عشرة ملايين كيلو متر مربع وسكانها عشرون مليوناً .

ان هذا العدد الضئيل من السكان لا يكاد يوحى بأن كندا يمكن ان تصح ذات شأن في المستقبل . ولكن الحقيقة عكس ذلك تماماً فلو استمر المجتمع الكندي بمعدل تنميه الحالي فان القرن القادم سوف يكون قريبهم . حقيقة كانوا طفولها لاطفالهم في المدارس ملك سوات . المنقل سوف يكون لهم . هذه الحقيقة تتأكد سنة بعد أخرى . بالرغم من المشاكل الحضارية التي يواجهها شعب كندا .

في هذه النكاح مثلاً . تبعد الثقافات التي تسمى السيطرة على العقيدة الكندية . هناك الثقافة الفرنسية من جانب والثقافتان الانجليزية والامريكية من جانب آخر . ونتيجة لهذا التماسك أصبحت كندا حصراً فوق الدعوة الثقافية بين أوروبا وأمريكا . أصبحت حلاً وسطاً بين الحضارة الأوروبية والتكنولوجيا الأمريكية ولكنه لم يصبح حلاً الأمّخراً فقط . فمن ثل ظلت المشكلتواجه كندا لسنوات طويلة .

فالصراع بين الثقافتين الفرنسية والانطو سكوية على ارض كندا يرجع الى ثلاثة قرون سابقة . فن كندا كانت أرضاً محمولة حتى نهاية القرن الخامس عشر . ثم بدأ الناس يدفعون الى كندا قادمين من أوروبا . بحثاً عن الثورة واسلوب جديد في الحياة . الفرنسيون ذهبوا أولاً ، ثم الإنجليز - لقد بدأ كل منهم يكشف هذه الأرض المحمولة الواسعة ويضع لها الخرائط . وخلال فترة قصيرة أصبح خليج سانت لورنس في كندا مخصصاً لامبراطورية فرنسية جديدة في أمريكا الشمالية . بينما برطانيا تقيم هي الأخرى امبراطورية ثنية لها في الشمال الغربي من كندا .

وكان لابد في النهاية أن تقع الصدام بين الامبراطوريتين . بين الهاحرين الفرنسيين والهاجرين الإنجليز أولاً ، ثم بين الدولتين الحاميين .

في كندا - المولودة حديثاً - هي موضوع هذا الصراع . لقد اختلط الأب - الإنجليزي - مع الأم الفرنسية خلطاً أدى الى

الطلاق . عندما وقع الطلاق بين الام والاب بدأ الخلاف على النقطة الرئيسية من منهما له حق الوصاية على الطفل ، على كندا ؟ .

وبعد صراع طويل ومناقشة حادة بين بريطانيا وفرنسا . . انتهى الخلاف على مسألة مفاوضات . لقد ظهر خطر جديد قادم من الجنوب - من الولايات المتحدة - التي كتبت لغرض قتل الحرب الأهلية بين شمالها وجنوبها . وبدأ بلوج في الاقتراف احتمال قيام الولايات المتحدة بجزء أراضي كندا أو ضمها . . كمنعاب لبريطانيا ضد مساعدتها للجنوب في الحرب الأهلية . عند هذا الحد أصدرت بريطانيا تشريعا سمي « قانون أمريكا الشمالية » بعد هذا القانون بدأ الاتحاد النرويجي بين المقاطعات الكندية . الاتحاد غيرالي انتهى إلى قيام دولة كندا من المحيط الاطلنطي شرقا إلى المحيط الهادئ غربا .

ان هذا القانون صدر في اول يوليو سنة 1867 . انه قانون لا ذكره كندا اليوم باعتباره يعمل قرار ميلادها . ان هذه - على ما اعتقد - هي اول دولة تحتفظ بشهادة ميلادها في تاريخها . . مكتوبه بالساعة والتاريخ !

× × ×

ومع ذلك . . فان شهادة الميلاد لم تحل المشكلة تماما . فحتى اليوم ما زالت للمسي في كندا ذلك الصراع المستمر بين الثقافتين الغربية والانجليزية . وفي وقت قريب انشئت في مقاطعة كوبيك - أغلب سكانها من أصل فرنسي - دعوة للانفصال سياسيا عن كندا . وهذه الدعوة الحادة - هذا الخلاف الساحق - أدى إلى وجود لصين رسميين الآن في كندا : الإنجليز والفرنسيين . وأدى إلى إعطاء فرصة متساوية للثقافة الفرنسية . . تواجه بها يعود الثقافتين الاسلو سكويه في كندا . بل أنه حدث منذ سنوات قليلة أن قامت حكومة كندا بتغيير اسم شركة طيرانها من « ترانس كندا إيرلاينز » إلى « إير كندا » لارضاء الفرنسيين .

ان هذا التعمد الاخير والثقل ليس هو المشكلة الوحيدة في التعرف بكندا . في الواقع ان التعرف بكندا هو امر صعب من نواح كثيرة . صعب لان كندا بلد واسع جدا « مسوح جدا » شعب مختلف في أصوله جدا « متعدد في أسلوب حياته جدا » .

ان حدود كندا مثلا تطل على المحيط الاطلنطي شرقا له المحيط الهادئ غربا والمحيط القطبي شمالا . . عشرة ملايين كيلو متر

مربع . لهذا تجد ان الكنديين يسجلون اكر رقم مكالمات طبرقية في انعام . هناك مليون قتل شعبيين وصف شخص من السكان ودرجات الحرارة في كندا مشوقة . اقلها ٢٥ تحت الصفر في اقصى الشمال ، واعلاها ٥٠ درجة مئوية (اي اكر من حرارة اسوان) في الجنوب . تستطيع ان تجد الصييد في كندا .. او تعد القطب الشمالي .

والكان في كندا مختلفون . انهم مشردون مليوناً - هذا صحيح ولكن ٤٠٪ منهم هم من اصل بريطاني .. ومن لم فانهم الاول في الانجيزية ثم ٢٠٪ من السكان هم من اصل فرنسي .. ومن لم فانهم الاول في العربية . يام السكان من جسيات اخرى متعددة . الجالية الالمية مثلا هي ثالث مجموعة سكانية من حيث الحجم .

وقد كان يقال في الماضي ان الانجليز والفرنسيين هما « الجسان الفرنسيين » لكندا . عبارة مضللة لان كلا من الفرنسيين والانجليز يسميان لنفس القوقازي . وهي مضللة ايضا لان كندا - قبل الاكتشاف الاوروبي لها - كان يقطنها مجموعة من الهنود والاسكيمو .. كل منهم يعتبر جزءا من الارض مملوكا له .

والان الانجليز والفرنسيين والاسلم هم اهم ثلاث مجموعات سكانية في المجمع الكندي .. فان كلا منهم نقل الى كندا صفاته الاصليه . التي كت اواجهها هناك من وقت لآخر .

فالفرنسي : بروني ، عاطفي ، صافي الذهن ، مسرد ، تحصل منه على كل شيء من طريق اعتراضه بكرامته .

والانجليزي : روتيني ، صيد ، هادي ، صبور ، لا يؤمن بالثورة ، بعد التقاليد ، يتظاهر بأنه فني ، وتحصل منه على كل شيء من طريق شعوره بتأدية الواجب .

والالمانى : منظم ، مطيع ، منظر ، حيوي ، كمد ، محب لوطنه ، بعد القوة .. وتحصل منه على كل شيء من طريق شعوره بالمسئولية الاجتماعية .

لهذا أصبح المجتمع الكندي المعاصر خليطا مشتركا من هذه الشخصيات الثلاث ، رائد الشخصية لامريكية .. التي مسندوها ماله منل فيما بعد . وما بالي القور على عدة ملاحظات

فأولا : مع ان مساحة كندا تغطي اكثر من نصف قارة امريكا الشمالية .. الا ان معظم سكان كندا يصعد عامة (٧٠٪)

يشور داخل مائة ميل فقط في جنوب كندا وكشمال الولايات المتحدة . لان هذه المنطقة أكثر دسنا بقطع وأكثر قربا لأمريكا . وثانيا : ان مقاطعتي كويك وأونتاريو هما أكثر مقاطعتين في كندا ازدحاما بالسكان ، حيث يتركز فيهما حوالي ٦٤ ٪ من مجموع سكان كندا كلها .

وثالثا : ان معظم السكان القادمين من اصل غربي يتركزون في منطقة كويك مكندا يسمي معظم القادمين من اصل انجليزي يتركزون في مقاطعة أونتاريو ، ومقاطعة كولومبيا البريطانية . وواقع ان بريطانيا تسمى في كندا في أكثر من هاتين المقاطعتين ولكن مقاطعة كولومبيا البريطانية بالذات تستطوع ان تسمى مظاهر الحياة الانجليزية هناك يوما : ثلثي اللغة العامية في المارقي العنيفة ، لطباق الكوك ، لغة المولود على مدار السنة . الخ . ان السياح الأمريكيين الذين لا يستطيعون عبور القارة ثم عبور الاطلن ليرفدوا انجلترا يهيمون الى هيا كينرل من زبارة لندن .

أما فرنسا فانها تعيش داخل كندا في مقاطعة كويك ، وبالذات في مدينة مونتريال بمقاطعة كويك . ان مونتريال هي أكبر مدينة في كندا ، وهي رابع مدينة في غارة أمريكا الشمالية كلها ، وهي أكبر مدينة في العالم تتحدث الفرنسية بعد باريس . في الواقع انهم يسمونها أحيانا « باريس أمريكا الشمالية » . ربما . فالعديت في مونتريال أحمل وأكثر ألفة منهم في أي مكان آخر بكندا . والطعام في مونتريال هو أيضا أحسن وأكثر تنوعا وبقل ان عند مطاعم مونتريال يصل الى لزمة آلاف مطعم ، بعضها له سمعة دولية . وجيه الأبل في مونتريال هي أيضا أكثر تنوعا منها في كندا كلها .

وبالإضافة الى ذلك فان مونتريال فيها أكبر إنتاج من أجهزة التليفزيون الفرنسية في أي مكان في العالم . وفيها أيضا يقسم مهرجان دولي للأفلام بنفس مهرجان نيويورك وسان فرانسيسكو وفيها ثلاث جامعات : جامعة ماكجيل ، وهي الأقدم وتتحدث الانجليزية . ثم الجامعة الفرنسية الضخمة « جامعة مونتريال » . ثم الجامعة الحديثة « جامعة المير جورج ويليام » ذات التي العصرية التي تشبه دكاكين القالة .

ان مونتريال هي المدينة الوحيدة في كندا التي تستطيع ان تقف على قدم المساواة مع لندن ، نيويورك ، باريس ، طوكيو ،

أو سان فرانسيسكو .. كطبية دولية مثيرة تعبها فيها بمتعة .
 انها عذبة قبل صبرها من ٢٥٠ عاما ، ومع ذلك هي واحدة من أسرع
 المدن نمواً وبطوراً في العالم . لن سكانها لايزيدون على ربع سكان
 مدينة نيويورك ، ومع ذلك فانها تصغر سنواً على عدد تراخيص
 البناء التي تصدرها مدينة نيويورك . لن مونتريل مدينة تتطور
 بسرعة ، تنمو بسرعة ، انها حقاً لا تنمى . انها تنفجر ، ان
 الماس تطلق فيها الى ارتفاع لربيعين طلباً . تطلق من الثقوب
 في الارض لتصبح باطحات سحب خلال اشهر قليلة .. ان راحة
 لبار الاسمنت هي دائماً في انك حينما تسير في شوارع مونتريل
 لن منطقة المطبات الصحريه في وسط مونتريل تغطي تدرجها
 لنصب تحت الارض ، في حافة طلاق بينها وبين رحل المبررات
 ورحل الناس فوق الارض . ول احد هذه المراكب المية تحت
 الارض - بلا سجيل ملوي - تحت الطلسم والمصلات والسفرج
 والمخفى .. موجوده املك تحت الارض بعيداً عن السيارات
 والالوبيسات المتراخمة في الشوارع فوق رأسك . ان أحدث
 بورصة في العالم موجودة هنا - في مونتريل وأحدث الطرق
 السريعة موجودة هنا - تحيط بمونتريل من جميع الاتجاهات .
 وأسرع طريق الى نيويورك تستطيع ان تسير فيه من هنا (..)
 ميل ، وانظروا السبعين مجدهن هنا ، موكديات بلاطى القراء
 تحولن في المحلات ثم تسيرن النساء مساءً في وجن . من
 البلاط التي ترتديها هؤلاء السيدات مع أحد الرجال لروة
 ضحكة ، لم مات . اسمه جيس ماكجيل .. لاجر القراء الذي
 ترك امواله لتأسيس صحيفة سميت باسمه وهي الآن من
 احسن جامعات أمريكا الشمالية .

ان مونتريل هي رمز غامض كندا ، ففيها بدأ أول بنك وأول
 سكة حديد ، أول باخرة .. وهي أيضاً رمز لمستقبل كندا ..
 حيث أحدث بورصة .. أكثر سكان .. احسن تعليم ..
 أنشط أدرة ..

وتكن .. مع هذا كله .. فان مونتريل ليست هي كل كندا
 في الواقع ان كندا تختلف كثيراً جداً عن مونتريل .. بل ان كندا
 الحالية تختلف جداً عن كندا التي سحر بها الفكر الفرنسي
 هولتر يوماً قلة انها .. مجرد اقلية من اقلية .

ان الوحدة التقليدية للحياة في كندا هي القرية ، وليست
 المدينة . صحيح ان هناك عدداً من المدن الكبيرة في كندا ، ولكنها

تمثل استثنائات على قاعدة عامة . القاعدة هي انتشار القرى الصغيرة .. أو على الأصح .. المدن الوسط بين العاصمة والقرية بل أن مدينة أوتارا - عاصم كندا - هي مجرد قرية كبيرة . في مثل هذا المجتمع لا يمكن أن تكون غريبا .. قلت لا يمكن أن تسمر بالمدينة داخل قرية صغيرة .. أن الصحف المحلية تنشر صورتك عندما تخرج وحصة قبيلة سيلز أو عندما تتزوج .. كعبر عام يستحق اهتمام الناس ..

أن هذه هي الطريقة الوحيدة التي نعام بها الكنديون مع مشكلة الحجم الضخم لديهم . أن الإحساس بأن شعب كندا هو شعب من التجمعات الصغيرة .. إحساس يتأكد لديك كلما مررت خلال مدد من المدن الصغيرة عبر أطراف كندا .

قد شئت مدة أيام في إحدى هذه المدن الصغيرة - مدينة شيربروج - عشت في منزل صدقي الصوف هنريك الدكتور مصطفى الهلالي . وبعد أن عشت في هذه المدينة الصغيرة بدأت أحس بمزاجا جديدة .

في شيربروج ، مثلما في أي مدينة صغيرة أخرى في كندا ، تطيح أن تجد الأسواق المحلية ، الجسيدة المحلية ، الإذاعة المحلية ، أن هذه الإذاعات المحلية هي كلها مع كروية متكررة من البرامج والإعلانات التجارية .. ومع خروجك بالسيارة من مدينة ودخولك إلى مدينة أخرى .. بعض صوت إذاعة المذسة السابقة تتردبها ، وتبدأ في سماع صوت الإذاعة المحلية الجديدة للمدينة التالية .. أنها تقول لك في إعلانها اشتر سميلا كبيرة بالنسر القادي .. وسوف سيطيك معها سيارة صغيرة محانا .. هكذا تحصل على سيارتين بسر سيلز واحدة ، هكذا يقدمون لك الإعلانات المستمرة في المجتمع الكندي .

أن الحياة في المدن الصغيرة قد تكون أمرا مريحا لأناس كثيرين ولكن بالنسبة لي شخصيا ، كان القل يتسلل إلى بسرعة بعد هذه أيام . وفي كل مرة يحدث ههنا ، كنت أحس أن أحسن شيء أستطيع أن أفعله هو أن أنزل إلى التسوق الرئيسي وأسير متارجا على الناس ..

وفي إحدى هذه الزرات القريب عندي رجل عجوز سألني : هل أنت متعلم ؟ وله إجابات بملأ فم ، فأسأل بيده غريبا . هل أنت متعلم ؟ .. هكذا كود الرجل سؤاله مرة أخرى .

ولاول وهلة تصورتها طريقة جديدة في الشطلة ! ولكن الرجل
عندما بنى من الحصول على اجابتي سألني : كم تسأوي لرجل
عندما يصعبها اربع مرات ؟
وعندما ظلت لرجل « مائة وستين » .. بها عليه السرور
والانسراح .. لقد تركني وهو يكرر لنفسه متحدثا مائة وستين
.. مائة وستين .. مائة وستين .. ما و .. !

وربما كانت هذه هي المرة الوحيدة التي سمعت فيها هذا
السؤال في كندا .. والتعليم في كندا - التعليم المبرر - هو
شيء حيوي جدا . ان صوت الراديو يصل لك بانتظام ..
« لا يطفئ » .. هذا شعار يتردد كثيرا .. ان الراديو يقول لك
« ان التعليم مصعب النقود » .. تخرج من المدرسة المبيا وسوف
تكتب اكثر .. ان الحكومة تقول لك سوف تدفع لك مئة
دولارات شهريا اعانة من كل طفل لك تحت سن العاشرة . ثمانية
دولارات من كل طفل تحت سن الثانية عشرة . بعدها سوف
الاعانة .. ولكن . اذا استمر ابنك في التعليم بعد سن السادسة
عشرة ، سوف ترفع اعانته الى الضريبة بمقدار ٥٥ دولارا في
السنة .

ان التعليم الاسرائيلي والنازوي حقا في كندا ، ومع ذلك فانهم
يقدمون هذه الاميزات لانهم الساس على مواصلة التميم انك
تلمس هذه النظرة الطيبة للتعليم حيا الى حب مع بنانا النظرة
المعاطفة الامور . وهناك .. بقايا كثيرة من هذه الصراط في كندا
انني ما رل اذكر شخصا معا كنت اقبله في الصديق الذي
برئت به في حدة اولوا .. انه جرسون يعمل في مطعم الصديق
وفي كل مرة ابول فيها طعما كان هذا الرجل ياتي الي ،
بانتسامة واسعة على شعبيه قائلا تحت امرك يا سيدي . هذه
كلمات عادة . ولكن غير الصيادي هو ما يقوله بعد ذلك .
« هل انت غريب يا سيدي . اهلا بك هنا .. هذه هي ارضي
المستقبل .. انت الآن في كندا . ارضي الاحلام . كلهم اهلك هنا
يعلمون شيء ما . ولكن قل لي لو سمحت .. هل يصحك طعامنا
هنا ؟ هل يصحك حقا ؟ ثم .. هل تصحك كندا ؟ لرحو ان تصحك
يا سيدي ! انما لم تصحني قنا عندما هاجرت الي هنا في البداية ،
ولكنني بعد ذلك احببتها ، عشقتها .. »

ان جورج - هو اسم الجرسون على ما اذكر - كان يسألني
كل يوم نفس السؤال بحماس شديد : ما رأيك في كندا ؟

انه يقول السؤال .. ثم يقول النظر في وجهي مراقبا اقل
صغير ، اقل تعبير ، اقل إشارة ، اقل علامة .. كود فعل ..
لسؤاله ، كما كان يقول لي سؤاله لأول مرة .. او كما لو كانت
الاحبة التي ساردها بالحوالا ماثورة !

ولكن الكنديين هم عدد كبير من جورج هذا . انهم شغوفون
بمعرفة راي الآخرين فيهم ، انهم يسألونك على الطريقة الانجليزية
ويسمعونك على الطريقة الالمانية ، ويردون عليك على الطريقة
الفرنسية .

وربما كان هذا الاحتمال مهم بمعرفة راي الدنيا فيهم .. هو
بقايا لاضرامهم من العالم .. انهم لم يهودوا مبرلين ، ولكنهم
كانوا كذلك في وقت ما .. ان هذا الانزال الرطبي افسده كثير
في حياتهم . وحتى في تفكيرهم ، ان الشخص الكندي العادي
يستطيع ان يحمل قفله مجموعة غرف مستقلة لهما من بعضها
البعض في كل تجربه موضوع او مشكلة . ول العرفة المجاورة
موضوع مختلف لهما او مشكلة اخرى جدا ..

انك تلمس هذه الظاهرة اكثر فاكتر على المستوى الشخصي ..
لقد حدث لي مرة ان ركبت القطار من مونتريال الى اوتاوا . وفي
القطار جاء مقفلي صوفى بيده شاة . بيده مزوجه ..
صمرها لا يزيد على الثلاثين .. صبغا جلست انا كنت هي تقرا
كتبا وجهها جاد جدا ، فيها على الكتب تلمسا . مقلها مع كل
سطر لقراء . اصاحها على كل صفحة تلمسا .

بعد خمس دقائق رجعت البيدة عيها من على الكتاب .
وبدأت تالتي . الان وجهها مشرق جدا ، فيها لامتلل جدا ،
انتمدتها واسعة جدا . حمى دقائق .. ثم الى الكتاب مرة
اخرى ، بعد عشر دقائق .. امضت البيدة الكتاب .. في هذه
المررة انفضت نهائيا . وبدأت تتحدث معي .. حديثا بدأ حيا
جدا .. واتمنى غير جاد جدا !

وفي كل مرة كنت انصت مع الشخص الكندي العادي كان يتأكد
عنشى نفس الاحساسى .. الاحساسى بأنه سوف يقول .. الان
دعا بفضحك « فضحك » .. الآن دعنا « نتناقش » لأن -
لا بفضحك .. !

ربما كان الانزال الجغرفى الذى عالمت فيه كتبا قبل مرة
سبا في ذلك .. ربما لم يكن . ولكن احساسى الشخصى ان له

علاقة . لقد ذهب الى كندا في ابدية كل شخص مرغوض من
محتجعة ومن ظروفه . لقد عاش هناك يصنع ظروفا جديدة ..
عاش على ارض غبراء . وفي طقس يرفض الانسان ، طقس يرفضك
يصنع السمة على ان تعيش في عزلة وتفكر في عزلة .

لقد ذهب الى كندا اول مرة في شهر نوفمبر . ثاني مرة في
سهر يونيو .. هرب فلتح من المربى وبين الثعابين . في المرة
الاولى بدية الشتاء ، في المرة الثانية بدية الصيف .. بدية
الخروج الى السوارع والاحتلاط بالناس والحياة خارج المنزل .
علا يحدث في الصيف فقط . اما في الشتاء فانت وحيد داخل
لمرك . داخل مرك .. بعيدا عن البرد القارس في الشارع .

ادكر واتا في اولنا اني كنت أحب كثيرا ان انظر من نافذة
عزتي الى الشارع قبل لمظلات من سقوط الظلام . ان السماء
لمطر تلح . والشمس على الارض تمسك عليه لون الحرب الى
الزهره ، امل قلبا من يدرة السماء اني اري في الشارع اناسا
قليلين يسرون بطء . سيارات كثيرة تهمو سرعة .. ومن مكاني
في حبرتي كنت اشاهد الناس الواحدة . حواشي وحاجية مطلقة
على سطر خبيثة . سائر يطو من داخلها قبل من الضوء في
لون يرفالي شاحب . لم يكن هناك صوت مجرد للبحر يتساقط .
مجرد سيارة تمر الشارع من لحظة واخرى .. والمظلات
طيلة في كل مرة الصعود بعض في موسكو وليس في اولنا .
هكذا يصون جو موسكو في الشتاء ..

واقعد كنت الصور اني عرفت شئ كثيرا هذا . تلح بلع .
هواه شئ ، سمات حامة ولكني لم ادرك كم كان هواه الشتاء هنا
حاما . الى ان تركب قطعة خمس مرة في السفارة ليل . وفي
الصباح رأت قطعة الحزم ما رأت خافة .. ولكنهما أصبحت
اكثر حفا . اكثر حفا من قطعة جديد .

وعلمنا كنت اشعر بالحمام في فمي كنت اشرب كونا من المياه
او انزل لاشرب كونا من البيرة . ان التعلق الذي انزل فيه به
مرقص ويلو في الدور الاخرى .. انه كل ليلة مزدهم بالناس
والوسيم والرقص .. ولكني كرهت الاعتذار من عدم الرقص
كل ليلة ، ثم كرهت فذبح البيرة ثم المنظر كله الذي يكرر كل مساء
.. في هذه اللحظة يحس الانسان بالكل . وعندما لا يكون لدى في
الحضرة ما اقراء ، وعندما لا يمر على حديق . فانت كنت اشعر
بوحدة قاتلة ..

ان هذا السور بالوحدة - هذا الاحساس بالحرية - هو اول
احساس يكتسبه المصري في نفسه عندما يلحق الى كندا مهاجرا ،
او حتى زائرا . انه احساس يلزمه في ايامه الاولى بالذات ،
ايام البحث عن وظيفة ، عن فرصة عمل .

ولكن المصري المهاجر لن يكون وحده الذي يشعر بهذا
الاحساس . هناك مليونان ونصف مليون شخص آخر هاجروا
الى كندا في السنوات العشرين الاخيرة . ولما رأوا حياتهم بهذا
الاحساس . ان هذا العدد الضخم من المهاجرين - في مثل تلك
المدن القصيرة - جاءوا من مثل هذا العدد الكبير من الدول (٦٠
دولة) وبما لم يحدث في تاريخ اي دولة اخرى . الا كندا
ان المصائب التي جلت على هؤلاء كلهم أولا : قطعة ارض . ثم
بعد ذلك أصبح أسلوب حياة ، أسلوب تنظيم ، نظام عمل . ان
الوصف المشرقة التي حلت تلك الحسيات السوءة التي كندا
هي وسعة بسيطة قدر ما هي معقدة . عمل . تكافؤ العمل
أكثر . تكافؤ أكثر . تعلم . تكسب . تفكر . تتعلم .

لقد اكتسب المجتمع الكندي ان هذه الوصفة السريعة هي
الحل الوحيد الباق لأمته التي يتقدم - ثلاثة مجتمع متوسع
جغرافيا . . . مختلف سببيا . . . متغير طبقيا . . . فان المهاجر
الوحيد المفتوح أمامه للحرية بين سكانه هو مفكر عالمي .
ان معنى ذلك بسيط : ان كل خيرة جديدة تكسبها المهاجر
أو المواطن في كندا . . . سيتربى عليها أو تومأ عليها وبادة في دخله
.. كل برنامج تعليمي يدخله . . . يتربط به ترقية . . . كل برنامج
تعليمي يسمح فيه مصداق فرصة أكثر ووظيفة أفضل .

ولكن هذا معناه في نفس الوقت : انك اذا لم تعمل ، اذا لم
تتعلم ، اذا لم تتقدم ، اذا لم تنجح ، فلن يرحمك أحد . لا وساطة
لا اذعية . لا اصدار . ان العمل مطلوب أولا ، ثم بعد ذلك
المكافأة . التضحية أولا . . . ثم تأتي النتيجة هل تريد مثالا
على ذلك ؟ حسنا ..

ان أي مهاجر . . . أي مواطن هنا - في كندا - يستطيع امتلاك
أي مساحة برمتها من الأرض مقابل دولار واحد . نعم بدولار
واحد تستطيع ان تمتلك خمسين فداناً ، مائة فدان ، مائتي
فدان . . . أنت وريثك . . . هدفه هي النتيجة . ولكن قبل
الوصول الى هذه النتيجة هناك شروط . . . قطعاً قوانين تعبر
الأراضي هنا في كندا . . . يستطيع أي شخص امتلاك أي مساحة

من الأراضي المعبدة من المدن - حسب التناقل التي يعطونها القانون - بشرط أن يصورها بشكل ما خلال ثلاث سنوات . أن النعيم يبدأ من مجرد بمساحة كوح بسيط ، وينتهي إلى زراعة هذه الأرض المعبدة . هذا هو السبب في أنهم لن يحصلوا منك على ثمن لهذه الأرض سوى دولار واحد . أنهم يريدون تعمير المناطق الورد . أنها ليست مناطق بادية ، فمعضها لا نجد من مدينة مونتريال مثلا سوى ثلاثين كيلومترا . ولكن تعمير الأراضي المعبدة . أملاك الأراضي المعبدة بدولار واحد .. هو سبحة التضخم التي قامت بها أنت عندما . تضخم الحياة بعيدا من القرن العشرين . بعيدا عن الحضرة ، بعيدا عن الأمواء والدفء والناس في مونتريال . بثلاثين كيلو مترا !

بهذه الطريقة أصبح لديهم في كندا الآن 17٤ مليون فدان من الأراضي المربوعة أكثر من مائة وأربعة وسبعون مليوناً من الألفية .. (لاحظ أن كل المساحة المربوعة في مصر هي ستة ملايين فدان) .. ومع ذلك فإن هناك ٤٠ مليون فدان أخرى من الأراضي الناعرة للزراعة . وظنوا لخصانة الزرع ، فأنشئ ساقوم من الآن لخصاباً بكتابة الأرقام بالمعروف .. حتى لا يتصورها الباريء أخطاء مطبعية !

أول : أنه - بعد استبعاد المائة والأربعة والسبعين مليون فدان المربوعة عملاً والتي تمثل A فقط من مساحة كندا الإجمالية - هناك أربعون مليون فدان في كندا صالحة للزراعة فوراً .. وعلى ذلك لا يردعها أحد . وهناك بعد هذا كله ستون مليون فدان أخرى قابلة للاستصلاح الزراعي . وعلى ذلك ، لا أحد يردع .. ولا أحد يستلج . السبب : نقص السكان كيف يستطيع مجرد مئتين مليوناً من السكان تعمير عشرة ملايين كيلو متر مربع ! مستحيل بمئتين مليوناً !

أن القرن العشرين مظهرهم في كندا حلاً جزئياً لهذا المشكلة . لقد أصبحت الزراعة في كندا هي زراعة ميكانيكية وليست بدوية مضي ذلك أن الزراعة في كندا هي مجرد صناعة أخرى . ونتيجة لذلك ، ذاته سد مائة سنة كان الحجم المتوسط للزراعة الواحدة في كندا ٩٨ هكتاراً . الآن أصبح حجم المزرعة في المتوسط ٢٥٩ هكتاراً . أن المكنة والإسقاط بالآلات هما السبب في ذلك . أن تحول الزراعة إلى صناعة هو سبب . فالزراعة في كندا لا تعنى مجرد زراعة ، ولكنها تمتد لتشمل صناعات ضخمة قامت عليها .

صاعات مثل منتجات الآلات والمناجم والفواكه والخضراوات،
إنها زراعة .. وصناعة تعتمد على الزراعة - لا تستخدم مجرد
زراعة .. أنها تستخدم أساسا متخصصين .. ابتداء من
المهندسين الزراعيين إلى العمال الفنيين .

لهذا السبب أصبحت كندا هي مخرج العالم أكبر إنتاج من
الحبوب ، أكبر صادرات من الفواشي .. أكبر صناعات لمداينة .

ومع ذلك .. فإن الزراعة ليست هي أهم مجال اقتصادي
في كندا . في الواقع أن الزراعة لا يصل بها في كندا سوى ٩ ٪
من القوى العاملة . أنها - حتى - ليست أحسن مجال متاح
للمعمل داخل الاقتصاد الكندي .

إن الاقتصاد الكندي مسوع بغير ما هو صمم . أنه يفتقر
لربحية المائنة وصناعة الآلات وقطع الأخشاب إلى استخراج
النفط والنحاس والمخمس والسرول واليورانيوم ، إلى صيد
السمك وتوليد الكهرباء الرياء النسي وصناعة السيارات والصلب

إن مثل هذا الاختصار ، مثل هذا التوسع الضام ، يحتاج
إلى درجات متنوعة من الكمالات . يحتاج مثلا إلى محاسبين ،
مختبرين كيميائيين ، أطباء ، أطباء أسنان ، رسامين ، أمناء مكبات
ممرغات ، مهندسين ، صيادلة ، مدرسين ، جيولوجيين ،
علماء في الرياضات ، الفقه .. الخ ..

ومن ناحية أخرى .. فإن التوسع سيمضي أيضا درجات عالية
من العبورة والتخمس . ولكن هذه ليست مشكلة في كندا .
هناك برامج تدريبية وعلمية متنوعة تعطيكم الفرصة المطلوبة في
كل شيء .. ابتداء من آخر تطورات صناعة الصلب .. إلى آخر
تطورات صناعة الأزياء .

إن الحث من عمل في كندا فليس هو المشكلة . فلذا كانت
الجمعية هي البحث عن عمل - أي عمل - فإن كندا بها آلاف
الأمم الشاغرة التي تتوسع مائة مليون مهاجر جديد على
الأقل . وبالمائة إلى المئتين مليون الموجودين حاليا .

هناك أعمال في كل مدينة ، كل قرية ، كل شارع ، كل ركن .
لقد تعرفت مند مهاجر مصري وروحه مفتحة كفتية أسسها
كرومين . عبرها ١٦ سنة . طالعة في الرحلة الثانوية . أن
مربها مائتا دولار في الشهر . كل ما تفعله هو الوقوف ٤ ساعات

كل يوم في موقع سيارات بمدينة مونتريال . تاخذ منك سيارات لكي تدبر لها مكانا وسط السيارات الواقفة . هذا هو كل شيء . مع ملاحظة ان المائتي دولار لا يدخل فيها البمشوي الذي يدفعه لها أصحاب السيارات .

واذا كانت القضية هي البحث عن - أي عمل - فانك تستطيع شراء أو استئجار قطعة أرض في أي مدينة لكي تستعملها الناس كموقف للسيارات . لاسي ولا استثمارات . مجرد قطعة تظر فيها السيارات وتدفع رسوما بالسيارة في مقابل انظرها . اذا نجحت في ابتداء عمل هذه الأرض . فالنتيجة هي دخل شهري لا يقل عن خمسة آلاف دولار .

واذا كانت القضية هي البحث عن وظيفة - أي وظيفة - فانك تستطيع أن تعمل سكرتيرا - أو سكرتيرة اذا كنت فتاة . كل الشروط المطلوبة هي أن تكون درستك حتى الثانوية وأن تبين الانضباطية والنوسية وتعمل من الساعة التاسعة صباحا حتى الخامسة مساء ، مع أحارة يومين في الأسبوع . الاجر في هذه الحالة لربما انه دولار شهريا . هكذا فطت فتاة مصرية اسمها منى تعمل حاليا في أوتاوا - بالإضافة إلى زوجها المهندس .

الهم .. ان البداية ليست مشكلة . وهي عادة ما تكون بداية متواضعة جدا ، إلى أن يستطيع المهاجر ان يندمج في المجتمع التكني . القضية الآن ليست العمل .. ولكن القضية هي : أي نوع من العمل ؟ ان الهجرة فن .. أو مشكلة . ان استعداد المهاجر مقدما للانتماء في المجتمع الجديد .. ان دراسته السابقة لمساعدة هذا المجتمع وعلمانه وتقاليد .. ان تمكنه من اللغات المساعدة في هذا المجتمع .. ان استعداده للعمل الشاق الفنى التواصل وعدم الاستغناء لمدة سنة على الأقل .. كل ذلك يجعل الهجرة بالنسبة له في النهاية خطوة إلى الامام .

ولكن المهاجر الجديد ان يستطيع التقدم إلى الامام إلا اذا عرف أولا : كيف يبحث عن عمل .

فقد قامت عددا من الذين فشلوا بعد هجرتهم في الحصول على عمل . فقد قليل ولكنهم فشلوا على أي حال . وفي كل مرة كنت أجد اسبابا خاصة بكل حالة - طمعا - ولكن هكذالك أمرا متكررا أن البحث عن عمل هو في حد ذاته .. فن ! انه فن يختلف عن مجتمع إلى مجتمع ، ولكن جوهره في النهاية يبقى واحدا . ان

البحث عن عمل مشكلة أنك تبحث عن مشور لكلماتك ، لخبرتك
إعلاناتك . وما دام أنه عملية بيع وشراء .. فلا بد أن يتوقف سعر
البيع في النهاية على مدى دراسة البائع مقدما لطاعة المشترين
وقروفهم واحتياجاتهم .. بالإضافة إلى فهمه للقروف العامة ،
والأفكار العامة في هذا المجتمع كله .

ـ لقد رأيت في كندا وأمريكا مكاتب متخصصة في الترويج على شيء
واحد : كيف تبحث عن عمل . أتباعك مخصصة والأقبال عليها
ضخم .. أنها لا تبحث عن عمل .. ولكنها تعلمك كيف تبحث أنت
لنفسك عن عمل . أتباع مكاتب متشره ـ ليس فقط لأن هناك
سلا مستعرا من الذين يريدون العمل لأول مرة ، ولكن لأن معظم
الناس .. حتى الذين يعملون جيدا .. يواجهون في وقت ما من
حياتهم مشكلة البحث عن عمل أفضل ، أو تغير لمكانهم الحالي .

ولقد دفعتني هذه الاستطلاع مرة إلى دراسة المعاصرات التي
يسطونها في أحد هذه المكاتب بمدينة مونتريال في كندا . إن جوهر
المعاصرات يعتمد على نظام قبيح .

أهم أولا قنصرتك بأن فرصة العمل هي دائما موحدة في السوق .
فما دام لا يوجد كساد ، فإن هناك وظائف جديدة ، وظائف تحلو ،
وظائف تتغير .

أهم بقنصرتك أيضا بأن البحث عن عمل ليس بحثا ، ولكنه عمل
في حد ذاته . أنك لا تطبع أن تمر أيام بحثك عن عمل أيام
أحزرة .. أو حتى نصف أحزرة . أنك عندما تعمل في وظيفة .
لذلك تعمل فيها ٤ ساعة أسبوعيا .. وعندما تبحث عن وظيفة
فيجب ألا تعمل ٤ ساعة فقط ، ولكن خمسين ، ستين ، سبعين .

أهم بقنصرتك بعد ذلك بأن عليك أن تعمل خرتك وقدرتك
لا بد أن تعرف بالوسط ما الذي تستطيعه ، وما الذي لا تستطيعه .

ويصحبونك أيضا بأن عليك دائما أن ترمع سمعواك وخرتك
وتدريتك . وشرجون لك مائدة ذلكمكنا أن النصف المادي الذي
وصل عمره إلى ٢٥ سنة أبعده في المتوسط مماثون ألف ساعة
عمل نافية في عمره المتوقع . والرجل المادي الذي يبلغ عمره ٤٥
سنة ، مازال أبعده لربحون ألف ساعة عمل . أنك إذا استطعت
ـ بالتعليم والتفريب ـ أن ترمع أحسرك عن الساعة الواحدة

بمقدار دولار واحد فمضى ذلك أنك سترفع ذلك بمقدار ثمانية آلاف دولار ! .

وهم يجهلون بعد ذلك إلى أن من أهم جدا أن تكتب لمصنعي لمؤهلك وخبرتك . ملخصا تكتبه في ورقة أو ورقتين على الإقنة الكتابية . ملخصا تكتبه على أماس أنه قائمة بأعمالك ومهارتك . ولعله بشكل تعرض فيه نفسك وخبرتك . . الخبر ما لاحظت تكتبها أولا ، والأقدم تكتبها أخيرا . مع ملاحظة أنه من الضروري أن تذكر أشياء محددة . . ومختصرة .

وهم يظنون منك بعد ذلك أن تعرض سوق العمل والتمادياله . . فانت حينما تعلم خبرة ، تريد بيع هذه الخبرة البعيدة لطرف آخر وتكتبها . ولو تصورت أنك تفهمي فلا بد أن تذكر أنك عندما تشرى ساعة من محل ما . فإنت تشتريها لأنك تحتاج إليها . . وليس لأنك تريد محطلة البيع . وهكذا ، فإن أي شركة لن تعطيك عملا ، إلا إذا كانت تحتاج حركتك .

وفي النهاية تقولون لك نقطة هامة : لا تكتب بالذهب إلى مكاتب الاستعداد أو وكالات التوظيف . إن كل بناء جديد تراه في الطريق ، كل صديق تعرفه ، هو مصور لك السؤال من الأعمال الجديدة أو الأعمال الشيفرة .

× × ×

هذا هو جوهر ما يدرسونه في تلك المكاتب التي دخلت بعضها في أمريكا وكندا . إن ما تقولون لا يزيد عن مجموعة من البدعيات . . ولكنها بدعيات لها كثير من الناس الذين يهاجرون إلى الخارج . ليس قاطب بعضهم ها . في كتابا .

ومع ذلك . . غامس اقترش أن دراسة حالات الذين نجحوا في العمل ، الذين نجحوا فعلا ، هي التي يمكن أن تعطيا خبرة بالمشاكل التي أحسرها ، والنتائج التي وصلوا إليها أنها أيضا تعطيا فكرة محددة عن مدى استعداد الشخص المصرية للتكيف مع ظروف وأفكار مجتمع آخر .

بعد هذا الحد . . يصبح لن نتقل من فحص المجتمع الكندي إلى فحص حالات المصريين الذين نجحوا فعلا داخل المجتمع الكندي .

امرأة .. بعد منتصف الليل !



منتصف الليل هو قطعا وقت غير مناسب لزيارة امراتكم
تعبش واحدها في منزلها . انه وقت غير مناسب ابدا . علما يقول
الناس .. علما يقول الجيران ؟ اني قدر من الضرر يصيبها في سمعتها
عندما يهوس جيرانها لبعضهم البعض . قدر فتحت نادية بابشقتها
امس لشاب .. بعد منتصف الليل ؟ !

وليت الناس يقولون عن نادية هذه الكلمات فقط .

فلكى احمل اما الامور اسوا بالنسبة لها ، طبتها في التليفون قبل
منتصف الليل ساعة واحدة وقلت لها : اتني لا اعرف الطريق
الى منزلك . اهلا سوف اصحب معي اثنين من اصدقائي .
الآن اصحبنا ثلاثة . تصور ؟ ثلاثة رجال يزورون امرأة شابة

في منزلها بعد منتصف الليل ؟ ومع امرأة مثل نادية .. امرأة
بمثل هذا الشباب ، مثل هذا الجمال ، مثل هذا الصوت الرقيق
في التليفون .. فلماذا أن يتوقع الإنسان اعتراضات كثيرة من
الغنى عليها . اعتراضات من الغنى .. وهجمات من الجيران ..
واشادات من الأصفياء .

إن الأفكار كهذه كانت تدور في راسي وأنا متوجه مع صديقي في
السيارة إلى منزل نادية ، إن نادية هي امرأة مصرية تعيش
وحدها مع طفلها الصغير في شقة تستأجرها بضواحي مدينة
مونتريل . امرأة في سن التاسعة والعشرين أو امرأة مصرية تهاجر
وحدها إلى كندا .

ولم يكن هناك مفر من أن أذهب إلى نادية في منزلها في منتصف
الليل . فلماذا كنت على موعد لحادثة مونتريل في الصباح المكر من
اليوم التالي .

ولم يكن هناك مفر أيضا من أن أذهب إليها مع صديقي ..
بالطريق من مونتريل إلى الصحابة التي تسكن فيها نادية بشمقي
للأنة أرباع الساعة بالسيارة .. « نطلع على طول .. ندخل شمال
.. نرجع اليمين .. بعد الميدان إلى الطريق السريع .. من المدخل
الساكن نتجه يمينا .. ثم سيرا .. ثم .. » لست أعرف شيئا
في هذا كله .. خل يا أحمد التليفون لو سمحت ، وأعرف هذا
المكان .. لا مؤاخذه يا نادية . لي أحمد صديقي وسوف
أحضر في سيارته مع صديق ثالث .. »

ولم تسطع ناديه أن تقول شيئا . لم تقل نعم ، ولم تقل لا
أمر واقم . لقد قالت الموان لأحمد في التليفون بكلمات مترددة
وصوت أقرب إلى النهم منه إلى الثقة .

إن المرأة التي تعيش وحدها لا توافق على زيارة وحال قريب لها
في شقتها في مطلع النهار ، فما بالك بمنتصف الليل ؟

ولكن كنت أعلم أني تركت هذه الأخلاقيات المربضة حلبي في
مصر . لقد تركتها أنا كزائر . ولكن ناديتوكها كمنهجرة .. وهذه
بالضبط هي النقطة التي بنات عليها حياة نادية فلست نظري .
إن ناديه — هكلاً يحلو الحديث مع فنان شاي داخل شقتها
الابتقة في الطابق الثاني من العمارة — تتمتع بطول ملحوظ في قوامها
وتقاطيع متناسقة في وجهها وشعر طويل على رأسها ومسئولية
كثيفة على اكتافها .

انها من مواليد الاسكندرية . واحدة من هؤلاء الفتيات
 الفجيلات التي كانت المجلات في مصر تشر صورها على الفلاف في
 اعداد الصيف . انها بحكم رمتها - انتهت بكلية آداب
 الاسكندرية . وهي - بحكم جمالها - تزوجت في سنة ١٩٦١ من عضو مجلس ادارة
 في شركة السيوف للارامى بالاسكندرية وقبل ان تعمر بلادة
 الياسمين في يفتها سنة ١٩٦٥ كانت قد شمرت بالعمل في داخلها
 مرلين - فاصبحت طلعين : سالى ، وديزى . هل تستطيع الفلا
 ان تكون اما في تلك السن المكرة ؟ هذه الايام ليست اندى ..
 ولكن هذا ما حدث في حلاله بلادة . في الواقع ان ما حدث لها بعد
 ذلك كان اسوأ .. فبعد سنة واحدة من تعرجها لوى زوجها ..
 لوى سنة ١٩٦٥

انها الان ارملة . انها ارملة في سن العاشرة والشرى ، هذا عمرها
 يوم مات زوجها . من هنا بالضغط سوف تنقلب حياتها رأسا على
 عقب . لقد كانت سعيدة مع زوجها ، سعيدة مع أسرتها ، سعيدة
 مع مجتمعها . ولكن .. ملأها روحها لوى . وما دام الرجل اختفى
 من حياتها ، فيجب ان يعود المجتمع الى محاسنها كمرأة .

ولكنها الان ليست مجرد امرأة . انها لرملة . واحدة من هؤلاء
 السيدات اللاتي يتوقع منهن المجتمع اسلما خاصا في الحياة ،
 وطريقة خاصة في الحديث .. وفيونا خاصة في التعامل مع الناس

من الآن فصاعدا أصبحت نادبة لرملة . واحدة من هؤلاء
 اللاتي يرالفهن المجتمع ٢٤ ساعة في اليوم .. ويرفهن طبعهن
 حصاره وخرمهن بومباده .. وطبعتهن طاعته .. ويسهب منهن
 حق الحياة ٢٤ ساعة في اليوم .

من الآن . من هذه اللحظة .. منذ أصبحت نادبة لرملة ..
 فإن المجتمع سوف يحاسبها في كل يوم مرلين : مرة كل مرة ومرة
 كلرملة . ان الحياة بالنسبة لها يجب ان تقصر على أربعة جدران .
 يجب ان تقصر على مجرد الضلم . انها تاكل جيدا ، تلبس جيدا ،
 وهذا يكفي .. انه يكفي من وجهة نظر المجتمع في مصر .. لكن
 تكون لمرلة مستريحة اليال في سن المتقدمة والشرى . انها
 نصف حية ، ريم حية ، انها ليست حية على الإطلاق .. ولكن
 هذا لا يهم .. ليس من حق لمرلة في أي شيء أكثر من العلف
 الذي يتيه لها المجتمع .. لمرلة هنا - في مصر - يجب ان

تعلم أن مهمتها .. كل مهمتها في الحياة - هي أن تطبخ ..
 تنسل .. تكس .. تنظف .. تلبس .. تربي الأولاد ..
 وتطبخ لهم .. وشاعات الناس - لها خرجت إلى التسارع
 طغراس بجانبها ، والرقبة خلفها ، وكلام الناس في ذيلها ..
 لها تحدثت مع شخص غريب .. فالحظينة حدثها ، والجحيم
 مصبوها والنار جزأها والمبس عقابها .. أن هذه الوصاية من
 المجتمع هي شيء تعرضه التقاليد ، شيء يفرضه الناس ، يفرضه
 القانون ..

إن نادية أرملة .. ولم لطفلي .. ولكن الوصاية على طفلها
 لابد أن تكون بحكم القانون .. من حق أهل زوجها أن الأولاد
 هم أولادها هي ، أنها لهم ، ولكن من قال إن الأم تستطيع أن
 تربي أولادها ؟ من قال إن الأم تستطيع أن تهتم بأولادها ؟ إن
 القانون في مصر لا يقول ذلك .. يقول فقط إن أهل الزوج
 يستطيعون رعاية الأولاد أفضل من أمهم .. ويقول أيضا إن الأم
 إذا أرادت أن تسافر إلى الخارج - مجرد ريلة - فلا بد أن يوافق
 أهل الزوج .. كتابيا وأمام شهود .. على سفر الأولاد معها ..
 القانون .. قانون .. إن القانون يعرف عن الأولاد أكثر مما تعرف
 أمهم .. إن الأم مثقلة بخرجت من الجامعة .. ولكن القانون
 ليست فيه الجامعة .. أنها تريد أن تسافر في الصيف مرة إلى
 لبنان .. ولكن القانون ليس في لبنان .. القانون فيه فقط :
 الاسكندرية !!

إن شيئا من هذا القبيل كان يدور في دأب نادية وهي مستقل
 الطائفة .. مع أولادها - مجهزة إلى ريلة قصيرة في لبنان ..
 زيارة سياحية .. إن الأولاد معها في الطائرة - سامي وريدى ..
 ولكن هذا لم يحدث إلا بعد محاضرات ومناقشات ومداولات مع
 أهل الزوج .. مداولات انتهت إلى تنازل سطر من أهل الزوج
 لقد قرروا أن يوافقوا على سفر الأولاد مع أمهم بشرط أن تكون
 الفتى هي ١٥ يوما فقط .. ميردك !

ولكن نادية فكرت كثيرا بعد الـ ١٥ يوما - فكرت قبل أن
 تعود مع أولادها إلى الاسكندرية - هل تعود من جديد لكي تصبح
 أما .. مع وقف التنفيذ ؟ هل تعود من جديد إلى كلام الناس
 وحسبات الناس واشاعات الناس ؟ ممكن .. غير ممكن ..
 ممكن .. نعم .. غير ممكن .. القراء : لا عودة .. القراء :
 العمل في الخارج .. القراء : الهجرة .. القراء : الهجرة إلى كندا ؟

هكذا بدأت بادة تجد لورائها للهجرة الى كندا . انها تخرجت من قسم اللغة الإنجليزية بأدب الاسكندرية . ولأنه أنها سوف تجد - بشكلها - عملا تعمل به فطليها في كندا . لقد استطاعت ان تعمل في لبنان - معلمة في مدرسة داخلية ببيروت حتى تستكمل لورائن هجرها الى كندا . الى تستطيع ذلك في كندا ؟ شيء واحد يحسم الموضوع كله - طائرة الى كندا .

هكذا ذهبت نادية الى كندا . الى مونتريال في كندا . كان اليوم هو ١٥ مايو سنة ١٩٦٧ . يوم الثلاثاء . يوم مشرق . شمس . مبشر بالامل .

ان نادية هي - فيما اعلم - اول امرأة تخرج الى هنا طالبة الحرية فلا من الزواج . انها هنا . هنا فقط - يجب ان تعلم كيف تعيش بغير زوج . بغير رجل ، بغير كنف يسكن عليها . لا احد هنا يملك على احد . الناس هنا - في كندا تعمل فقط . تعمل او تموت !

وبشهود الامل هنا طلت نادية تبحث عن عمل في مونتريال بكندا . انها تعلم ذلك دون ان تعرف احدا على الاطلاق ، او شيئا على الاطلاق في كندا !

ان اول شيء حدث معها في الايام الاولى المنظمة الاولى لها في كندا كان - لا شيء . لا عمل ! نصيبة . كارثة . انها ليست كارثة بالنسبة لها فقط . ولكن - اهم من ذلك جاء - انها كارثة بالنسبة لطفليها . سألني الى أصبح عمره الآن خمس سنوات ، وزيزي . ثلاث سنوات . ان نادية هنا - في مونتريال تستطيع ان تحصل على الحرية ولكنها - ايضا تستطيع ان تحصل على الجوع . على الفقر . انها ربما تستطيع لأول مرة ان تجوع . ولكن الاولاد ؟ الاولاد . انهم هم القليل . عجب . مسئولة . ان هذه المسئولية هي كل ما يشغل رأسها في كل مرة تبحث فيها عن عمل بشركة او مؤسسة لمونتريال . لقد تحولت مسئولة الاولاد في رأسها الى ملهى . نعم . ملهى كشمير به يوميا . ملهى . وتلك في التمسك . وصراع مستمر .

ولكن نادية تذكرت شيئا جديدا . لقد تذكرت ان الاستقلال عن الرجل - الاستقلال عن شخص يحصل عليه - هو امر يتطلب صبرا وشجاعة . ان طرقة لا تصبح شجاعة بمجرد

تصليحة تصليحتها من الآخرين . أنها تصبح شجاعة ، حرة ، مستقلة ، لأنها تريد أن تكون شجاعة ، حرة ، مستقلة .. و .. عندما يصبح الإنسان حراً ، مستقلاً ، لأنه لا يقبل التنازل عن استقلاله أبداً .. لا يمكن .. مستحيل ..

عند هذا الحد فقط بدأت نازية تحصل بطاقة جديدة في ظلها . طالما تعلمها في علم اليأس . في الأمل . في عواطف البحث عن عمل .. أن البحث عن عمل هو الآن .. عملها . أنها تتصرف كما لو كانت تعلم عشرة رؤوس وعشرين يداً ، مع أنها لا تعلم سوى عقل واحد .. عقل امرأة .. وبين التنتين ، كل واحدة منهما تمسك بواحد من طفلها .

ولأن الله يعلم فواهب الاحوال الشخصية في مصر .. فقد ردها بعمل في خلال أسبوع واحد من وصولها . أنها لم تستطيع أن تحصل معروسة ، فاندلوس حافلة بسبب انداء الصيف ، ولكنها استطاعت أن تحصل حكريرة . نعم حكريرة بمرتب ٣٧٥ دولار في الشهر .. هذه أول ٣٧٥ دولارا - أول دولار واحد - تحصل عليه من عملها هي . أنه ليس ميلما بأجله من جيب زوجها . ليس معه ناعلم بحكم القانون ، ليست أمانة . أنه مرتب .. قبة عمل .. الآن فقط تستطيع بادية أن تكون أنها مستقلة .. الآن فقط تستطيع أن تقول أنها حرة ولكن .. مع الحرية يأتي صيف آخر .. صيف لانه منه .. مع الحرية تأتي .. المسؤولية أن تصبح حراً بنفسه في نفس الوقت أن تكون مسئولاً .. من بادية الآن حرة ولكن حريتها تعني أيضاً أنها أصبحت مسئولة عن نفسها ، وعن أولادها . مسئولة عن الحصول على احترام النفس لها كإنسانة ، قبل أن تحصل على إعجابهم كمرأة .

أن شيئاً من هذا كان يدور في رأس بادية عندما قدمت طلبات للعمل كمبرسة . إلى أن استطاعت بعد ثلاثة شهور أن تصبح معالمة مبرسة . بسبعة آلاف دولار مرتباً سنوياً . أنها إذن تعيش في شقتها الخاصة مع طفلها .. شقة في إحدى تلك العمارات المتناثرة في شارع « سبرنج هارتس » إحدى مساكن مونتريال . نفس الشقة التي ذهبت إليها فيها مع صديقي المصريين القديسين بمونتريال . وقد ذهبت إلى ناديه فقط بعد أن سمعت عنها ما يدعو إلى احترامها سمعت ذلك من الأب ووعايل مثل الكعبة المصرية في

موسريال . ومضت ذلك أيضا من الناس . ان الناس هنا لا يهتسون
سمعة بعضهم . الناس هنا . ليس . . لا وقت هنا للريرة . و
الاشاعات او المصائب . وحتى لو نعت الى بادية في شمعها صد
منصف الليل . مع رحلين اخرين قريبي . فلن المجموع لن يلو
سبمها بالسنة في الصباح التالي . ان المصعب هنا بهم بالمصون
فقط . . والجوهر فقط . وليس الشكل .

ان سمعة بادية هنا . في موسريال . هي مزيج من الاثني . الشكل
والجوهر . انها هنا مودج لامراء مصرية . امرامعادية . انها عادة
صدا . ولكنها لم تكن عادية صدمهم هنا ابدا بلاروها في مدرساها .
ان زميلاتها القدرسات تصحن قنابل لها . « مصرية ؟ » . هل انت
مصرية ؟ هل في مصر يساء يتكلمن الانجليزية هكذا ؟ انك . . حتى
اللعين بينج بوج . . هسلي تعرفين في مصر البينج بونج ؟ . .
مش معقول ؟ »

ولكن بادية فطلي موسريال اثناء كتر غير معقولة . او . . طلي
الاصح . اثناء لم تكن لسوا لها معقولة من قبل . انها الآن تستطيع
ان تعتمد على نفسها . وتستطيع ان تاخذ الاولاد في راحة يوم
السبب والاحد . يستطيع ان تتحدث معك كرجل لرجل ولكنها
لاستطيع القيام الى مصر في راحة . هم لا يستطيع . . لانه لابد لها
ـ هكذا تصفد . ان تاخذ مواجة كتابية طلي صعبة اولادها صد
خروجها من مصر مائة الى كذا . هم لا يستطيع . عاقوانين في
مصر لانصح قوانين الا صفنا تنملي بالمراه . قبل ان يعلق القانون
بالمراه . يمكن ان نحول الى اى شيء . . ولكن مع المرأة فقط .
يصح القانون . . قانونا . . انه قانون لا يعرف في كندا . ولا موسريال
يكندا . قانون لا يرحم . . وناس لا يرحم

ـ . . ارحمك . . لا دامي لار تكتب من في مصر . . ان يصدق
الناس . انهم يصدقون الاثنياء السيئة فقط . »
وقلت ناديه . ان الناس لم تقل عنك شيئا سيئا في كندا . هل
يفعل الناس ذلك في مصر ؟ »

في الواقع ليس لم اكن اوجه النزال لناديه . ولكني كنت اوجهه
لنفسى . . قصدا لما تذكرت فقط اننى لرتكب حرة . تذكرت
اننى اصطلحت معي رحلين غربيين . واننا جميعا درنا ناديت في شيئا
بعد منتصف الليل . واننى فوق هذا اللذات كنت معها كلنا لها بادية
ـ فقط . . بادية . . لم قطة بعد ذلك ؟

بعض الناس تستطيع ان تلادهم فوراً باسمهم الاول . ان بداية واحد منهم . . انها واحدة من هؤلاء الذين تنجلب اليهم بسرعة . ليس لانك تعرفهم من قبل . . ولكن لانك تحترمهم . انك تحترمهم من ذلك . . بحيث يصبح لديك . . مثلي . . حب استطلاع . انك تعود اليهم مرة ومرة لكي تلبسهم . وكلما دوسهم اكثر ، بنا في داخلهم شعور بالتماطف معهم . شعور كان غائبا عنى في البدايات لكنه اُسمر معى حتى اللحظة الأخيرة . حتى التوبة صاها . . عندما خرجت من شقة بداية مودعا لها في عسلود . . حتى لا يتقظ طعلاها من يومها .

هكذا عدت الى السيلة مع صديقى المصريين اللذين صحنهما معى . . حينما الى السيلة ليبحث من جديد عن طريق هودنا الى موشريال : الى الامام عن الطريق الرئيسي - لم يسارا ، لم اتجه يمينا من الداخل السادس . . الى الطريق الرابع حتى الميدان . لم يمينا . . فامنا . . قبلوا الى . . الى . . الى اين ؟ هكذا بدأنا نساور . . انا وصديقاى اللذان يحيطان بى كساندونش داخل السيلة ساندونش من الأزواج ، فاكراوم واحد كلاهما متزوج . . انهما اتان من المصريين المصريين الناحين القيمين في مدينة موشريال . اكراوم ، سمسار في البورصة . . واحمد مدرس قانوني

وفي لحظة واحدة افطنا جميعا : نذهب الى بيت اكراوم . .

اعتقا على ذلك ، لان هرك مهمة عاجلة تنتظرا في بيت اكراوم . مهمة عاجلة جدا وصاروية جدا . . سماع اسطوانات أم كلثوم ؟ ان اسطوانات أم كلثوم موجودة في أماكن مصرية كثيرة في موشريال . ولكن أهمها بالنسبة لى مكانان اتان ؟ أحد المطاعم الملوكة للمغرب ولكنه مطعم مطلق بعد نصف الليل ، والكان الاثنى هو منزل صديقى اكراوم . . ان اكراوم مصلح صاها . . ومنمنع لام كلثوم ليلا . . هذه وظيئته . .

اننى سوف اتنى شيئا كثيرة قبل ان اتنى قصاصة كل ليلة في المطعم العربى ، وقائدا تلك الليلة في منزل اكراوم . ان شقة اكراوم صغيرة . . ولكنها كانت في تلك الليلة كيرة جدا بالنسبة لنا ، لان اكراوم يملك عدة شرائط سجل طيها لحدث افانى أم كلثوم . (أحدثها تماوى هنر سوات مضى ؟)

لقد وصلنا الى شقة الكرام ، احمد وانا .. ثم .. بدانا .. كما يحدث دائما في المطعم العربي ، عدنا نسمع الى صوت أم كتوم .. شوه واحد احبها عليه .. ان بلاد كلها تعيش في هذا الصوت .. بيل مصر ، جبال لبنان ، غلال الأردن ، لهيب الجزائر ، سحر المغرب حصاره بغداد ، وتربيع القاهرة ، يعمو المحيط ، سماء ، السماء الساع الصجره ..

واحيانا كان هذا كله يغمى علما سطل جهرا اتسجل .. ليعطنها يستعدها كله .. تحول الى صفى .. ذكرى .. أمل .. والى أن يصبح أحدها في اصلاح العهد .. فان كل لحظة كانت ترون لونها كحل .. ثم .. يعود الصوت .. يعود ملادى ، بلاده .. بلادها ، بلادها ..

« أرجوك .. » هكذا يقول لي الكرام واحد في لحظة واحدة . « أرجوك .. أن تكتب من أملا هذا . لقد لعبت معك ودياراك لامضاء الجانية العربية ما : ان أم كتوم بالنسبة لنا ليست مجرد مغربة نفس .. انها قطعة من بلادنا . انها رمز لبلادنا انها روحنا ، لو رايت أم كتوم .. ان تنقل اليها رحيلنا بان نقيم لنا حفلة ها .. اننا ٨١ الف مغرب .. ولكن حفلة واحدة لام كتوم هي تطبيق ل ٨١ الف أمية - ٨١ الف أمل - ان أم كتوم بالنسبة لنا ليست قضية غتية .. انها قضية وطنية .. »

ان الوطنية هي التي دفعت احمد الطريق - مدينى العالى مصا الاى - الى الدخول مرة في معركة بالأيدي ها - في مونترال مع حفنة من اليهود الصهيونيين المتصبين . بالنسبة ، في كندا ربع مليون يهودي .

ان المعركة التي خاضها احمد كانت مع ١٢ يهوديا صهيونيا . معركة كانت فيها أصابات وزيف ودماء وبوليس و .. و .. ولكن احمد لم يعمل ذلك إلا بعد وصوله الى كندا ثلاث سنوات .. ثم .. ثلاث سنوات ..

قل هذه السنوات الثلاث كان احمد موظفا بشركة السكر بالعواصمة في الصعيد . مجرد موظف . انه رئيس لاجدى ورديات انتاج السكر في الشركة .. ولكنه موظف .. هذا ماكنى احمد بظم به على أى حال . طوال دراسته بمدرسة القيسية في مصر الحديثة ومعهد الكليات الانكلي في القاهرة . كان احمد يريد الوظيفة لان عقله كان مع شوه آخر .. مع لعبة كرة اليد . انها هوايته . هواية أصبح فيها لاما دوليا يمثل بها مصر في بطولة البحر الابيض

المتوسط. وفي الفترة التالية بروسكو وفي كل مستخب مصري دولي يسافر إلى الخارج .

ولكن الرئاسة لا تستطيع ان تكبل لاحمد التقي في مربيه . .
في مربيه في شركة السكر وصل الى ٢٢ جيبا . هذا هو الرمز الذي تزوج منه احمد في نهاية سنة ١٩٦٤ . الآن اصبح زوجا ، اصبح عليه ان يتأكد كل يوم من ان التهود مائز في حبه . عندما كان احمد الزوج لم تكن المسألة مهم كثيرا . انه يأكل ويأمن مجلنا ضد والده و ٩ . . برمه لا الحكمة تترك قوى الواحد يأخذ من ملأ اسعافات مالية ٩ . . اسعافات لا ترد طعا .

ولكن علما لا يحدث جببا يكون الاستلزام روحا . . حريسا تصبح روحا ، تصبح رب اسره تصبح مسئولاً فلان ان تشتك كثيرا مسألة الرب . انها تشتك ٢٢ يوما كل شهر و ٢٥ ساعة كل يوم . . ولان احمد هو مجرد موظف ، فائرب محبوب مقبلا محبوب لمدة سنة فادبه ، مترسوات قدومه ، عشرين سنة فادبه . . ا .
ثم . فكر احمد في الهجرة . . عندما فكر في الهجرة الى كندا كانت المسألة في رأسه مثل هذه المسألة ٩ . . الواحد يروح يعمل قورشين ويرجع ثلثي بعد كام به ٩ .

كانت هذه هي الفكرة التي لعل رأس احمد . رغم انه وصل بضمه من دولارا فقط في حبه ، الى مونتريال يوم ١٤ مايو سنة ١٩٦٤ . . لقد وصل وهو لا يتك سوى الله الرسمية التي يعيدها مسبب دراسه ، وحرره في شركة السكر بوال ١٥ دولارا التي تحصلها في حبه . . انه لم يخرج من مصر ب ١٥ دولارا . في الواقع انه خرج بمائتي دولار . . ولكن ملأ يحدث دائما مع كل مهاجر . لم يستطيع احمد ان يحتفظ بالمائتي دولار في حبه حتى يصل الى كندا . . عندما توقفت الطائرة في بلجيكا نزل احمد هناك ليقتض أسومين كساح . أسومين لم يبق معه ملأما سوى اسمه من دولارا كيف حصل ذلك ؟ كيف يعرف على ذلك ؟ هل حصل احد ذلك ؟ نعم . المصريون يحصلون ؟ ان هذا عمل جنوبي نالسة لشخص مهاجر . . شخص مائز اسمه حصل مجهول لم يواحهه سد . . شخص لا بد ان . ان . . ولكن ماذا ذلك الآن ان ماغات ملك ! فلما ماحدث مع احمد على أي حال !

ان ماحدث مع احمد بهذا شبيهة في قصة سابقة بطلها مصطفى عزام (تذكره) ٩ . . ولكن الفرق هنا بسيط . ان احمد استطاع بمساعدة ادارة الهجرة في مونتريال . . ان يبعد عملا بعد ثلاثة أيام

فقط من وصوله .. مسألة شيلة لا تحدث إلا نادرا ، ولكنها
.. حدثت ..

الآن أصبح أحمد موظفا .. اتهم جديد رئيس وريدة ، ولكن
إدارة كهرباء كويك أنها ادلة حكومية .. والربح فيها ٧١٠٠ دولار
في السنة . ولكن .. لكن .. أحمد يريد أن يعمل مفرسا .
بالذات . مدرس ؟ .. لماذا يا أحمد نصر على التدريس بالذات
أنه وظيفة ممتعة .. ؟

لا نعم .. متعبة .. ولكنها مطمونة .. فيها استقرار ، وفيها
امن . عندما أصبح مفرسا فانت تصبح فعلا موظف حكومة . مرتبك
غير قابل للتصميم وانت غير قابل للفصل و .. انت تعلم طبعا لا لا
نعم .. أنا أعلم .. ألم أدل من قبل أن المصري قد بطوف العالم
كله ، قد يصير عبلة ومقلبه ، قد يسافر ، بهاجر . ولكنه النهاية
بريدان يكون موظفا ؟ أنا أحمد حصل على وظيفة التدريس بعد سنة
ونصف من عمله في إدارة الكهرباء . عندما نقاشا أصبح مرتبه
٦٩٠٠ دولار في السنة ، مرتب أقل من مرتبه في إدارة الكهرباء ..
ولكن هذا لا أهم .. أن المهم فقط هو أنها وظيفة حكومية ..
وظيفة في إدارة المدارس الحكومية بمونتريال .. وظيفة تسمح لأحمد
بإعطاء ١٨ حصة فقط في الأسبوع .. وثلاثة أشهر إجازة صغيرة
كل سنة .

عند هذا الحد فقط ، بعد هذا الضمان فقط ، يستطيع أحمد أن
يحب الاستقرار العائلي ، عند هذا الحد يستطيع أن يستمتع
روحته التي تركها خلفه في القاهرة .

إن ماتومه أحمد أن يحدث معه ، ولم يحدث ، حدث معروجه
أحمد وصلت إلى مونتريال . شهر . شهران .. سنة أشهر ..
سنة و .. لا عمل ! أنه هو الذي لا يريد أن يعمل . يكفي أن يعمل
هو . ولكن .. أن الزوجة . ترى كل من حولها يعمل ، لا أحد
حولها .. لا زوجة .. ولا أم ولا فتاة .. تبقى في المنزل طوال اليوم
في انتظار زوجها .. أن الحياة هنا تصبح كومة مائلة من القل عندما
يكون هناك عمل ! .. الطبيب ليس مملا ، الكس ليس مملا .
التسبيح ليس مملا ، تنظيف البيت ليس مملا .. أنها جميعا أعمال
تجرها الآلات في ساعة واحدة .. لماذا تعمل الزوجة الآن في ال ٢٢
ساعة الباقية كل يوم ؟ لا بد من عمل . لا بد من عمل ..

هكذا واقع أحمد أخيرا على أن يعمل روحه .. من الأسبوع
التالي مباشرة كانت الزوجة تعمل مقيمة في فندق هيلتون مونتريال
أربعة آلاف دولار مرتبه في السنة .

نعم .. هذا المجتمع هنا يفر من طامه على الزوجين .. لا أحد هنا
 خوف أبدا على ما هو عليه . لا يد أن تعلم كل يوم شيئا جديدا ،
 تكسب مهارة جديدة . تحصل على خبرة جديدة وهكذا اثبتت
 الزوجة لمدة تسعة أشهر برنامج علاجي للأمراض الجلدية والتحق
 الزوج ببرنامج للتدريس في التربية الفنية بجامعة مونتريال للحصول
 على شهادة تعادل الكالوريوس . النتيجة خيمت الزوجة عملها
 تصبح معالجة في مستشفى « جرسوري » يومريال . راد المرب
 إلى ٥١٠٠ دولار في السنة .

النتيجة الثالثة : راد مرب أحمد في المدرسة إلى ٧١٠٠
 دولار في السنة .

النتيجة الثالثة : حصل أحمد على عمل اضافي بالمرضى الدولي في
 مونتريال . عمل يقوم به في غير وقت عمله الصباحي كمدرس . لقد
 عمل مشرفا على أسرة عديده . أحيته من بينها جناح بورما ،
 تانلاند ، الجزائر المغرب ، وحاج الجمهورية العربية المتحدة .
 المرب : ١١ ألف دولار في السنة .

ثم .. بعد هذه النقطة لذكر أميليا هنا . تذكرائي صاحب
 حلال الدقائق النصص الأخيرة .

— أياها أنت صامت ؟

هكذا سألني . ولكن لم أستطيع أن أجيب على السؤال . نظمت
 كل هناك شيء ما بطني عن الكلام . لم يكن مرب أحمد وزوجته
 هو ما بطني . مرب يبدل في مجموعة إلى ٢٤ ألف دولار في السنة .
 ولم تكن النتيجة التي جمعها أحمد وزوجه هي التي بطني .
 نتيجة تستحق التقدير .

إن ما بطني قبل هذا كله كان شخصية أحمد نفسه وهو يتكلم
 أنه يتكلم ، ويتكلم وحده الرأي . وشعره القصير .. وحاجباه
 الكثبان . وظفوفه الطيبة . وجسمه القليل .. أنه جسم
 مصارع أكثر منه جسم مدرس . داخل هذا الجسم ، تحت هذا
 سطح أن تكشف في أحمد أنقا آخر . أنقا طيبا . أنسا
 صريح الكلمات ، صفي القلب ، أمين التمر إلى درجة مذهلة ،
 أنه مصري . بالقط — فلاح مصري . ليس هذا ذما . هذا
 منتهى المدح . فمع أن أحمد — من مواليد محافظة الشرقية بالذات
 من الإبراهيمية في الشرقية ، إلا أنه تغير حتى من الشخصية المصرية
 التقليدية التي تماثلها في الطريق كل يوم . أنه بسيط ، سادس
 النماء ، بوجهه طفل فوق جسم شاب وعقل عصور .

انه يقول لي . « تعرف انا لعبت هنا في البداية من ايه ؟ كل واحد في حالة .. في مصر كنا غير كده . كنا شلة اصدقاء كنا اخوات .. انا في حبيبي وحبيبك . هنا معيش كده . الصداقة هنا هي مجرد زمالة . »

« .. انا اول حماره سكنت فيها لم اسمع حرفا يقول لي عندما انا بيه . صباح الخير ! تسعة شهور مضت قبل ان اسمع هاتين الكلمتين . صباح الخير .. »

« .. انا يا اخي مش عارف ليه احنا وقفنا الاشراف في المعرض الدولي بوسريال حينها كان شوي بفرح .. الواحد كان بيعس بالخير كلما دخل رأى صورة عبدالناصر في المدخل .. يسويبك ، انا اتعلمت املتها في مدخل الصباح طشن صبط اليهود .. دلوقت معيش جاح .. طيب بقلي ! الصورة ! احنا عاودين الصورة . »
« تعرف .. ! اليهود هاجمونا في الصباح المصري مرة في شهر يونيو سنة ١٩٦٧ . كان واقع يوم الحرب .. الساعة كانت سبعة مساء . وفجأة ١٢ واحد دخلوا بهاجمونا في الصباح . كنا ثلاثة . صديقي مدرسي مصري اسمه علي حنين ، وصديق ثلث وانا . اول ما دخلوا بدأوا يكسروا في الصباح و .. برلوا فينا ضرب .. لكن مع مين بلاح ؟ وكسرناك .. كلها ثلث ساعة كنا مشرحينهم اولا وصل الوليس شافهم مليون حروح وارتفعوا الارض كلها دم .. بهم طعنا .. انا صحيح احببت الان الجنسية الكندية ، ولكن ما رلت مصر يا ... »

هكذا بدأ احد حديثه عن شلة الاصدقاء ، وانتهى به الى الجنسية الكندية ، جيبه حصل عليها بعد خمس سنوات من عمله في كندا والواقع انه لم تكن هناك جنسية كندية منذ حوالي ربع قرن مضى .. فقل ان تصدق كندا قانون العتبة في اول سنة ١٩٤٧ ، لم تكن كلمة « كندي » تسمى شيئا معينا ، او واضحا . والسادة كان المواطن الكندي يصير في حكم الرعايا البريطانيين ، واحيانا لم يكن يعتبر كذلك .

ولكن ، منذ سنة ١٩٤٧ - أصبح الشخص الكندي « هو الشخص الذي يولد في كندا ، او يولد في الخارج لاب كندي ، او شخص بالجنسية الكندية . لكن تحصل على الجنسية الكندية ، لابد ان نعيم في كندا خمس سنوات على الأقل ، بشرط ان تكون مقبلا في كندا بصفة دائمة في السنة الاخيرة . »

في هذا الوقت الذي استغرقه تنظيم الجنسية الكندية كان في الواقع رمزا للمشكلة « تعريق الشخصية » التي عاشتها كندا حتى

فترة قريبة فقط . فالدولة - أي دولة - لا يمكن أن تستحق هذه التسمية بمجرد أنها تجمع عددا من الأفراد يعيشون داخل حدود سياسية . أي الشعوب بالأشياء الجنسية دولة معينة ، ليس مجرد مفهوم قانوني . أي سكان الدولة يجب أن يكون لديهم شعور مشترك ، شعور بعضهم المشتركة . وتجربة تاريخية يصفون أنها تجربتهم . . . أنهم يجب بكتبات أخرى - أي يكون لديهم تصور خاص بفسرون بمعانيهم وسكوتهم مستقبلهم . . . إذا لم يوجد هذا الشعور فإن الدولة تغل غير قائمة على أسس قائمة راسخة .

أن هذه الأسس الثابتة الراسخة لم يبنها توافرها في المجتمع الكندي إلا قريبا فقط . . . بسبب العوامل المتصورة التي أحاطت - وما زالت تحيط - بالمجتمع الكندي .

إن عضوية كندا الطويلة في الإمبراطورية البريطانية . . . إن قريبا من الولايات المتحدة ، أن الانتقال الهام للناس والافتكاري من الحدود . . . أي التنمية الاقتصادية - لبريطانيا أولا ثم لأمريكا - أن تلوحها التلقائي الفاعل . . . إن جميعها الجغرافي الواسع والتنوع .

كل هذا أدى في النهاية إلى تأخر ظهور ما يمكن أن نسميه « الشخصية الكندية » أو حتى « الشخصية الكندية » . . . أن الثقافي الرئيسي التي تصبوا داخل المجتمع الكندي لا تشتر كل حتى في قصة واحدة أحدها فرسبة والأخرى البريطانية . . . إن أحسن جامعة في كندا - جامعة ماكجيل - تقدم لك العلوم بأفكار كندية وحبروت دولية وأمور أمريكية . كل أنه حتى الطعام الكندي . . . هو عبارة عن مصنوعة من قطعة لحايات وأذواق تجمعت في كندا . . . هناك الطعام الفرنسي ، الصيني ، الهندي ، الإيطالي ، الإسباني ، و . . . الهامبرجر . . . إن المهم أن كندا تقدم لك المائدة الخام التي تريد أن تطبخ منها أي شيء . . . إنها تقدم لك الخوخ والبنفل والطيور واللوزية واللبابية و ١٥٠ نوعا مختلفا من الأسماك !

لهذا السبب فالثبات من المطاعم في المدن الكبرى بكندا هي محل مريح للغاية . . . ومع ذلك . . . فأننى لم أجد في كندا سوى مصري واحد صاحب مطعم . . . أنه مواطن مصري هاجر إلى كندا سنة ١٩٦٤ . . . بالتحديد في شهر أغسطس . اسمه جورج سمح . . . أن كل ما عمله جورج من مصر هو ١٣٥ دولارا لمرتكبا و٣٦٤ فرنكا سويسريا و٥٠٠ حلوكا لآلانيا (مجموع هذا كله لا يزيد عن مائة وخمسين جنيها حصرها) .

وبدا جورج حياته بافتتاح مطعم في هونولولو . في خلال سنة باع مطعمه بمئتي ألف دولار . ثم قام بتأسيس مطعم آخر اسمه « على بابا » يساوي الآن عشرين ألف دولار . ان جورج يقدم في هذا المطعم - مع مصرية أخرى اسمها أندريا - أي مأكولات مصرية تزيدها - فول مفعم ، فلفل ، كزبرة ، بصارة ، ملوخية ، بامية .. الخ . بعضها عبارة عن صلصات مستوردة من مصر - وبعضها حضرواها موروثة في كندا ، ولي بمصر الإحياء يقدم لك جورج كتيبة شامية ، أو حامض بحر الجبيري أو سحوق أمريكى ، أو اسماءا كندية ؟

من أحد أنواع هذه الاسماء صنع لنا مطبخنا اللبلة - صديقي اكرام عبد الحميد - وجبة طيبة . في الواقع لم يكن اكرام هو الذي أعد الوجبة . فلانسلى في سن الـ ٢٧ لا يستطيع أن يطبخ لنفسه شيئا . ولكي أعدتها زوجته ولحقتها والدته التي تعيش معها .

ان اكرام - وزوجته اللبلة - يستطيع ان ياكل اى شئ به شرط ان يسمح لهم كلثوم أولا - اننا الآن ناكل وجبة سمك . . . على صوت تسجيلات لم كلثوم . ديكور . . . لروم القمصنة . . . لروم البقاء بأجسامنا في كندا والانتقال بطولنا الى مصر . .

لقد كنت دائما أرى اكرام ياكل لحرما ويسمع « انت الصب » . ياكل فول مفعم ويسمع « انت لبلة وليلة » . ياكل بصارة ويسمع « انت كزبرة » . ياكل طامية ويسمع « اسماء روحا » . ياكل حوخ ويسمع « الاطفال » . ياكل بطيخ ويسمع « هرت الايام » . .

في التسجيلات الحديثة لانجى أم كلثوم لم تصل الا منذ يومين الذين فقط . . . لقد وصلته ميمصديق له يصل في مؤسسة الطيران العربية . . . ان اكرام طبعه كان يصل من قبل في الطيران العربية . . . اكرام كان طيارا . . . ومع ذلك كان أول عمل بدأ به حياته في كندا منذ خمس سنوات هو مترجمي . . . مع مترجمي . . . مجرد أمين مخازن في شركة الاسطوانات . ان آخره كان سجين دولارا في الاسود (وهو آخر متوادم جدا بتأسيس الاحود في كندا) . . . جد شهرين أصبح رئيسا لقنصلين . . . شهرين آخرين . . . ثم عمل كبايع في محل لبيع الموبيليات . برنامج تلفزيوني لمدة ستة أشهر في الإذياء ثم انتقل اكرام الى العمل مديرا لقسم الإذياء ثم في محل آخر . . . حل تعلم ماذا يصل اكرام الآن ؟

مسبارا .. انه يعمل مسبارا في بورصة مونتريال .. وهناك
ذهبت اليه في المرة الثانية كنت اريد ان اؤكد بعد انه ما زال
مسبارا ولم يصبح علما في الثورة مثلا !!

لقد تضاعف دخل اكرام مرات عديدة بعد عمله الجديد كمسبار
ولكن الواقع ان تغير العمل في كندا هو امر ضروري . فلجميع
يقنعك هنا بان الهوى يدل على الموت . وان الحركة هي دليل الحياة .
ان الحركة تعني لشيء كثيرة . ولكن أهمها ان تتحرك دائما نحو
خبرة جديدة . أو عمل جديد . ومشولية جديدة . وفي كل
مرة لابد لك من ان تعمل على برنامج تدريبي . ليس فقط لكي
تتقن في عملك الحالي . وانما لكي تنقل الى عمل آخر مختلف .
ان الجميع يقول لك ان الاعمال التي تعطيك دخلا اكبر هي تلك
التي تتطلب منك نميا اكثر وتدريا أطول وبقطة دائمة

ان اكرام لم يكن يستطيع البقاء في عمله - مسبارا - الا اذا
جلس على مكتبه في البورصة بمشربين هنا معنوجة . لا يثنين
الثنين هناك . ان البورصة مصباح الاسهم . مصباح المضاربة
مصباح التجارة . مصباح الفقه . مصباح السرعة . ان لحظة واحدة
قد تعني عشرين الف دولار حسنة أو مكسباً ثروة .. ان تطيل
الاخبار الانصارية في الصحف كل صباح قد يعني فرصة ضخمة
يلتقطها . أو كارثة محزنة تصيب استثماراته . التي هي في
النهاية . استثمارات في يتعاملون معه .

ولان الناس دائما يتأثرون في حياتهم المادية بمهتهم التي
لضوا فيها يومهم في المناقشة مع اكرام هي دائما مناقشة سرية
ملاحظة مفككة .. بكلمة واحدة نتكلم في الاقتصاد .. وبكلمة
واحدة أخرى نتكلم في الهبوط على القمر . ان الطبخ مثلا هو
بالنسبة لأكرام اما لافسوسط أو راندنط .. والصوت هذه على
نقلة . أو ناقص نقطة . والمناقشة عنده هي دائما كلمة تقولها
لتعكيب حيا . أو جملة تنساعها فتفسر تماما .. والسهرة عنده
اكرام هي واحد زائف واحد يساوي عشرة يتكلمون في وقت واحد
و .. يا خير أبيض !!

يعرف الساعة كام ما اكرام ؟ الساعة كام يا احمد ؟
- ايه يعني .. احنا كسة بعدي .. الساعة ثوبية مصباح
يا أخي !!

انت مش راج ملويزيس المادسة مصباحا الى شروج ؟
خطبك بقي صاحي الصعين دول !!

صبي بقالة - والدكتوراه ١



هل سمعت من استاذ جامعة يعمل .. صبي بقال ١١ لا يوجد
خطا . استاذ جامعة .. يتحول الى صبي بقال ١ استاذ جامعة ،
بشهادة ابتدائية .. واعدادية .. وثانوية .. وبكالوريوس ..
ودكتوراه .. و ٢٩ سنة عمرا .. يعمل صبي بقال ١

• امر دم الى موجود .. عابك والا لا ؟ ، .. عاجبي طبعاً
هكذا قال استاذ الجامعة المصري لنفسه عندما هاجر الى كندا .
لابد ان يصعب اذ يعمل صبي بقال . لابد من ذلك والا .. مائتة
الدكتوراه التي يحملها معه اذن ؟ ان الدكتوراه أصبحت - فجأة -
بلا قيمة . الدكتوراه في يده لم يعد لها قيمة على الاطلاق ، سوى
ان تفتنه بالا بنق راسه في الحائط ! الذين لا يعملون الدكتوراه

هم فقط الذين يتقون وحسبهم في الحائط ، لما لصطبة الدكتوراه
فانهم لا يعملون !! عاتمة مخلولة بعد ٢٩ سنة ضاعت من العمر
في الدراسة !

لم تكن المشكلة في الدكتور المصري استاذ الجامعة . ولم تكن
للمشكلة في المجتمع الذي حاصر اليه بكندا . ان كندا بلد كبير
واسع بفرص كبيره واسعه . وفي كندا ليس من المهم من انت .
ولكن المهم فقط هو : ماذا تفعل .

ان كندا تحتاج الى عمال . وتحتاج الى اساتذة جامعة . ولكنها
قبل هذا كله تحتاج لولا الى شخص مستعد ان يضع عقله في
عمله . وقلبه في جيبه . حينما تكون في هذا النوع ، فان المجتمع
يمطيك كل شيء : العمل ، الفرصة ، العمل ، الثروة ، الامن في
حياة أحسن . ان المجتمع يمطيك الفرصة في ان تبدأ في جديده
دائما . أنت تخلق طريقك بكلماتك وأفعالك البشر .

ولم تكن المشكلة إذن في المجتمع الكندي نفسه . ولا كانت
للمشكلة في الدكتور المصري استاذ الجامعة . كانت المشكلة هي ان
المصري - في اللحظة التي عاجز هو فيها ان كندا - لا يحتاج الى
مؤامره . انه يعمل الدكتوراه في وزارة الحيوان من جامعة عين شمس
بالقاهرة . لقد ظل اربعة أشهر يحاول ان يعمل بهذه الدكتوراه
في مجالين اثنين فقط : الزراعة ، او تربية الحيوان .

ان الزراعة او تربية الحيوان في كندا ليست في حاجة الى شخص
يعمل دكتوراه . كل واحد عنده مزرعة وانتهى الامر . علما
بمعاونون بالدكتوراه في . . . الحيوان ! ان القمح سوف يصبح
لبنا . من غير دكتوراه . ان البفرة سوف تصبح بفرة . من غير
دكتوراه . فن على الكاهن المصري الآن - هذا المهاجر بالذات - ان
ينسى فوراً حكاية الدكتوراه هذه . وربما في البحث عن عمل آخر
مؤقتا . عمل . . . في عمل والسلام !

وهذا بالأسف ما جعل الاستاذ المصري يتحول الى شخص عمل
جدا ، عندما التحق بعمل بصفة . . . يعدل صبيبا فيه . انه يبيع
لكن البطاطس على انها بطاطس ، وليس على انها مجموعة اشويات .
انه يبيع لك زجاجة اللبن باعتبارها لبنا . . . وليس باعتبارها
مجموعة فستائيات .

انك لا تعرف هذا الرجل . ولا أنا أيضا كنت اعرفه . ان
سمعت عنه . قالته . جلست سه ناقشته . . . ذات ليلة من ليالى
مدينة شيربروج في كندا .

ان شهبورج 'مدينة صغيرة جميلة هادئة' .. يجو مطر قليلا
وشوارع نظيفة غالبا .. من أحد هذه الشوارع صديقي
الدكتور مصطفى الهسلاي الى منزله .. انه هو نفسه .. الدكتور
الهسلاي - استاذ جامعة مصري حبيب في شهبورج ، ومنزله الهادئ
يطل من الدور الثاني على أحد تلك الشوارع المظلمة .. منزل أبيض
يتكون من مطبخ وأربع حجرات و .. صالة .. في هذه الصالة
جلسنا جميعا .. خمسة من الضيوف .. كلهم مصريون .. معظمهم
اساتذة جامعات - والدكتور مصطفى .. ووالده الرائد .. و - أنا
كنا على موعد لكي نتناقش .. لم يكن واسعا بالمصيط في أي
شيء سوى بتناقش - ولكن الشيء المثير عليه فقط هو أننا سوف
نجلسي معا .. ونتمنى لو مختلفين .. لهم والسلام .. أن نقضي
الليلة معا ..

لقد كانوا في الواقع مجموعة من المثقفين المصريين .. ارجل
اتسمت بعد دقائق قليلة عندما انضم إليها ضيوف جدد .. وخلال
ربع ساعة فقط .. أصبحنا نضم طالب الدراسة وطالب الرواج ،
وطالب العمل وطالب فصل العمل .. الشخص الآخر هو أنا بالطبع
وكان الدكتور سعيد فهمي - أحمد الخفيف - هو الشخص
قبل الأول أحسن من الأول !

ان الدكتور فهمي هو الماهر المصري - صاحب الدكتوراه -
الذي عمل حيا في عمل بقاء في هذا العمل كان بالطبع آخر
شيء يتصوره عندما حصل على الدكتوراه في وزارة الحيوان من
جامعة عين شمس بالقاهرة .. والدكتوراه في مصر في عام حين
يسمى إليه الناس لكي يضحوا تلك الكلمة السحرية قبل أسألهم
- كلمة « دكتور » .. انهم حتى من غير دكتوراه - يلتصقون
الدكتوراه لأنفسهم في كثير من الأحيان !

المهم .. ان معهد فهمي كان واحدا من الذين كمنوا طول عمرهم
ان يحصلوا على الدكتوراه .. كان هذا منتهي لطفه عندما حصل منذ
عشر سنوات على البكالوريوس من كلية زراعة عين شمس ..
البكالوريوس .. ثم الماجستير .. ثم - أخيرا - الدكتوراه ..
وعندما فكر محمد - الآن الدكتور محمد - في الهجرة كان
آخر مكان عمل به في مصر هو معهد أبحاث الصحراء .. قد علم
الى كندا بالذات - لا لمبب سوى أن أخته صبيته للعمل هناك
مستعدة في إحدى الشركات .. عاجز بلا عقد عمل ، ولا وعد

يصل . ولا شيء مطلقا سوى شهادة الدكتوراه التي نرجسها في
حضر - ترجم الشهادة - إلى الإنجليزية بصفة جيدهات ؟

أنا أول شيء فطه الدكتور محمد عبد وصوله إلى كندا هو إرسال
صورة من شهادة الدكتوراه - مع ملخص بتجربته وأعماله السابقة -
إلى وزارات الزراعة في جميع مقاطعات كندا المقصر . انه - ليس
هذا حق ٢ - يريد مثلا في واحد من المهندسين الذين تخصص
فيها الزراعة . أو تربية الميوان . أم الدكتوراه التي يعملها
هي في زراعة الميوان . ولكن لا هم .

ثم شهر ، شهر ، أربعة أشهر . ولم يصل رد - ولا رد .
لم يصل إليه رد واحد أصابي من الجهات التي أرسل إليها طلباته
بالبريد ، أو التي ذهب إليها بنفسه . لا أحد هنا يحتاج إلى
الدكتوراه التي يحملها محمد . لا أحد يحتاجها - في الوقت الذي
وصل هو فيه على الأقل . - ويدين ؟ لابد من التصرف .

ولكن التصرف لا يمكن أن يتم مادام محمد يمشي بسلامة
الدكتوراه هذه . هكذا صرعه بعض الاصطفاة المجددين في كندا
ولم يكن الدكتور محمد ينظر إلى هذه النصيحة . لقد انطلق مع
نفسه على أن المشكلة المدنية هي أولا كيف يطع قعته في مكان ما
داخل هذا المجتمع الجديد الغريب عليه .

هنا هذا المد - هذا المد فقط - قد ذكر أنه درس الاحصاء -
ضمن المواد الكثيرة التي درسها - وأنهم هنا ربما يحتاجون إليه
في عمل احصائي . أكثر من حاجتهم إليه في تربية الميوان .
وبسرعة . بدأ الدكتور محمد - الآن صعب فقط - يبحث في
عمل كخبير احصاء - وبسرعة . جاءه العمل المطلوب وطيلة
حكومية - وطيلة كل مهنته فيها دراسة لتعديل الاحصائي للحوادث
التي تتسبب فيها الآلات الزراعية .

هكذا وضع الرجل الشاب - ٢٩ سنة - قدمه أجرا على أول
درجات السلم . انه الآن - الآن فقط - يستطيع أن يبحث في
فرصته في هذا التخصص . دون أن يكون مستطع البطالة فوق
رأسه . وهذا ما حدث فعلا .

لقد رأى محمد أن العمل الذي يقوم به هو عمل اقتصادي أكثر
منه زراعي . وأن عليه أن يجرب أعمالا أخرى كثيرة قبل أن يصل
إلى العمل الذي يناسبه .

• • • ما رأيك في العمل كياتع في محل بقالة ؟ • هكذا ورد
محمد لنفسه انه يسمى العمل «مائع» ولكنه تستطيع أن تسميه

• صبي فقال : • لأن العمل هو كل ذلك فعلا !! •

ولم يتردد ••• لقد قرأ أعلاما عن حاجة أحد المحلات الكبرى
لأشخاص يعملون بآتين في العمل • بالآتين في أقسام الحضراوات •
للآتين • الإحدى • الكاميرات !

مهم - محمد يستطيع أن يحصل على هذه الوظيفة - لقد تذكر
فجأة أن لديه حبرة ضخمة مسافة في كاميرات التصوير • لقد
كان لديه وهو صغير كاميرا اشتراها له والده • أنها لم تكن
تلتقط صورة على الإطلاق ، فقد كانت مجرد لعبة • ولكنها كاميرا
والسلام ! أحسن من مفيش ؟

بهذه الفكرة الضخمة عن التصوير والكاميرات • ذهب محمد
إلى العمل و ••• حصل على الوظيفة • وظيفة بائع وفي قسم
الكاميرات بالعمل • مع أنه في بعض الأيام كان ينقل للعمل في
قسم الحضراوات ليحل محل شخص آخر

وفي الصباح المبكر كل يوم - وليلة شهر - كان محمد يذهب
إلى عمله مبكرا لكي • يذاكر • كالمواجات جميع آلات التصوير ••
حتى لا يخطئ في شرحها طوال اليوم لكل ربوت والمبشرين •
بهذه الطريقة استطاع محمد أن يحصل من العمل على مرتب يتراوح
للقاية - ٢٥٠ دولار في الشهر •

إن محمد يتوقف فجأة عن الكلام • أنه يتذكر • أنه يتذكر
مظهره عندما كان يقوم بهذا العمل • شقاء هناك • لا ألم ••
لا مرارة • بل أنها حبيبا ذكريات يمر بها • أنه يقول مثلا
وهو يضحك من أصدائه • مرة •• جاءت إلى العمل واحدة ست
أنها ست شريك جدا • دخلت محل قسم الملابس واختارت ملابس
بألف دولار • دخلت قسم التوبيليات واختارت اثنا بآلف دولار
أخرى • قسم الإحدى •• قسم الكاميرات •••

• في الحقيقة لم تشتري سوى قلم حبر وولاعة • لكنها
ثلاثون دولارا • ولكنها اشترت من العمل كله بضائع بقيمة آلاف
دولار - أنها لم تدفع شيئا •• فلقد طلبت إرسال هذه الأشياء إلى
منزلها في عنوان كذا •• والنفخ عند الاستلام • حاضر •

••• وقبل أن ينتهي نفس اليوم كانت السيدة قد توجهت إلى
محلات أخرى واشترت بضائع أخرى بنفس الطريقة • النفخ عند
الاستلام •

••• ولكن •• قبل أن ينتهي اليوم كانوا قد اكتشفوا أن هذه
السيدة الشريك جدا هي مجرد : نصابة ! لقد ارتاب مندوب

سأبد للمجلات في الأمر عندما ذهب يوميل البضاعة إلى العنوان المذكور .. فوجد بصائع أخرى ضخمة فوسلتها مجلات أخرى كثيرة و .. لا أحد في المنزل - وعندما أطلع الشرطة استطاعوا بعد فترة العثور على السيد .. واستدعوا جميع الباعة الذين اشترت منهم - وأنا من بينهم - كويتعرف كل واحد على البضائع التي اشترتها منه السيدة الشيك جدا ! ..

هكذا يحكي لك محمد عشرين حكاية وحكاية عن تجربته في العمل لمدة شهر بمحل القالة هذا .

ان الحرية لم تستمر أكثر من شهر واحد ، لأنه بعد هذا الشهر فوجيء محمد بخطاب مطلق يصطه بالريد المسجل ماذا في الخطاب ؟ ورقة ملأها في الورقة ؟ استلعمه . ماذا يقول الاستلعمه ؟ يقول : ان قسم الامعات بورارة الورقة الغيرالدية يحتاج الآن الى باحث زراعي حاصل على الدكتوراه .. وان مرتب هذه الوظيفة يبدأ من ١٠٠٠ دولار وتنتهي بـ ٢٢ ألف دولار في السنة .. اذا كانت هذه الوظيفة تناسبك فتمعظ بالمحضور لاحراء حديثناغوى قصر معك !

.. اذا كنت تناسيه لا

طبعاً هي وظيفة تناسبه جداً .. انها الوحيدة التي تناسبه .. ان الوظيفة التي يريها محمد قد جاءت إليه أخيراً .. الآن فقط - يتحول محمد من جديد إلى : الدكتور محمد !

ولكن في الحقيقة - لم يكن ممكناً لمن رأى هذه الوظيفة الى الدكتور محمد قبل الآن . لم يكن ذلك ممكناً لأنها لم تكن موجودة . لم تكن خبيرة .. في الوقت الاصلى الذي طلبها هو فيه . ولأنه لم يتمسك بها .. لأنه بحث عن العمل ولم يبحث عن الوظيفة .. لأنه رأى في الأمر رقماً والىالدية المتواضعة شرقاً .. لأنه رأى المشكلة تحدياً .. والقصة اصحفاً .. لأنه لم يصع قدماً على قدم .. لم يلتم حظاً ولم يسخط على ظروفه .. لأنه واحة المجتمع بتصميم لا يلتم وربة لا تنهرم .. لهذا كله .. حصل محمد في الشهر السادس على ما لولده في الشهر الاول .

والواقع ان المسألة ليس فيها حظ بقدر ما فيها توقيت مناسب .. فقد تكون الوظيفة للناسبة موجودة أمسي ، وغير موحودة اليوم .. وقد يضطر حامل الدكتوراه الى العمل كبايئ .. ولكنه في القعدة القادمة - سوف يحصل على عمل مناسب جداً .

وانا لا أريد أن اذكر هنا قائمة لشركات المصريين الذين استطاعوا العمل كاساقفة جامعات في كندا - دون أن يعرفوا بهذه التجربة التي مر بها منذ دقائق الدكتور محمد فهمي .

لا أريد أن اذكر مثلا إلى الدكتور فريد سليمان الأستاذ العالي بكلية زراعة جامعة ساسكاتشون .. أو الدكتور عيسى سليمان الأستاذ بهنسية جامعة ماكماستر .. أو الدكتور محمود عز الدين لاروي استاذ اللغة الانجليزية في كولومبيا البريطانية .. أو الدكتور لطفي فام استاذ الادب العربي بجامعة كلكتون .

أو الدكتور حامد محمد نجم استاذ تربية الفواحي بجامعة ماكندوناك .. أو الدكتور فوزي طه استاذ الكيمياء الصناعية بجامعة فلوريدا . أو الدكتور محمود صفوي الشرفاوي الاستاذ المساعد طب جامعة مونتريال .. أو ربيع الدكتور رشاد الطواشي الاساذ بكلية الصيدلة في نفس الجامعة .

لا أريد ان اذكر مثلا الدكتور مصطفى عارف الذي يعمل بالزراع التجربة الكندية ، أو الدكتور مسم عبد الملك بمرکز أبحاث لوتانا .. أو الدكتور لطفي سالم بمرکز أبحاث الشركات ، أو الدكتور السيد محمد حسني الباحث في ليهافس .

لا أريد الاكر هذه الامثلة - وعشرات غيرها - للمصريين الذين دخلوا عظيم المناسبات في وقت اقصر تضحيات افضل ولكن ما أريد ان اقول هو ان البحث عن عمل جديد في مجتمع جديد .. هو امر مطلب صرا .. مع توقع التضحية الزمنة مانياه كثيرة .. لولا هذا الاهتمام بالحق النفسية - لا استطاع الدكتور محمد فهمي ان يكون مثلا قصة كعاج وتصميم وقوة لرادة - فقامت لم تتفق معهما - قبل وصولك .. على العمل المناسب لك في كندا .. فان الماهر سوف يحتاج الى وقته - قصير او طويل للعثور على هذا العمل الذي يريد .

اما اذا كنت قد حصلت على ممتلكات المناسب قبل وصولك . فهذا بالطبع افضل . مع انه ليس ممكنا في معظم الاحوال اننا ربما نجد امثلة كثيرة على ذلك بين المهاجرين المصريين في كندا .. مثلك الدكتور مصطفى الفهرناش مثلا - . انهم يشيرون اليه في كندا باعتباره من أبرز المصريين الذين يحتلون الآن وظيفة كبرى - تعادل وكيل الوزارة أو المدير العام على الاقل - فيما يتعلق بوزارة الخزانة او التخطيط .

ان الدكتور الدمرداش هو واحد من اثنين في حكومة كندا ،
 اللذين يعملان الدكتوراه في الرياضة البعثة فرع علمي محلي
 وعقد .. ولهذا لم توجه اليه او ينجح فيه عدد كبير .. ولان خبرة
 الدمرداش ليست موافقه بكثره .. فقد طلبه حكومة كندا
 من حكومة بريطانيا رسميا منذ خمس سنوات .. انه في الامم
 كان مديرا عاما لشركة سيبا للادوية في مصر .. ثم التحق الى
 سويسرا وبريطانيا بعد تسع سنوات للعمل كمستشار في التخطيط
 لبعض شركات الادوية . وظل هذا هو عمله في لندن الى ان احتاجت
 حكومة كندا الى شخص في مثل كفائه .. فطلبت طلبه رسميا
 من الحكومة الاسطيزية ..

لقد سافر الدمرداش الى كندا منذ اربع سنوات لكي يعمل مديرا
 للتخطيط المالي بالادارة العامة للحكومة . ادارة تعادل طبعا من
 ودار في الحراة والتخطيط بمصر .. الرغب ٢٠ الف دولار موبا
 . العمل هو التنظيم الرياضي بأجهزة الادارة بالحكومة الفيدرالية
 بكندا .. أجهزة يعمل بها أكثر من ٢٢٠ ألف موظف .
 ولذا ذهب الى لوناوا ٢ نفس الآن في شيربروج .

ان مما الآن . في جلستنا هذه يسزل الدكتور الهلالي مدينة
 شيربروج - مصرى آخر ذهب الى كندا منذ سنتين فقط .. انه
 الدكتور مير عزاد سعد - أسلا سابق بالمعهد العالي الفني بشبرا
 - القاهرة .. لقد سافر الدكتور حنبر الى النرويج أولا لعمل أبحاث
 في تخصصه .. التخصيم الهندسي .. ثم سافر الى كندا مساعدا
 تعافلت معه جامعة شيربروج على مواصلة نفس الأبحاث بها .

ان الدكتور مير له آراؤه الخاصة بالهجرة الى كندا . انه يقول
 مثلا : .. أنا أرى أن من يحضر الى هنا لابد أن يكون فقط
 واحد من اثنين : أما شاب مخرج حديثا .. أو رجل كبير في
 السن ولكن خبرته معترف بها في أحد الفروع العلمية المطلوبة ..
 أما الشخصى الاول فبستطيع التكيف مع أى عمل لأن الخبرة
 لم تكيف لديه بعد .

والثاني سيجد العمل لأن المجتمع يحتاج الى خبرته ..
 إما لو كان الماهر شخصا آخر غير هذين الاثنين ، فيجب أن
 توقع مرور وقت طويل قبل أن يستطيع العمل .. ثم يستطيع
 العمل في الميدان الذى يرقبه ..

ولاول مرة يدخل مطبخها - الدكتور مصطفى الهلالي - طرقة في المناقشة تليق على كلمات الدكتور منير .. ان الهلالي يقول « اننى اتفق معك فعلا في ان المهاجر لابد ان يكون محترفا حيويا .. في عرع تخصصه .. هذا اذا لم يكن شاعرا .. ولكنه في جميع الاحوال يستحسن ان يكون صانع الفس .. يجيد الفرنسية والانجليزية .. وكفأ ..

ان الكفاية هنا هي شرط ضرورى .. لانه لو تلوذ كفايته وخبرته مع مواطن كندى فمن الطبيعي جدا انهم سيعطون المواطن الكندى في الوظيفة . وبالمسافة الى ذلك على الاستعداد لمواجهة المشاكل - خصوصا في الفترة الاولى - هو امير هام جدا - ان الفرد الاولى لاى مهاجر جديد ها هي التى تعتمد عليها مسئلة بعد ذلك .. اذا مرت هذه الفترة بتجاح فلن المهاجر سوف يصل غالبا الى مايسمى اليه .. انى اقصد بالنجاح ها فترة المهاجر على تحمل اية مسئلية وموله لاى عمل موجود .. اما اذا تكبر على العمل . لو اعطى الاحساس بانه غير مسئول لو لم يكن كفاء .. فان هذا سوف يظل يطارده بعد ذلك في جميع اصالة التالية .. ان العمل ها لا يعتمد على الخصال والضرورة والتدريب والكفاءة فقط .. ولكنه يعتمد ايضا على ارادة الجهات السطة .. التى عمل بها - في كفايته وقدرته وحرصه على العمل . ثم لعل هذا كله . يحد على شخصه .. ان التهم شخصية فاصحة هو دائما شرط من شروط العمل ها . عظمها هي شرط من شروط النجاح في اى مكان آخر » .

والواقع ان الدكتور الهلالي مع الحق خصوصا بالنسبة للنقطة الاخيرة التى اقرها هي وضع الشخصية .. ان المهاجر هنا ليس مجرد شخص بسم كفايته . ولكنه ايضا بسم شخصيته لصاحب العمل .. ان هذا يسبق واضحا في كل مرة .. يضافون ليها شخصا جديدا للفعل وطبيعة ما . هي اهمية الشخصية تتراءى كلما كانت الوظيفة التى يريد بها المهاجر حاملة بالنسبة للؤسسة او الشركة .. اننى اذكر الآن مثلا لذلك . صاحب هو هذا الشخص: عادل فهمى المنياوى . ان عادل هو مجرد شاب في النوبة والثلاثين من عمره .. مجرد شاب كان يعمل في التجارة موظفا لشركة الكركه للفنل والسياحة .. ثم يكتتب شركة « ايرفرانس » بالاهرة .. فلما هاجر عادل الى كندا منذ ست سنوات فقط عمل أولا في مكتب شركة « سايننا » للطيران بمدينة مونتريال بكندا . ولكن

عادل يريد العمل في شركة « إيرفرانس » عالمة إيرفرانس . لهذا ظل ينتظر إلى أن سألوا عنه مع تناسب مع مؤهلاته (ثانوية عامة فرنسية) وخبرته تسع سنوات كمندوب مبيعات .

وعندما خطت هذه الوظيفة بمكتب إيرفرانس في مونتريل تقدم هو - مع آخرين لتسجلها . لقد سألوه في الإخبار الشفوي عن موضوعات كثيرة لمدة ساعتين ونصف . لقد كان توقع طبعاً أن تدور الأسئلة حول عمل مندوب المبيعات . . . ولكنه لم يتوقع البعض الآخر من الأسئلة التي واجهوه بها . أسئلة مثل : تصور أنك سوف تعمل في هذا المكتب . . كيف تصمم الدبوكور في داخله ؟ . . أين تضع مكتبك داخل الحجرة . . ولماذا ؟ . هل لديك فكرة من أحدث الابتكارات في الهندسة المعمارية ؟ . . لماذا ترفض كرافتة حمراء اللون . . أليس اللون الأزرق أفضل ؟

إنها أسئلة عديدة - من هذا الطراز - ليس الهدف منها أن تعرف لجنة الاختيار رأيك في اللون الأحمر والأزرق حقاً . . ولكنها تريد أن تعرف أولاً - هل له رأي أصلاً . . أم لا ؟ هل لديه معلومات عامة عن الديك التي يمشي فيها ؟ هل له ذوق خاص يصمم به حياته ؟

إنها أسئلة قد لا تبدو لها أية علاقة بالعمل الذي سيقوم به عادل - مندوب مبيعات في شركة طيران . لكنها أحد القاييس الكثيرة اللازمة لقياس شخصيته ومدى اتصاله في المواقف ، بعد قياس خبرته الأساسية وتعليمه .

لهذا حصل عادل على الوظيفة بمردب ٨٠٠ دولار في الشهر . لهذا أيضاً ترفض بسرعة فيها . الآن هو أحد الممثلين الرئيسيين لمكتب تخطيط مبيعات شركة « إيرفرانس » بمدينة مونتريل . لقد ترمى لأنه يحاول أن يسطر العمل عنه - أكثر من حقه - هذا شرط ضروري سمعته من كل مهاجر مصري ناجح في كندا .

إن أهمية هذا الشرط تزداد عندما تعلم أن عشرات الاستهتار في كندا كثيرة . مثلاً مصريات العمل كثيرة أيضاً - وعلى رأى طبيب مصري يلزم قائله في مدينة أوتلوا العاصمة « أن من يسطر للعمل عنه - هذا لا بد أن ينجح . . إن لم يكن اليوم قصداً . . لما من يريد مثلاً أن يتعرف على أكبر عدد من الفتيات ليغطي وقته معهن . . من يريد أن يأخذ الحياة بغير جدية . . فإنه سيقتل قطعا . . أن العمل هنا . . عمل . . والمو . . فهو . . ولا يمكن الخلط بين الاثنين .

ثم ان هناك نقطة اخرى : ان الاخلاص في العمل لا يتم مرة ..
والى الابد .. مستحيل الحديث في العمل هو شيء مطلوب منك
في كل دقيقة . كل يوم . لا يكفي ان تكون متوقفا في عملك أمس ..
لا بد ان تكون متوقفا اليوم وغدا وبعد غد ..

ان صاحب هذه الكلمات هو في الواقع نموذج على تطبيقها ..
انه الدكتور امير حجاج . طبيب مصري مهاجر في مدينة اوتاوا
عاصمة كندا .. ان عمره لا يزيد على ٣٥ - اربع - وهو ربه
الى كندا عمرها اربع سنوات . وعلى ذلك فانه الان يمتلك مبادئه
الخاصة لامراض النساء . عيادة تقع عليه مكبا شهريا
يصل الى ثلاثة آلاف دولار .. الصافي الف دولار . وبالإضافة الى
ذلك فانهم انضموا في جامعة اوتاوا مبلغ عشرين الف دولار بمسقة
مبدئية لتحويل ابحاثه العلمية في امراض النساء .. ان اعتماد مثل
هذا المبلغ لطبيب مزارل احيا بالنسبة لهم في كندا ليس مسألة
سهلة ولا حتى مسألة متكررة . ولكن الكفاءة منهم لا جنسية
فما .. هذه مصلحتهم أولا .. فبال ان تكون مصلحة الشخص
الكفاء نفسه .. مصلحتهم في علمه ، وحظ فربه من بعده .

× × ×

انني ربما لم اسمع في كندا عن طبيب آخر امطوه نفس
التهليل - وأكثر - سوى الدكتور مصطفى الهلالي - مطبعا
الذي اهود اليه الآن - في جاستنا عنده بمدينة شيربوروج .

ان الدكتور مصطفى مازال في الرامة والثلاثين من عمره . خخرج
من طب القاهرة سنة ١٩٥٩ متدبر حيد حفا مع الامتياز في
الجراحة . وبعد ان حصل على الماجستير بدرجة الامتياز في جراحة
المساك البولية سافر الى كندا مد خمس سنوات . هناك حصل
على الدكتوراه من جامعة ماكجيل .. ليس هنا هو المهم . ولكن
المهم هو ان ابحاثه أصبحت تتمتع هناك بورس دولي كبير . لقد
منحه جامعة جراحي المسالك البولية الامريكية جائزتها الاولى منذ
سنوات متتمة قدم لها احد ابحاثه . بل ان احد مساعديه فلان مثل
سنتين بخاترة محالة بسبب مساهمة الدكتور مصطفى له .

وقبل ان يحصل مصطفى على الدكتوراه من جامعة ماكجيل ..
كانت الجامعة قد قررت ان تنفيه من دفع رسوم التسجيل تقديرا

لجهوده الطبية في المستشفى الذي كان يعمل به لم تدرت الجامعة بعد حصوله على الدكتوراه أن تقوم هي بطبع الرسالة وتوزيعها على الدوائر الطبية على صفتها العامة تقديرا لامتياز الرسالة وتعرفها ..

والدكتور مصطفى ذهب الى عمله الآن في الثامنة صباحا ويعود في الثامنة مساء .. أحيانا تلاحظه عمليات جراحية ليجود بسند منصف الليل .

وفي مرة سألته : ألا تستطيع أن تعمل الليل ؟
- أستطيع ..

- إذن لماذا تعجز نفسك بهذا الشكل ؟

- لأن الطب عندي حياة وليس وظيفة .. ولأن أملي يتلجج لأني أكون سعيها عندما أعطى سورة عملية لدفة الطبيب المصري ومهارته .

- هل الخافك العظيم الطبي الذي تقيته في كلية طب القاهرة .. هل الخافك في كتمها ؟

- أعاذني خدا .. في الواقع أنني ماثلت أئمة بالفضل في تقديري إلى الأساتذة الذين تعلمت على أيديهم في مصر : محمد يونس .. محمد صفوت .. وياقي فوزي .. إن تعليمنا الطبي في مصر متأثر من الطراز الأول .

- إذن .. عاين : المشكلة ؟

- المشكلة هي أن هذا التقدم يتم بفضل المراد .. وليس بفضل أسلوب في التعليم .. فما زال الطب يدرس هكذا كما كان يدرس منذ ثلاثين سنة ..

إن الدكتور مصطفى هو الآن أستاذ مساعد بجامعة شيربورج ، فضلا عن عمله طبييا بالمستشفى العبدت التابع للجامعة في مدينة شيربورج . مستشفى أفضل من ستة واحدة .. جيد أن تكلف

سبعين مليون دولار . انه الآن أحدث مستشفى في أمريكا الشمالية
كلها ..

ان الدكتور مصطفى قدم الآن ابحاثه في هذا المستشفى نفسه .
ان لديه متحاً من ثلاث جهات مستعدة لتحويل هذه الأبحاث . ثلاث
مخبر لصل في مجموعها الى اربعين الف دولار . انه لم يحصل على
هذه المبلغ الا بعد ان اكتشف طريقة جديدة لتشخيص سرطان
البروستاتا في أول مراحله . هذا هو الشيء الذي حصل بسببه على
الدكتوراه في جامعة ماكجيل في مونتريال . فالدراسة في جامعة
ماكجيل بالذات أسبب من غيرها .. لهذا أصبحت واحدة من
أحسن الجامعات في أمريكا الشمالية .

ولكن الدكتور مير مسعود - الموجود معنا الآن في القاهرة -
مدخل في المناقشة مثلاً . ان الدراسة هنا ليست صعبة . انها
بمقدور .. مجرد دراسة . انهم هنا يسيرون بالمستوى أكثر من
أعضائهم بالعدد . لهذا تكلف الطالب مصروفات ضخمة خلال
سنوات دراسته العلمية . ان متوسط تكاليف الطالب الواحد
في الجامعة هي ثلاثون الف دولار . الطالب يدفع ما يبادل الثالث
. والثاني تحمله الجامعة . ان هذا الفسخ الضخم يدفع أولاً
الى تمييز الكلية بأحدث الأجهزه العلمية ، ويذهب الباقي الى تمويل
النشاط العلمي للأساتذة .. ان نسبة عدد الأساتذة الى عدد الطلبة
هنا تصل الى ثلاثة لواحد . هم ثلاثة أساتذة لكل طالب واحد .
ان دفعة الكاتودوس التي سخرها هذا العام من كلية الطب
التي يعمل بها الدكتور الهلال هي مثلاً لا تزيد على ٢٤ طالباً فقط
٢٤ طالباً بعضهم ، بعضهم ، مائة وعشرون مثلاً .. وبالاضافة
الى ذلك فإن الجامعة هنا تعرض على الا تتخلف عن عصرها ، بل
تعرض على أن تسبق عصرها . ان كل طالب جالس هنا مثلاً لا بد
ان يدرس طريقة عمل واستخدام العقل الالكتروني مثلاً في فرع
تخصصه ، استفاد من كلية التقنية .

والواقع ان استخدام العقل الالكتروني في الجامعة - كما اشر
مير مسعود حالاً - لم يبدأ الا مع استفادته في النشاط
الانصلاحي بالجمع كله في كندا ، وهذه إحدى التقنيات التي
ينتبه اليها المهاجر المصري عند وصوله الى هناك . ان برنامجاً واحداً

يحضره المصري في القاهرة لدراسة العقل الإلكتروني قد يؤدي إلى
ريادة مرتبه عند هجرته إلى كندا بمسألة الربيع على الأقل . إن هذا
القارق الضخم يترسب على التربة حقلها لكل هذه المسألة الصغيرة .

وهي ليست هذه المسألة فقط ، في الواقع إن هناك مسائل
أخرى كثيرة ، وسعيرة أيضا ، نستطيع أن نحقق نتائج كبيرة
للمصري المهاجر إلى كندا . نتائج ضاعف من قدرته على التكيف
مع الحياة الجديدة والمجتمع الجديد هناك .

ما هذه المسائل الصعيرة .. ؟ ما هي العقبات التي تعترض
قوة بعض المهاجرين المصريين على التكيف مع حياتهم الجديدة
بعد الهجرة ؟

إننا سنحاول هذه المقالات بالتفصيل في الفصل التالي .
ولكن قبل أن نتناولها .. دعنا نلهاها من النقطة التي لا يتنبه
إليها أحد .

دعنا نلهاها من : العلاقة الزوجية !

مدرس .. لكل عشرة رجال !



والقصة صغيرة حدثت في كناها منذ شهر ولم يتبه اليها احد :
ان الحالية المصرية سجلت اول حالة طلاق بين زوجين مهاجرين من
مصر ! طلاق تم في مونتريال - بعد ان فشلت كل محاولة ممكنة
لإعادة التوافق بين الزوجين الفاضلين للصومانيين على الطلاق .
ان الزوج يعمل مدرسا . اما الزوجة فتعمل مسكوتيرة في إحدى
الشركات الكبيرة بمونتريال . وقبل ان تنهض الطلاق بين الزوجين
المصريين بالطلاق .. كانت لتتعاقل قد بدأت تتراكم ، مشاكل
خائفة كلها من محاولة التكيف مع الأوضاع الجديدة ..
والإخلاقيات الجديدة التي انتقلت اليها في كناها ..
ان الزوج يصل الى منزله كل مساء ليجد ان زوجته قد جاءت
في سيارة رجل غريب !

.. من هذا الرجل ؟

وترد الزوجة : هذا زميل لي في الشركة .

.. حالا اوصلك بسيارته حتى هنا ؟

.. لماذا ؟ .. انه يسكن في شارع مجاور .. واثت تعلم محبوبه
الواصلات الصلة في هذه الساعة الزحمة .. وتسلم اتني
لا استطيع ان استعمل تاكسيا كل يوم من الشركة حتى المنزل
.. حتى هنا .

.. اما لا اسمح لك بركوب السيارة مع رجل غريب .. هذه
اخر مرة تركبين فيها هذا الخطا ..

وترد الزوجة باسمرار شديد : ان ما اتمناه ليس خطا ..
وبالاساهة الى ذلك فان هذا الرجل ليس غريبا .. انه زميل لي
في العمل . وانا لا اجد مطلقا اى مفسد سييء في ان يوصلني زميلي
الى صبا .. مادام هذا طريقه الاعلى . وما دام هو الاحمر
منزوح .

ويرد الزوج المصري الضاحك .. منزوح او غير منزوح ..
لا يهم .. المهم . ان اسمح لك بالركوب معه مرة اخرى مفهوم ؟
.. حاضر ؟ ..

.. لكن الواقعة تكررت في اليوم التالي ، والثالث ، والرابع و ..
على كل مرة تتجدد نفس المناقشة .. وفي كل مرة تنتهي بنفس
الاحتجاج من الزوج المصري على زوجته :

.. « اقم لفل لك امسي لا تاتي في سيارة هذا الرجل مرة اخرى !!
وترد الزوجة : سم . ولكن شعرت بالمرح الشديد وهو يعرض
على اليوم توصلي الى المنزل . لقد بنا مرضه حاديا جدا ،
والمسألة كلها عذبة جدا ونحدث كثيرا بين الزملاء مثلنا .. ولصور
انت ماذا يمكن ان يحدث لو قلت له : آسفة .. لن اذهب في
سيارتك . وسامصل عليها بركوب التروازدحم ..! ولو قلت
له السبب الحقيقي .. وهو انك بالمرح زوجي .. لا تريد مني
الا اركب في سيارته .. فلن الامر سوف يبدو غريبا جدا ..
انه امر غريب لانه نظر الى كريمة ، وليس ككثرة ا تمنع حنبا
في كندا .. واسناني مصر ..! »

ولكن الزوج لا يتنحى مكتبة كندا ومصر هذه : ان هذا الطرح
من زوجته غير مقبول . لقد تولى في مصر على ان المرأة هي اولاً
الزوجة ، وليست زميلة . لقد اعتاد على ان الرجل عندما يعرض

توصيل زميلته في العمل الى مكان ما .. فلا بد ان يهدف الى
 شيء اكثر من مجرد التوصيل .. لابد اعتدك على ان همسات
 التلميذ بما في التردد متطابقة دائما من مثل هذه اوقات الصغرة
 .. ان الناس هنا لا يهتمون بشيء .. ولكن هذا لا يهم .. ان
 اللهم فانك هو ان زوجته تخطف لوانه : اللهم فقط حسو ان
 زوجته لا تطيقه . معنى ذلك ان الامر لابد ان يكون فيه
 .. لا شيء ما . نعم هناك شيء ما بين زوجته وبين هذا الرجل
 الغريب .. من المؤكد ان حكاية التوصيل هذه ، والزمانة هذه
 هي مجرد عذر لتوبة ما تخفيه زوجته !

و .. عندما يشك الزوج دائما في وجود شيء ما .. فان كل
 شيء في الحياة الزوجية يتحول دائما الى ظل لهذا الـ « شيء ما »
 .. من الآن سوف تصبح الدقائق العسى التي تناخرها لوجه
 في الخارج هي ساعة كاملة .. من الآن سوف يصبح الطعام
 الذي تهمه باردا سريئا .. من الآن سوف يصبح كل شيء خطئا
 في المنزل هو بسبب خطأ ما .. لتركه روحته .. اذا تمطيل
 التلفزيون .. فلان زوجته لمعطت في تشبيله .. اذا تمطل
 التابعون .. فلان روحه تتحدث فيه كثيرا .. اذا ضاع
 رزاق واحد من أحد القمصان .. فلان روحته لا تقوم بواجبها في
 المنزل .. اذا نزلت روحته لشراء شيء ما .. لمتها قطعا - قطعا -
 ذاعة لارتكاب خطأ ما .. 1

لقد سمعت الملائكة بين الزوجين صفحا دخل فيها «شئ ما»
 من الآن سوف يحول كل خلاف بسيط بينهما الى .. خيانة ..
 كل ذرة تراب في المنزل سوف تصبح .. مشكلة .. كل صباح
 جديد سوف يصبح بداية جديدة ليوم من الشائب .. ان الزوج
 يعتقد ان روحته لم تعد - منذ الآن تقبل الحق - الزوجة تعتقد
 ان شك زوجها في تصرفاتها هو اهانة لها - لسلوكها .. ان ..
 اذن .. لا حل سوى الاتصال .. لا حل سوى الطلاق !

حكى لنا تم الطلاق الاول في مدينة مونتريال - اول طلاق يقع بين
 زوجين من الحالة المصرية هناك . طلاق تم أولا بين هذين
 الزوجين ، ثم تم طلاق ثلث بين زوجين مصريين . هذه المرة كان
 الزوج والزوجة مدوميين .

و .. حتى الآن لم يقع الطلاق داخل الجالية المصرية سوى في هاتين العائلتين فقط - في حالتي مسجعتي من الأب روفائيل .. مثل الكنيسة المصرية في كندا والولايات المتحدة *

ولكن الواقع أن هناك مشاكل أخرى خلفها التكيف مع الاخلاقيات الجديدة والحياة الجديدة .. بكندا ، انها مشاكل لم تصل الى درجة الطلاق - ولكنها مشاكل على أية حال *

ان الموظف الذي كان يلحظ الى مكتبه في مصر من الساعة صباحا حتى الثانية ظهرا ، يلحظ هنا من الساعة والنصف صباحا الى الرابعة والنصف مساء ، او من الساعة صباحا الى الساعة مساء .. والموظف الذي كان يجلس في مكتبه بمصر ست ساعات ويعمل ساعة واحدة .. يأتي هنا ليجد نفسه مرغما على القاء في المكتب ثمان ساعات .. والعمل ثمان ساعات * لا لرويد لا رغب في النعير . لا زيارات من الاصدقاء . لا اصدقاء .. لهذا يعود الى منزله في المساء متعبا ، جنكا ، متوتر الإحصاب .. خصوصا في التهور الاولى لعملة .. قبل ان يتكيف مع هذه العادات الجديدة

ومعما يكون هذا المصري المهاجر روحا . لانه لا يستطيع ان يسي انه اصلا في مصر على راحة نظره في المنزل حتى عودته من العمل . تمنح له الحب ، تلح له الحانة ، تقدم له الطعام الساخن انه لم يتكيف بعد ، خصوصا في اسبوعه الاولى - على راحة تعود من العمل متعبة مثقلة . لم يعود على أن يجد بده الى التلاجه ليتناول طعاما باردا .

ان عليه - على هذا الزوج المصري المهاجر - ان يتأكد هنا على حقائق جديدة . صلا أولا على ان زوجته لا بد أن تعمل وإذا لم تعمل فاتها سوف تجد نفسها وحيدة . غربة .. وسط مجسم كل من فيه يعمل ..

وإذا عملت الزوجة .. فمعنى ذلك انها قد بدأت تقاسم مع زوجها مصروفات البيت . وحيما يحدث ذلك فلا بد أن ترتب عليه - ائتماريا - نتائج أخرى كثيرة . فمن الآن أصبحت الزوجة تتوقع من زوجها أن يشاركها كتحسية مستقلة محترمة يؤخذ رأيها في معظم المسائل الاساسية - من الآن أصبحت الزوجة تريد ان تشارك في اختيار لدوات المطبخ ولون السجادة وحجم

الاخلاق ، وشكل السرير ومكان الفراش وطرق البوليتاجز وملوحة
السيارة وموقع النشقة .

ثم .. عندما يكون هذا الزوج المصري المهاجر أباً .. عندما
يكون لديه أولاد وبنات .. فإن حجم الوثائق الجديدة التي لا يد
أن يتكيف معها .. يتغير ويتضاعف . أنه لن يصبح هذا المصدر
الوحيد لتربية أولاده وبناته . أنه سيكتشف أن الأطفال والأولاد
ها تعلمون من التليغريون وأفلام السينما أكثر مما تعلمون من
آبائهم .. أنه سيكتشف كثيراً من الموضوعات المحرمة في مصر قد
أصبحت لها شيئاً مباحاً .. تعري النخاسة فيه علناً .. حل
الجنس مثلاً .. أن الأطفال يقرأون عنه ، يشاهدونه يتعلمونه ،
يتأثرون به . بشكل لم يكن هو شخصياً يجرؤ عليه في أيام شبابه
.. أو بيت أسرته .. أن ما كان عباً خطيراً في مجتمعه أصبح هنا
شيئاً مسمكاً أن يقع من أولاده .. شيئاً مسمكاً ومتوقفاً وحالاً أيضاً

أن هذا المنهج الجديد على الرجل المصري المهاجر .. وهذه
الاختلافات الجديدة التي يجب أن يتكيف عليها .. تمتد أيضاً
لكي تؤثر على المرأة المصرية المهاجرة سواء كانت فتاة أو زوجة
أو أمّاً .

أن المرأة المصرية سوف تأتي إلى هنا - إلى كندا - لتجد أنها
وحدها في مجتمع غريب أنها لن تجد لها جارات يتكلمن معها
ساعة على باب النشقة ، ولا حادثة تستمر معها مصفاة أو حتى
أبرة حياطة . ولا زميلة ترفع معها ساحة في التليغريون . لن تجد
رائحة تتبادلها معها آخر الإشاعات هي فلانة وعلافة . أنها لن تجد شارع
سليمان باشا لها تستعطر فيها ، ولا نادي جزيرة تستمرش فيه ،
ولا رجلاً سطلق فيها ولا غريباً يملكها ، ولا حياطة تقضي عندها
يوماً تاكملة لتفصيل فستان . في الواقع أن تفصيل الفستان هنا
يتكلف خمسة وعشرين دولاراً على الأقل .. الجاهل الخرس !

القول : أن المرأة المصرية التي شاهدها هنا هي التي تعرض
في أسبوعها الأولي - أكثر من الرجل - لطاعة مميعة من الصين
إلى الوطن ، والأسرة والصدقات ، والزميلات .. أنها - حتى -
لاستطيع في أسبوعها الأولي الاعتماد على أنواع الطعام وطريقة
اعداده ها . لقد اعتادت في مصر على أن أملاك الطعام يستغرق
ثلاث ساعات ، وطبخه يستغرق ساعة ، وتسجيده يستغرق
ساعة . ولكنها هنا في كندا - يجب أن تعتاد على الخضراوات

المالوفة ، وتصاد على الزيت بدلاً من السمك ، ويعتمد على المملكات
الحاضرة بدلاً من تدمير الطامس ، وتخرط البلمبة ، وتنظيف
الصحافة . أن كل شيء هنا حاصر . كل شيء بعد مقفلاً . . أن
الوجبة التي كانت للزراعة صعدا في مصر في ست ساعات وسوف
تعدنا هنا في ست دقائق وانتهى الأمر . . .

ولانتهى الأمر عند هذا الحد بالنسبة للمصريين المهاجرين
عندما يتعرضون لتجربة التكيف على هذا المجتمع الجديد الذي
هاجر اليه . . في الواقع ان هناك مشاكل اهم يتعرض لها الحاليات
المصرية هنا - في كندا .

فلو انعمنا انواع المشاكل التي يتعرض لها المهاجر المصري في
هذه التجربة الجديدة عليه - تجربة الهجرة - سوف نكتشف ان
هذه المشاكل يمكن وضعها تحت ثلاثة تصنيفات مبرزة .

فهناك اولاً - مشاكل يواجهها المصريون المهاجرون في مواجهة
هذا المجتمع الجديد الذي هاجروا اليه .

وهناك ثانياً : مشاكل يواجهها المصريون المهاجرون في مواجهة
مستعمرهم .

وثالثاً : مشاكل يواجهها المصريون المهاجرون بالنسبة
لأنفسهم .

ولو أخذنا النوع الاول من المشاكل سنعرف انه مشكلة تكيفهم
الاجلاقي مع هذا المجتمع الجديد . فالرجل هنا يجب ان يظفر
الى المرء بمسقط الزميل ، الصديق ، وليس بمسقط الصائد
الذي يطارده قريصة امه .

والرجل هنا يجب ان ينظر الرئيس في العمل على انه صاحب
العمل ، وليس مجرد رئيس للعمل . انه - في حالة وقوع خطأ
كبر منك - لا حافيتك - انه يسلط يده عليك .

والصديق هنا يجب ان ينظر الى صديقه على انه مجرد شخص
له صاح العمر وانتهى الأمر : لا موانع لا علاقات شخصية . .
لا شئ . ان المصري اعتاد في طبعه على ان وجود شئ من الامداد
هو شكل من اشكال الاحساس بالامن الاجتماعي لا شئ هنا .

والصبرى اعتاد على أن الصديق هو الشخص الذى يلجأ اليه وقت
الشفة . يقرضى منه مثلا . لا تروضى شخصية هنا .

والصبرى اعتاد على أن الصديق والصديق والتوسط هم أشخاص
يعملونه فى كل مناسبة . لا محلات هنا . فى الواقع إن أى انسان
يذهب الى المشى مثلا لاجراء عملية جراحية لا تلقى سوى
بطاقة تسميات بالشمامه تصله من استشفائه بالبريد ..
بالكثير . باقة ورد . لا ريلرات ، لاسلامات ، لالتيونات ..
وحى الشخص الكندي عندما يدخل مشى فى زوجته
لا يقضى حتى تجرى العملية . انها تلقى من عليها لتيونا لطيب
لطين منه : هل نعت العملية ؟ بعد ما غطت . بعد أن يخرج
من عليها . ربما تذهب الى زوجها فتروده فى المشى

والصبرى الذى أملا فى مصر على أن « الأولاد دة الحياة » ..
سوف يكتشف هنا أن الأولاد هم « صيد الحياة » . أنه لن يجد
ها أبدا له سمة أولاد ، أو سنة أو حتى لربة .. بالكثير الذين
أو ثلاثة . بل إن الصبرى الذى عاش فى بلد يسبح شوارت تحديد
النسل بأصلها مجرد شوارت ، سوف يكتشف أن تحديد
النسل هنا ليس شوارا وإنما ضرورة .. أن اتجاب طفل جديد
هنا مبناه أن الزوجة يجب أن تتوقف عن العمل . وتوقف الزوجة
من العمل معاه اهزائر شمم بصيب دخل الزوجين .. وحتى
إذا تعمل الزوجان هذا الإحتراف فإن مصروفات هذا الطفل الجديد
لا بد من حلها مقبلا . وعلى رأى أحد المصريين المهاجرين
بوسريال واسمه عادل فهمي :

« أنا فى الحقيقة متزوج منه ست سنوات .. زوجتى كمصرية
طما .. انها تعمل موظفه فى رومال بك بمونتريال .. موظفة
تعمل على مرتب ٥٥ دولارا فى الشهر ومع ذلك فانا بعد ست
سنوات من الزواج لم يجب طفلا واحدا .. أنا ومن الذين يريد
ذلك فانا لو انما يجب أن نضمر زوجتى الـ ٥٥ دولارا
الى تعمل عليها كل شهر .. أنا سوف يجب طما اطفالا فى
المستقبل ، ولكن . ليس قبل أن يبنى الأساس اللازم ثرية
طفل جديد فى مستوى مقبول من المعيشة » .

وحى إذا لم يكن الصبرى المهاجر رافعا فى اتحاب اطفال جدد ،
وحى إذا لم يكن متزوجا أملا ، فإن مشكلة أخرى سوف
تواجهه مشكلة البحث عن زوجة ..

ان بعضهم يتزوج طمعا بقناة كنديّة ، أو امريكية ، أو اية قناة اخرى .. ولكن معظمهم يفضل - في الواقع - العاة المصرية . ها تجد اكبر مشكلة اجتماعية تواجهها العائلات المصرية .. في كندا .. وفي امريكا ايضا .. فالصربون الشبان - غير المتزوجين - الوجوديين هنا في كندا - تزيد نسبتهم عن المصريين الشباب غير المتزوجات بحيث تصل الى عشرة شبان مقابل كل فتاة واحدة ! نعم .. عروس واحدة مقابل كل عشرة رجال . هذه حقيقة . هذه في الواقع مشكلة .

فلان الذين يهاجرون هم غالبا شبان ، ولان هؤلاء الشبان يفضلون البقاء في كندا أو مصر أو خيرا بل الاستعداد للزواج . فاقم حينا يستديرون حولهم البحث عن عروس مصرية بعدون ان فقد العيلات الابي في سن الزواج هم قليلات نادران . ان العائلات المصرية موجودة طمعا ، والفتيات في هذه العائلات موحدرات طمعا ، ولكن غالبا صغرات السن .. صغرات جدا على الزواج .

وتجد دل لي الاب روفائيل ممثل الكنيسة المصرية في كندا وامريكا . « اتنى في كل مكان للذهب اليه .. في كل مدينة للذهب اليها بكم على .. في مونتريال أو تورنتو أو أونتاريو .. وحتى في ميسوريك أو بوسطن .. اجد دائما نفس السؤال : ألا تعرف لنا عروسا مصرية مناسبة ؟ .. انها في الواقع مشكلة كبيرة يواجهها الشباب المصري المهاجر هنا في كندا وامريكا على السواء » ..

ان هذه المشكلة - مشكلة البحث عن عروس - تواجهها الاب روفائيل منذ بدأ عمله في كندا ، اى منذ اكثر من ثلاث سنوات . وتجد واحدة اتا نفس هذه المشكلة مرة منذ ظهور قلعة . كانت المشكلة هي مشكلة صديق مصري يحصل مبعدا في إحدى الجامعات بأمريكا . انه مريد .. ومسد رسالة الدكتوراه لكن قطعها الى الجامعة الأمريكية التي حصل بها .

وفوجئت ذات يوم بهذا الصديق في مصر وهو يقول لي : لقد جئت في اجازة لمدة اسبوعين .. انها اجازة مفاجئة اتنى لزوج الزواج ! نعم اتا الان في سن مناسبة (35) ودخلت متاسب (800 دولار شهريا) . ولرجو ان اتمكن في اختيار عروس لي خلال هذين الاسبوعين الذين ساقضيهما في مصر . اسبوعين لا عمل لي خلالها سوى - البحث عن عروس !

وابدأت الصديق شكى الشديد في امكانية عودته على عروس
متناسبة خلال اسبوعين ان المسألة هي بحث عن زوجة .. وليست
بحثا عن زوج من الإحطية !! ولقد له من الاغصان ان تنبأ الى
اسرتك لطفا تجد حلا لهذه المشكلة .

ولكن الصديق المصري لم يكن يثق في رأي اسرته ، اتهم .. بالكنج
.. سوف يفتكرون له عروسا من البيت المجاور في قرنته بينما
هو يريد عروسا متعلمة ، مثقفة ، تستطيع العيش معه في
امريكا ..

وبالطبع ظل صديقى هذا يؤجل عودته الى امريكا اسبوعا ثالثا
ورابعا ، وخامسا ، وعاشرا .. الى ان عاد من جديد الى امريكا
بعد شهرين ونصف شهر دون المنور على العروس المطلوبة
انها بالفعل مشكلة .. وهي مشكلة يواجهها كثير من الشبان
المصريين المهاجرين في امريكا وكندا .

ومع صعوبة هذه المشكلة ، فلها في الواقع ليست اهم مشكلة
يواجهها المصريون المهاجرون في كندا . أنها - حتى - ليست
أخطر مشكلة ، ولا هي أكثر المشاكل إلحاحا ..
ان أخطر مشكلة هي - في الحقيقة - قسوة المصري المهاجر على
مواجهة مستقبله في هذا البلد الجديد الذي بهاجر اليه .. كندا .
في حالته هذه .

ان المصري عندما بهاجر يجب ان يفكر بين شيئين مختلفين :

أولا : البحث عن العمل ..

ثانيا : البحث عن العمل .. للتأقلم .

هناك فارق كبير بين الاثنين . فالمتنور على عمل - أي عمل -
ليس هو المشكلة . ولكن المشكلة هي المتنور على العمل المناسب .
ان الخطوة الاولى قد تستغرق اسبوعا او شهرا . ولكن الخطوة
الثانية قد تستغرق ستة .. او حتى خمس سنوات .

ان عدم الاعتماد التام على السابق لمواجهة هذه المشكلة ..
قد كان سببا - مع اسباب أخرى طبعيا - في حالات الفشل القاتلة
التي واجهها مصريون هاجروا الى كندا ، وسمعت بقمصم هنا ،
في مونتريال .

مثلا .. مهندس معماري ، كان يعمل ، مدير ادارة احصاء
المؤسسات العامة الكبرى في القاهرة .. عندما هاجر هذا الرجل
الى كندا حاول ان يعمل مهندسا معماريا . ففشل . لقد فوجيء

باتهم لا يمتثلون بشهادته .. ولن كل ما هو ممكن بالتسوية له ان يحصل كرسام معماري .. وليس كمهندس معماري .
ولانه اعتاد في مصر على ان يكون مديرا ، وليس حتى مجرد مهندس .. فقلد كانت هذه الجمعية جديدة بالتسوية له .. حقيقة مؤلمة . انه الاثر لن بعد ساعيا يقف له بسبب وحرر سببا ، فن يجد مريوسا يحكي له باعتباره « سفارة اليه » انه هو نفسه يجب ان يبدأ حياته كمريوس جديد .

لقد ظل هذا المصري المهاجر في اضطراب نفسي شديد لمدة اربعة اشهر . اضطراب لم يستطع يده ان يفتح نفسه بان العمل المناسب لمرته سوف يناخر قايلا .. وان عليه أولا ان يحصل على عمل .. اي عمل .. كخطوة أولى .. وحينها لم يستطع التعامل على هذه المشكلة النفسية .. جمع حثالة وعاد الى مصر من جديد .. عاد الى فستات القهوة والسلمى وسعادة اليه دخل .. وسعادة اليه خرج !

والذا كان هذا النموذج المصري لم يستطع التفرقة بين العمل .. والعمل المناسب ، فان مصريين آخرين كثيرين قد ارعقوا انفسهم على الانشغال بهذه التفرقة .

حل مثلا هذا النموذج : المهندس سعد فهمي حنا . انه مهندس مصري ، متخرج من مدرسة القاهرة سنة ١٨ سنة . مهندس معماري . مهندس كان آخر عمل له في مصر هو النايمة والتخطيط بالأسسة المصرية العامة للاسكان والتنمية .

وعندما هاجر سعد الى كندا منذ ثلاث سنوات اكتشف حقائق كثيرة لم يكن يعلمها من قبل .. اكتشف مثلا انه لكي يحصل مهندسا فلا بد ان يحصل على عضوية نقابة المهندسين المعماريين . ونقابة المهندسين .. مثل أي نقابة أخرى في كندا - تضع شروطا قاسية لمنح العضوية .. لان من مصلحة امضاء النقابة ان يظلوا على قدر الامكان من دخول امضاء جدد في الهيئة ، ليس امامه الا ان سوى واحد من طين .

الحل الاول لتنفيذ شروط النقابة : ثلاث سنوات حرة في الاعمال المعمارية . بكندا ، بالإضافة الى التناحر في اخضر - حاس يقفونه في العنسية وادارة الاعمال لتأمين الارامى . وهذا كله ياتي بالطبع بعد الحصول على بكالوريوس في الهندسة المعمارية ، من إحدى الجامعات التي تعترف بها النقابة ، وليس فيها بالطبع جامعة مصرية ..

والحل الثاني : هو العمل مؤقتا كرسام معملى .. وليس كـمهندس معملى حل مؤقت الى ان يستطيع سعد ان يحل مشكلته الرئيسية في العمل كـمهندس معملى .

و .. بالطبع قل سعد الحل الثاني . حل عصى . لهذا عمل كرسام معملى ا ب . ٦ دولار مربيا في الشهر) . لمدة ستة اشهر ولان المكاتب المعمارية ها - في كندا ... تقوم وتنتهى على اساس مهمة محددة ، فان المكتب صفى بعد ستة اشهر حينما انتهى العمل المسند اليه . بعدها عمل سعد بمكتب آخر لمدة ستة هذه المرة .. بعدها عمل في مكتب ثالث ، ر ٨٠٠ دولار كـمهندس شهري هذه المرة . وهو العمل الذى يقوم به حاليا .

اما لو كان سعد قد حصل على عضوية نقابة المهندسين المعماريين فان الوضع كان سيختلف معه جدا . فـمكتب المهندس المستدى ها - في كندا - سدا يتمتعة بدولار في الشهر .. بالإضافة الى انه يعثر دائما في المكتب الذى يعمل به . ثريكا جبر مساهمة في رأس المال . وهذا معناه ان دخل المهندس المستدى لا يقل عن ١٠٠٠ دولار في الشهر .

ولكن .. لان سعد وجد مشكلة لم ينبا بها عند طلب عضوية نقابة المهندسين .. فانه لم يقف عاجزا .. ولم يشعر بالمثل . او يحس بالرمية .. لقد استطاع ان يعرق بين ضروره الصحة من اى عمل في البداية .. الى ان يتمكن من العثور على العمل المناسب في النهاية ..

واذا كان سعد قد احل العمل كرسام معملى بدلا من مهندس معملى ، فان حينها آخر - مهندس كهرباء هذه المرة - قد اتجه الى التفرس .. انه الآن يعمل مفرسا لطبيعة باحدى المدارس الثانوية في مدينة لوتلوا عاصمة كندا .. براتب سنوى يبلغ ١١ ألف دولار .

والواقع انك ستجد في كندا ان حوالى نصف المصريين المهاجرين يعملون بالبداية امعالا غير اثنى لمخصصوا فيها في مصر او غير الذى نوعوها في كندا .. سوف تجد مثلا خريج حقوق او تجارة يعمل باقما في محل بقالة او طبيبيا يعمل تحت التمرين او مهندسا يعمل مدرسا ..

ان احد الاسباب الرئيسية في ذلك هو - كما اثرت من قبل -

تحكم التماثلات الهية ها في كل مهنة فكل الناس هنا لهم تقاليد، حتى موظفو الحكومة لهم تقاليد فرعية ثم سلطة عامة . ولان النقابة هي بطبيعتها تنظيم لحماية مصالح الاعضاء الموجودين فعلا - فانها غالبا تضع شروطا قاسية امام الاعضاء العدد . شروطا هدفها أولا المحافظة على المهنة نفسها ، ثم بعد ذلك تحببهم فوس انضمام اعضاء جدد الى اقل قدر ممكن .

والسبب الثاني لحظم حالات الفشل ها هو عدم اهتمام المهاجر بكتابه المخصص المطلوب منه من حرفة . . عندما يقدمه الى الشركة او المؤسسة التي يطلب العمل بها . مهندس مصري مثلا كتب في ملخص حرفته انه كان في مصر يشرف على ماء العبارات والبناني السكنية . انه لم يكن يعلم ان المهندس في كتبا مهنته ان يشرف . ان الوفوف على ايدى عمال البنية للاشراف على اقامة عمارة هو عمل سلفونه في كتبا الى رجل غير مؤهل مطلقا .

اما المهندس المصري فان مهنته أولا ان يضع الرسوم المطلوبة منه . ثم يعر على المس مرة واحدة - مجرد مرور . لهذا عندما كتب المهندس المصري ان حرفته التطبيقية بعد الكالوريوس هي الاشراف شخصيا على بناء كذا مبني في القاهرة . . رفضوه .

والواقع ان نقص الفشل - او عدم التكيفات بين المصريين المهاجرين في كتبا تمثل مشكلة ضمن المشكلة عامة من الناجمين ومع ان المثنيين المالية الا انه يقل من العديد ان نعرف بالتفصيل اسباب فشلهم .

فمضى الذين بهاجرون يعتبرون ان المهنة بدلا من الباحة . .
٦ . حصر ابيه يمس . . هو الواحد تخرج الدنيا هابنة اراي
٧ . ان من سرح من مطار القاهرة او صلاء الاسكندرية بهابا
الاحساس سيئ مثل قطار . انه سائح اكثر منه مهاجرا . ان تصرفاته النابية كلها لن تكون ابدا تصرفات مهاجر .

وبعض الذين بهاجرون يعتبرون ان عدم الحصول على وظيفة حكومية مماثلة لوظيفته في مصر . . هو الفشل . ولست ادرى ما هو السحر الذي يوجد في الوظيفة الحكومية بحيث يظل المصري مشدودا اليها هكذا حتى في آخر الدنيا . ان الوظيفة الحكومية هي وظيفة الثرى للصوم ، ولكنها ايضا وظيفة الفشل الثابت . انها وظيفة آمنة . . ولكنها ليست عملا مشرا للطموح .

ان عدد افراد النخاليه المصرية في مدينة بورنتو بكندا مشغلا بتراوح تقديره بين ٦ و ٨ آلاف . ومع ذلك فان شخصا طبيعا

واحدا فقط - المذكور سعيد فقط - هو الذي فتح حسانة
 حامية ، وشخصا واحدا فقط هو الذي أقام ورشة تصنيع
 السيارات ، وشخصا واحدا فقط هو الذي أقام مصنعا للكرسيات
 وشخصا واحدا فقط هو الذي منح محطة سوين . الثاقون اعطيتهم
 الكبرى موظون . وحس عندما نسمع عن مثل عصري اسمه سر
 حسي . . استطاع ان يطور بصميم جميع المذكورات ليس
 برئيس أوساريو العديد - هناك نسمع أيضا انه حقق هذا العمل
 من خلال وظيفته كرئيس قسم المذكور في حكومة مقاطعة أوساريو
 ان الاصرار دائما على الوظيفة الحكومية - وفيه بدليل عنها
 حتى مؤلفنا - يمثل واحدا من الاسباب التي تجعل بطريركهاجرين
 يحس مبكرا بالفضل ، بينما هو في الحقيقة لم يفعل . . ولكنه
 لم يخاطر ، لم يخاطر .

وحتى عامل جديد يضاف الى مجموعة العوامل النفسية العامة
 وهو التوقعات المرتفعة التي يسافر في عقل للعصري مع هجرته .
 انه يسافر موقعا ان بعد كل التسهيلات من افارة الهجرة اليوم
 ويحصل على العمل المناسب لها ، ويصبح مليونيرا بعد ذلك .
 من الجائز ان يحدث هذا كله . ممكن . ولكنه اذا حدث فهو
 استثناء وليس قاعدة عامة . القاعدة العامة ان المهاجر يجب ان
 يسافر بروح الحطوب ، وليس بروح الباحت من الثروة السهلة
 السريعة . انه يستطيع ان يكون ثريا ، ربما ، ربما يستطيع ان يكون
 مليونيرا ، ولكن ليس قبل ان يفشل مرة ، ويبيع مرة ، ويصل
 مرة ، ويتم كل يوم انه يجب ان يكون مصاربا . . فاكرا على
 التمسك بالثيق من الهزيمة في مرة . . والهزيمة في حروب وبين
 الفشل للوقت والمجاز المقام .

ان العوامل العامة تتعلق بالعائلة النفسية للمهاجر يوم
 هجرته . ولكن هذه عوامل أخرى تتعلق بكفائه النفسية ، أو
 قدرته على التمسك مقدما لعدد من المشاكل . . مشاكل قد تبدو
 له بسيطة قبل هجرته ، ولكنها ان تصبح كذلك بعد هجرته .
 مثلا . لو افترضنا ان المهاجر يحصل كالمليونير الطب أو
 الصوم أو ليسانس الحقوق مثلا . . فانه يجب ان يسه الى ضرورة
 محادثة شهادته قبل سفره . هنا والا . . فان مترفا واحد شهادته
 بعد هجرته . نظرا القوة التي تمتنع بها العائلات ، والتي اخلاها
 فكرة منها من قبل . وفي حالة عدم الاعتراف شهادته بعد
 هجرته فانه سيضطر اما للاستئصال بصل آخر لير انقصه ، أو

تطلب رسوما أيضا ، ولكنها تعفى مواطنيه من الدفع اذا كتب
أقربا بأنه لا يستطيع .

وشبهة ذلك أيضا ان نسبة ضئيلة جدا من المصريين المهاجرين
وكثما هي التي تقيد نفسها وسجلات جنسها بالمحاكمة الكندية .

أولا بسبب ارتفاع الرسوم ، وثانيا بسبب وجود القنصلية
الوحيدة بكندا وأوتاوا العاصمة . ونظرا لان العاصمة هي مجرد
قرية كبيرة ، فان المهاجرين غالبا ما يتركزون في المدن الكبرى بين
مونتريال شرقا وتكومبر غربا . هذا معناه انه اذا أراد أي مسلم
التصديق على شهادته أو تجديد حواجز سفره فلا بد ان يضيع يوما
كاملا في السفر إلى العاصمة والمدة مها . وهو لا يستطيع ان
يفعل ذلك في يوم واحد - السبت والاحد - لان القنصلية تكون
هي الأخرى في أحقره . يجب عليه إذن ان يضر اجسر يوم من
أيام عطلة بالإضافة الى تكاليف السفر ذهابا وإيابا . مع انقراض
ان أحراماته سنهي في نفس اليوم ، وهو انقراض غير صحيح
غالب ، نظرا لرحام المنصر على المواطنين المطردين بالقنصلية

والرافع ان السفر المصري الحالي في كندا - السبد / مصعب
شكوى - قد حاول سيد وصوله الجلاء الإحراجات الممكنة لتدابيل
بعض هذه الصعوبات أمام المهاجرين المصريين . ففي يوم محدد
في بداية كل شهر مثلا . كنت ترى القنصل المصري في أوتاوا
- صد الصباح ركي - يسافر إلى مدينة مونتريال لقضاء يوم
بأكمله في فندق محدد مقبلا بمفيدة مونتريال ، لكن بفرس من
هذه الإحراجات القنصلية المطلوبة . هذا حل مقبول ، ولكنه
مزال حلا مؤثرا أو غير شغل .

والسافة في النهاية ليست مجرد إحراجات ، وإنما هي أساسا
أسلوب معاملة أسلوب معاملة من مواطنينا المهاجرين في الخارج .
ان المصري المهاجر قد يتقبل كل هذا التمييز في معاملته . . لو تمت
هذه المسئلة بأسلوب مقبول . لقد سمعت مثلا مئات من المصريين
يمتنحون كفاءة قنصل مصري سابق يعمل حاليا دبلوماسيا
بالسفارة المصرية بكندا . انه كيف اسمه " عادل القفري " . ماذا
يستحق القدر في عادل ؟ لا شيء أكثر من انه كان يطمح الاحساس
بان القنصلية في خدمتهم وتسمى ماعتهم .

ان المسألة في النهاية هي « لا شيء » ولا تعنى ؟ وهكذا
بالقيد ما تنبه اليه سفرنا النشط العظمي في كندا . لقد تنبه

الى ان حالة المنظمة القائمة بين بحثنا الدبلوماسية والاقتصادية ..
وبين المصريين المهاجرين .. يجب ان تنتهى .

ومع ذلك .. بهذه (المنظمة) لم تنه بعد .. فلما انها لم
تنه لان المصريين المهاجرين في كندا لم يقوموا هم ايضا بواجبهم .
وعلى رأى الدكتور مصطفى الهلالى في شيربورج : « اتنا حتى الآن
مازلنا نصف الجاليات للهجرة هنا .. رغم اننا من احسبهم
تاليا واكثرهم كثافة . ليس هذا بسبب تفككنا فقط ولكن لانه
حتى الآن لا توجد لنا رابطة ، ولا حتى ناد ، في اى مدينة او
قرية في كندا » .

ولملا نستطيع ان نعد صغارا وبوادي وروابط وجمعيات
الجاليات الإيطالية ، اليونانية ، اللبنانية ، السورية .. لكل
جالية .. ماعدا الجالية المصرية في كندا .

ان المنظمات الدينية هي فقط التي تنظم بعضا من النشاط
الاجتماعى للمصريين المهاجرين في كندا . وحتى في هذا المجال .
لو تركنا جانا الماسح الاسلامى الموحدة في الامتتون ، ولندن
أو نابرو ، ونورسو ، فلما سوف نجد لماننا فقط الجمعية
الاسلامية في مدينة تورنتو .

ان هذه الجمعية تكون اساسا من أعضاء باكستانيين وهندوس
والبنين ، مسلمين نعم ولكن الاقلية منهم فقط مصريون . ليس
هذا فقط ، ولكن الجمعية هي ايضا .. بحكم اعتمادها الاساسى
على تبرعات الأعضاء .. معجودة الامكانيات . لقد بدأوا نشاطهم
مثلا منذ عدة سنوات تاجر صالة في مبنى صغير غرب مدينة
تورنتو ، لكن بمرسوا فيه شطرا الصالة وسادوا الاجتماعات .

وحيما راوهم حلم ماء مسجد ، لم يحسوا امكانيات جمع
بذلك البساطة ، فانسروا كنيسة بسمي ألف دولار لكن بحولها
الى مسجد . ولا أنهم اعتقوا على دفع التمن بالتقسيم فقد بدأوا
يجمعون التبرعات لدفع اقساط مسجدهم الذى كل في الاصل
كنيسة . وفي احدى المرات قام مليونير مسلم الباقى مهاجر بدفع
خمسة آلاف دولار . في مرة اخرىى فالت مليونيرة مسلمة
بالكنائىة الاصل بدفع مئة الف دولار . المصريون الموحودون
ايضا ساهموا بتبرعات تتراوح بين خمسين ومائة دولار لكل
شخص .

وبهذه الامكانيات المحدودة تمارس الجمعية الآن نشاطها في مدينة

تورنتو . ان رئيسها الحالي اسمه الدكتور هـ . . مسلم من اصل باكستاني يعمل مستأذا العلوم الإسلامية في جامعة تورنتو ويؤم الصلاة كل يوم أحد . طبعا الصلاة هي كل أحد لان الجمعة ليست يوم اجازة في كندا .

في يوم الأحد يجتمع المسلمون في ذلك المسجد بتورنتو - رجالا وسيدات - لإقامة الصلاة أولا ، ثم التزول الى المحور الارضي بعد ذلك لمقعد بدوات لتغير القسوسان ، او شراء مأكولات صينيتها الطصوات المسلمات في متراين ويسبرغن بحسبة بيعها لصالح المسجد .

واذا انتعدنا من تورنتو لكي نوجه الى مدينة مونترال فسوف نجد ان المنظمة الدينية الأخرى التي تمارس نشاطا اجتماعيا هي الكنيسة الأرثوذكسية المشرقية . ان مثل هذه الكنيسة في كندا والولايات المتحدة هو القس رومانيل . انه في الواقع شخصية ممتازة تحدث عنها في فصل سابق . ولكن المهم هنا ان الاب رومانيل استطاع في خلال فترة وجوده القصيرة بكندا ان يجذب عددا كبيرا من المشرقيين القسبين في نيويورك ، شيرووج ، أولواوا ، نيويورك ، بوسطن ، ومدن أخرى كثيرة في أمريكا وكندا .

وبالنسبة لكندا ، فان الكنيسة الأرثوذكسية المشرقية تمارس شعائرها هناك من طريق كبة متناحرها في مدينة مونترال بمائة دولار شهريا ، كمثل مؤقت الى ارتقيم الكنيسة الخاصة بها . وفي تلك الكنيسة المأخرة تقوم المسيحيون من المهاجرين المشرقيين بمقدد الاجتماعات وممارسة شعائهم أيام العجيسة والست والاحد كل أسبوع . وفي تلك الكنيسة ضم الاب رومانيل القديس وطقى المحاضرات الخاصة محاضرات تعالج المشاكل النفسية الممارسة التي يبتسها النسل المشرقيون المهاجرون . مشاكل مثلا ظاهرة الخافس ، العلاقة بالجنس الآخر ، العلاقة بالاب والام داخل البيت . . الخ .

ومع انه نشاط واسع ، ذلك الذي يمارسه الاب رومانيل في كندا كيمثل للكنيسة المشرقية ، الا ان ضعف الإمكانيات المادية متزال في الواقع حائرا بينهم مضاعفة هذا النشاط . صحيح ان الاب رومانيل شخصي أنهم يرسلون سيارة تنتظر كل مهاجر مصري حديد في المطار أو الميناء ثم يوفرون له بعد ذلك مكنيا وخيصا . . لذا أخطرهم بوصولهم مقدما . . وصحيح ان الاب رومانيل يقوم بمقد

القرآن للمصريين وأحيانا تقديم الهدايا لهم مجانا .. ولكن الإيب
دوقايل نفسه له عدة شكوى .. هذه بعضها :

« إن حرية وطني تأتي لنا من القاهرة محققا . ولكننا في الواقع
بحاجة إلى نسخ من كل الصحف المصرية لندرك أن مصر من جامعتها
الشديدة إلى نسخ - ولو محدودة - من هذه الصحف .. حتى
ولو أرسل لنا الإمداد الأسبوعية فقط .. نحن لا نعرف هنا
أخبار الوطن سوى من الصحف الأجنبية .. لا توجد لدينا
كتب أو أية مطبوعات سيبلية عن مصر . نحن نريد مطبوعات
سياحية بالإنجليزية والفرنسية . مطبوعات مختصرة ولكن
ملونة . إن لدينا عددا كبيرا من المصريين الذين يعملون مدرسين
هنا . وكثيرا ما يسألهم الطلبة عن أية معلومات مطبوعة عن مصر .

« .. نحن نريد من الإدارة القاهرة أن تساعدنا هنا .. على الأقل
بالكواد الإذاعة . أن كل جالية هنا لها برنامج إذاعي لهذه لكي يتابع
أعضاؤها نشاطهم وأخبار وطنهم . أننا لم نبدأ بعد ١٥٠ دولارا
اللازمة لاستئجار ساعة إذاعية من أي إذاعة محلية هنا .. ولكن
وصول الكوادر الإذاعية إلينا من القاهرة سوف يسهل المهمة إلى
حد كبير » .

« .. أنا نريد برنامج عديدة ولكن أهمها في رأيي برنامج لتعليم
اللغة العربية للمعالي . أما إذا تم تشبه إلى هذه المشكلة فإن الجبل
الثاني من المصريين هنا سوف يتنا وهو حتى لا نتكلم لغة وطنه
الأولي .. »

إن بعض المشكلة مرت لي معها فتاة مصرية عاهرت مع أسرهما
إلى مونترال . اسمها سونيا هنري حشيمة . طالبة بكلية الآداب
في جامعة ماكجيل بمونترال . عمرها ٢٠ سنة . تخصصت
في الأدب الفرنسي . تعلم بالمصغر بعد التخرج في قسم الترجمة
بهيئة الأمم المتحدة .

تقول سونيا . أما عن نفسي فأنسى أنكم العربيتطلاقة كما نرى .
كذلك أحيى الأكرام . ولكننا بقلنا نواجه هذه المشكلة بالنسبة لأخوتي
المصريين ما جلد - ١٢ سنة . لم نلحظه معهم اللغة العربية ولكننا
لا نستطيع التحدث بها . وما يضاف المشكلة أن الصحف المصرية
لا تصلنا هنا ، ولا الإذاعة المصرية مسموعة هنا . وهذه مجرد
صورة متكررة من مشكلة واحدة تواجهها المئات المصرية في
مونترال .. بل في كلها كلها .

و ... ما هي نتيجة هذا كله ؟

إن تكيف المصري المهاجر مع المجتمع المضيف عليه في كندا هو غالباً مشكلة فردية ، وبمراح المهاجر في صنع مستقبله في المجتمع المضيف هو غالباً مشكلة أكثر من فردية وأقل من أن تكون عامة .
أما بمراح المصري المهاجر في الارتباط بوطنه فإنه في الواقع عدل يجب أن يبدأ في القاهرة .. وليس في كندا .

إن أقلية محدودة فقط هي التي تعاني من التسعين الأولين من المشاكل ، ولكن الأغلبية المطلقة تعاني من النوع الثالث . تعاني من حالة الانفصال والتخيم القليلة حالياً بين التسعين داخل الحدود .. وهؤلاء التسعين خارج الحدود .

إن التسعين المهاجرين في كندا يمثلون أول تجربة واسعة لنا في الهجرة . أول جالية مصرية ضخمة خارج الحدود . إن ارتباطهم بنا يجب ألا يتعارض مع اندماجهم في المجتمع الكندي . انشأ مثل ماقيمهم .. ولكن كندا تمثل مستقبلهم . و .. إلى أن يتم اندماجهم في المجتمع الكندي ، فلا بد أن نظل نأثرنا إليهم على أنهم مصريون . أنهم كانوا كذلك ، وسوف يكون كذلك .. إلى وقت طويل قادم .

هذا هو آخر سطر أسجله قبل الانتقال إلى جالية مصرية ضخمة أخرى . إنها الجالية المصرية التي هاجرت إلى الولايات المتحدة الأمريكية .

ومع أن المجتمع الكندي هو صورة مخففة من المجتمع الأمريكي ، إلا أنه تبقى في النهاية هذه فروق أساسية تميز الحياة في أمريكا - واليهجرة إلى أمريكا - من الحياة في - واليهجرة إلى - كندا .
لماذا إذن يبدأ من البداية . لماذا لا نبدأ مع مهاجر مصري إلى أمريكا ، مثل تهبط طائرته لأول مرة في مطار نيويورك ؟ أنها في الواقع تجربة مبتنة .. دعنا نجربها الآن .

صبح الخير .. في أمريكا !



• يسويورك •

• مطار كينيسبي •

انت الآن في اول مدينة أمريكية على المحيط الاطلسي . في الواقع هي أكبر مدينة أمريكية . أنت الآن تهبط في واحد من مطاراتها الثلاثة . تهبط في رأسك ايروال بتقطع الانطاعات الطرحة في هذا البلد الجديد والمجتمع الجديد . عينك في حالة تقسيم وظائف : عين ترى .. وعين تتسائل . اذن نسبح .. ولان تلهف .. يداه في حالة حمل . من التوك لك الآن تعمل في يدك شسيتا ما - رنا عنواننا او عنوانين . رنا نصيحة من صديق . رنا حقيبة يد .

ربما يدفع طلب من السجائر أو الشرابات استوديتها من الطائرة .
 حينما طفت . فبعد قليل سوف نرى أن طلبة السجائر في أمريكا
 لديها نصف دولار ، أحيانا ستون سنتا - الدولار مائة سنت ،
 وبعبارة بسيطة سوف نستنتج أن أن طلبة السجائر يحمل
 حينئذ قرشا مصرية ، أحيانا سين ، هذا لما كنت قد حصلت على
 دولارا لك بغير السعر الرسمي . لك أن تلاحظ من هذه الحالة
 قبل وقت طويل لهدم . حالة قديم كل شيء على أساس نسبه
 إلى السعر في مصر . عادة سوف نلاحظه نتيجتها كثيرا ، إلى أن
 تبدأ في العمل في أمريكا . ولها سوف تكتشف أن هذه الأسعار
 معقدة بالنسبة لستويات الدخل في أمريكا نفسها ، وفي مقولة
 بالرة بالنسبة لستويات الدخل خارج أمريكا . أصبح ...

ألك لم تعمل بعد . في الواقع أنت تفكر الآن في وسيلة مواعيل
 لتفكك من مطار نيويورك إلى نيويورك نفسها . هذا فكم على .
 ليس أمك سوى وسيلتين . ناكسي إلى المدينة ، أو أونوبيس إلى
 محطة شركات الطيران بالمحيط الشرقي أو الغربي من المدينة أيضا .
 لا تركب الناكسي ، ليس بعد أنت تحتاج إلى المدونات السببية
 أو التماثلية التي سيجعلها عليك المبدأ . لك الآن لك في القاهرة .
 لقد ودمت أسطر القاهرة .. ولن بعد هذا في وعين أسطرها
 قبل وقت طويل .. طويل !

أن أونوبيس الآن هو الوسيلة الصلبة . وسيلة يستعملها
 من هو المسمى مك مشرين مرة . ليست هذه هي المشكلة . ولكن
 المشكلة هي أي أونوبيس تركب ؟ . لك في مطار نيويورك .
 مطار كيندي في نيويورك . أن كل شركة طيران لها نفسها الخاص
 من هذا المطار ، أو مطرها الخاص داخل هذا المطار . وأنت الآن
 في الحاح الحاضر بالشركة التي حلتك طارتها . قد خرجت بعد ذلك
 - لك لك - تريد أونوبيس . لك أونوبيس كثيرة .
 كل أونوبيس يصف في جزء خاص به من الرصيف . أونوبيسات
 تنقسم إلى أجنحة شركات الطيران الأخرى في نفس المطار .
 أونوبيسات تنقلك إلى المطارين الآخرين في نيويورك . أونوبيسات
 تنقلك إلى محطة شركات الطيران بالمحيط الشرقي من نيويورك . و ..
 أونوبيسات تنقلك إلى المحط الغربي من نيويورك . الكتابة كثيرة ؟
 معلمي أحاول أن نال واحدا من العاملين في المطار : لو سمحت ..
 أين يقع أونوبيس بالمحط إلى محطة الجانب الشرقي ؟ أو سمحت
 .. لو سمحت ...

انه لا يسمعك . تحول من جديد . حوال لا يسمعك . حوال
الطرفة الثالثة .. وما .

انه ان يرد عليك . ولذا اضطررنا لهو رد مقتضب . رد يلقاه
في ذلك وينصرف قبل ان تتأكد علما : ماذا قال لك بالتحديد ؟
لا تتعشني . لا وقت عندك ولا لغيرك قلت لك لا بد ان تسمى
ما تعودت عليه في مصر . الناس هنا يبدون لك متممين مشغولين
بأشياء كثيرة و أيديهم وقولهم . وما لم يكن الشخص الذي تسأله
محصلا للإجابة على السؤال الذي تريده ، هناك سوف تجده
مشغولا . هذا الشخص المناسب للاستعلامات ربما يكون مضطربا
في مكتب شركة الطيران التي انت بك الى نيويورك . ربما يكون
موظفا آخرى في مكتب الاستعلامات بالخطوط . وربما يكون أميركيا
آخر جاء معك في الطائرة .

المهم .. أنك في النهاية سوف تظهر لمركب مشكل ما . وما انت
أمام الأوتوميس الصحيح . ناول الخفاف السائق . أعطه دولارين
وصعد دولار . هذا سعر التذكرة . ثم . أصبحت الآن في مكتبك ،
والأون بيس في طريقه ، الجو بارد مطر اذا كنا نشاء ، حلو مشمس
اذا كنا صيفا .

أنك الآن في الأوتوميس من المركب أنك اخترت مقعدا بجوار
النافذة . هذا شيء طبيعي من غريب في بلد غريب . أنك تحاول
ان ترى من أضافه أكثر ما تستطيع على حاشي الطريق . عندما
ان ترى سوي حائل .. وإعلانات . سيارات .. وإعلانات .
مطابخ سحب .. وإعلانات . آه .. فسيل ان ترى بالمطابخ
السحب سوف تلاحظ ان الأوتوميس قد وقف مرة أو مرتين عند
مدايات على الطريق . بدايات على الجانبين . كل سيارة تمر من هنا
تدفع رسوما للصور . أحيانا ربع دولار ، أحيانا نصف دولار ..
بقائه سائق السيارة في السنة الميكانيكية فيضى له النور الأخضر
أمامه أوتوماتيكيا .. ألا اذا كان معه دفتر اشراك . ان كل ولاية
تقيم أنظمة الطرق وأوسعها .. ثم جميع التكاليف - تكاليف
الإنشاء والصيانة - من الرسوم التي تدفعها السيارات عند بدايه
كل طريق وبهرته . هكذا تحول بلدية كل ولاية عملية إنشاء الطرق
الخاصة بها . لهذا تعد الطرق بقيمة ، محجرة ، واسمعة ، مريضة ،
سرعة . الطرق .. والإشراكات .. والاتفاق .

أنك الآن سوف تجد الأوتوميس قد دخل في نفق طويل تحت
الأرض . هذا نفق لتكون في نيويورك . بعد هذا النفق تستطيع

ان تقول لك في نيويورك ، نوحه على الاصح - في جزيرة ميثان
في نيويورك . ان هذه الجزيرة - بكل هذه المساحة ، كل تاضعات
السحاب المرتفعة ، كل التولوع الضخمة اشتراها الرجل الأبيض
الأمريكي من الهنود الحمر بمسحة وعشرين دولارا ؟

ورما تسير في هذه الجزيرة طولاً بعرض ، دون أن ترى من باعثة
الأوتوبيس جدى مرور واحدا . انطاعت صيغ ، فاضلات
المرور كلها أولوماتيكية . ان اصول التنظيم والابتارة مطبوعة ها
- كما هي مطبقة في أشياء أخرى كثيرة - بكل دقة . جدى المرور
يحتاج الى مرتب ، ويحتاج الى جاويش برامه ، وضابط برامه
الآئين ، وميسر للجميع ، وربما صاحب في النهاية الى وزارة
ودوير . . . لى يسمح دافع الضرائب بهذا كله . انه سوليد سمح
فقط بالمقد الأدنى الضروري لحفظ النظام والمرور .

ان الاشارات ها أولوماتيكية . لذا انشد الثور الأخضر في
اشاره ، فانه سوف يضيء في الاشارات الثلاثين أو الأربعين التالية .
واذا انشد النور الأحمر مرة ، وهرمت منه ، هناك مستجده امامك
في جميع الاشارات التالية ، لا فائدة إذن في مخالفة النظام . لم ان من
بخالف اشارة المرور ها يدفع غرامة مراملة لفناة . واذا تكررت
انصرامات والمعاملات فاتهم يسعون منه رخصة القيادة
في الولاية كلها .

ولكنك ثم تصبح بعد صاحب سيارة ، انت ملازم في الأوتوبيس
والأوتوبيس قد عبر لنوه وفق لتكوين خمس دقائق أو سب ،
ثم . . أصبحت في محطة الجانب الشرقي من نيويورك . ها أنت
قد أصبحت من جديد - مع حقلك - على الرصيف . كلهم هاوا
من هذا الرصيف . لك ربما تزيد منهم في أشياء قليلة . ربما تعمل
في حيك مثلا حول صديق أو قريب . ربما تعمل اسم قنصل .
و . . ربما لا تعمل شيئا على الإطلاق .

في هذه الحالة سوف تضطر الى السؤال في اللحظة من ارجس
فتدق ممكن . ان الحجرة في ارجس فتدق ها ان يقل سعرها عن
١٥ دولارا في الليلة الواحدة ، أى تخطى من الحجرة في فتدق هيتون
بالقاهرة . ولكن . . ألم تنطق من قبل على ان اسماء القاهرة
لا يتكرر ؟ إذن لا داعي للمقارنات ، وفكر في طريقة أخرى .

انا شخصيا - رغم اننى مجرد رائد - وجدت هذه الطريقة
الأخرى . انه ليس فذقا بالمعنى التجارى الدقيق . ولكنه فتدق
على أى حال ، مقبول على أى حال - الحجرة فيه ضيقة - نعم -

ولكها طبيعة . وربما جهاز التليفزيون ومكتب وسريرون . . . الأهم من هذا كله . . . أنها خمسة دولارات فقط في الليلة الواحدة . . . وأقل من ذلك إذا لم تحت بطاقة عضوية في القاهره . . . انى انكلم الآن عن جمعية النسيان للمبحرين ، التي تحتج لها فروعا في كل مكان بأمريكا ، وفروعا أخرى في معظم بلاد العالم . . . ومن بينها مصر . ان المشكلة هنا هي انك لا تستطيع ان تحجز حجرة مقفلا . انت وحظك . .

انك الآن في محطة الجانب الشرقى ، واقرب فرع لهذا الفندق الرجعى الموصول يقع في شارع ١٧ . بالنسبة : شوارع نيويورك منظمة بطريقة متخفية للغاية . الشوارع الطولى يسمى امبيو ، الأول ، الامبيو الثاني ، الثالث ، ليكستون ، بارك . . الخ . الشوارع الشرقى يسمى شارع : شارع رقم ١ ، رقم ١٧ ، رقم ١٢ ، ١١٢ وهكذا . .

لهذا ان تحتج عضوية في الوصول الى اى عنوان في نيويورك . وما دامت معك حقائب الال ، فمن الاصل ان تسفل لأكسيا ، خصوصا انه في هذه الحالة سيملكك امل من دولار واحد من شارع ٢٩ الى شارع ١٧

لقد اوصاك التاكسي - لانس البشعيس - لم دخلت من الباب الرجعى الى موظف الاستقبال .

وها انت تساله : اريد حجرة لو سمحت !
انه يرد عليك : ممكن . . . كلا . . . ايا . . . فحق . .
- مانا ؟

ان الموظف قد رد عليك بكلمات غير مفهومة ، او مفهومة ولكنك لم تفهمها جيدا ، او لتفهمها جيدا ، ولكنك لم تفهمها .
دعنى اشرح لك ما قاله الموظف .
لقد قال لك : ممكن ثلاثة أيام فقط !

ولكنه ربماها بالهجة الأمريكية ، لهجة لا تفهمك كارج والمصحة الكلمات . ليس دائما ، ولكن أحيانا . أنها مشكلة لغة لأن . وربما تكون هذه أول مشكلة لك في أمريكا . انك لأول وهلة ستصور انك لا تكلم بالإنجليزية ، ولكن بالصعبدى . . . أو تصور ان الهجة الأمريكية ليست إنجليزية تماما . اطمئن . . . كلا الميعين موجود ، فيك وفيهم . اطمئن ايضا على انك حصلت على الفسوة يوما أو يومين الى أن تصرف ، أو تحتج الى معينة أخرى في أمريكا . لقد حصلت - مع حقائبك - الى الحجرة . انك الآن تحاول

ان تسرع ، ان تنام ، ولكن ، مع ان صبيك حمراديين قليلا ، مع ان جسمك موهى كثيرا ، هناك لا تنام . فان فرق التوقيت هو السبب . لقد غادرت الطائرة لندن او باريس في الساعة صباحا . . ثم وصلت الى نيويورك لتحط ان الساعة ما تزال الساعة صباحا . انها ليست ساعتك فصاعتك تشير الى ان الوقت هو الساعة عصر ، ولكنه التوقيت الطي . عندما تصل الى نيويورك آخر ساعتك مع ساعتك في الصيف ستا . انك ربما تظل اول ليله او ليس غير قادر على التكيف حركك مع هذا التوقيت الجديد ، ولكنك ستصل في النهاية على اى حال .

وما دمت انك الآن لا تستطيع ان تنام ، فلن تسامك عدة مشاكل لابد ان تفكر فيها ، النوم مثلا ، كم تكفيك . الطعام وكما يكلمك . لانك انت حائض ولقد نصبتك للزول الى اقرب مطعم في الشارع .

وقبل ان تفعل ذلك فان مشكلة النوم سوف تفرغ نفسها عليك مرة اخرى . انك ربما - انك حلا احتياطيا منك في حقلك . ربما تعمل لها شيئا . هم . . . ذهب . . . الكثيرون من المهاجرين يضلون ذلك عندما يهاجرون ، يخلطون بعض الذهب او المجوهرات معهم الى مكان هجرهم . ماذا في ذلك ؟ ليس الذهب عملة دولية ؟ ليست اسماؤه ثابتة ومضمونة في اى مكان في العالم ؟ ليس . . . لا . ليس الذهب كذلك . ان سعر الذهب في مصر من اعلى الاسعار في العالم . الذهب هنا - في أمريكا - سعر منخفض جدا جدا ان الذهب الذي يساوي مائتي جنيه في مصر ، يساوي هنا في أمريكا سبعين جنيا فقط . هذا ما حدث فعلا مع مصري افرقه في نيويورك . لقد اكتشف - بعد فوات الاوان - انه خسر ٦٥ جنيا في كل مائة جنيه ذهبا حملها من مصر . ثم انه لم يلاحظ ان جنيا الناقية فورا . لابد ان يخطر الى ان يرسل الجواهر جي عينة من الذهب لتخليها في المنزل . فبمات الذهب الوجود في مصر غير معروفة في بلاد كثيرة في العالم . انت لا تصدق ؟ تريد التأكد بنفسك ؟ افضل . . .

انت الآن في الشارع . وصل ان تنزل لا تبس ان تاخذ مصاح حمرتك منك . كل مفروضا ان سلمه القنصل ، ولكن ليس هذا القنصل ، انك سوف تلاحظ ان كل صدق في نيويورك قد وضع لك داخل الحجرة عدة اقليل داخل الف ، وعدة تبيبات مكتوبة على باب حمرتك من الداخل : « تأكد من انك انقذت حمرتك

جيدا ، نحن غير مسئولين عن الخسارة لما لم تفعل ذلك ، وحتى اذا فعلت ذلك نحن غير مسئولين عن الابقاء أو اشياء قيمة تركها في الخسارة ، ما لم تسلمها الى المصدق .

ان هذا صحيح في أمريكا ، وصحيح جدا في نيويورك . ربما تسكن في نيويورك سنة دون ان تعرضي للسرقة . ولكنك عندما تتعرض لها . . فسوف يرق منك كل شيء .

انا شخصيا سرقت من خفية كتب مرة . . كتب استقرعت اسبوعا كاملا في احتيارها وشرائها ، وكلفتني مائة وخمسين دولارا ، كاتب الخطة الخاطي . لقد صعدت الى شقة صديق في الدور التاسع من إحدى مباني شارع ٤٤ ، كتب احمل له كتابي لتركها ودعة منه قبل . بعري الى كذا . ان الحقائق تضمن نسخة الكتب الضخمة ، التي كتب على وشك تسليمها بالبريد الى القاهرة كتب ممياء في خفية ورقية كيرة و . . مفعولة .

كنت اعلم ان احتمالات السرقة في نيويورك موجودة في أي وقت . الوقت كان التاسع صباحا . ولكني لم افكر ان هذا سوف يفكر في سرقة كتب . لهذا تركت الخفية بجوار المصعد في الدور الأرضي ، بدلا من اخذها من الى الدور التاسع والعودة بها مرة أخرى . . . يا دوق . ثلاث أو أربع نواصير قبل ان اعود الى الدور الأرضي لأخذ ان الخفية المفعولة . خفية الكتب . بعد طارب ، اخمت ، سرقت . حتى تلك اللحظة لم اكن اعلم ان هذا لصوم متفهم في أمريكا ! اني علمت . ! لو كنت اللص قد سرقت قنودتي ، او ملابسي ، او أي شيء قاصر ، أي شيء الا الكتب ، لما كنت تسهرت مثل ذلك الحزن . ولكنها كانت ظمئي على أي حال . .

وإذا كانت تلك الخطة . لماذا تقول في هذه الحالة ؟ كلون فتاة امريكية مهددة أعرفها . انها تعمل رسامة . انها تسكن بمفردها في شقة بالدور العلوي من أحد عتق نيويورك . وفي مرة حدثت الى المنزل في الواحد صباحا لنجد ان كل عتقات الشقة قد سرقت . كل المحتويات . ما عدا التراسي والسرير طما . وعلما ذهبت الى كلون بعد اسبوع فكت حتى دقائق تلتح لي باب الشقة .

خمة افعال معها ركنيتها في الجيب سدالسرقة . افعال من كل نوع . افعال لم تصح هذه بعدها شقة . لقد أصبحت قلعة مسكونة .

انا لا اقول ان هذا سيحدث قطما معك . ولكني اقول فقط : ممكن ان يحدث . القول : احترس ، خصوصا اذا كنت تسكن

أو تنظيم في الدور العلوي - احترس .. واعلم أنك الآن في واحدة
من أسوأ مدينتين في أمريكا : هوليوود : وسيويورك .

إن نيويورك هي غابة ، أكثرها مدينة - مساحة الإقليم
بالضبط - حكايا غير الملمة - كان عند سكان العالم كله قبل
من عند سكان مدينة نيويورك الآن - أنها الآن من أضخم مدن العالم
وأكثرها ازدحاما بالسكان - ٨ ملايين - وفي نيويورك - حتى
ولو لم تكن تدفن سجاير - فذلك تدفن عشرين سيارة يوميا ،
سبب دحان السجاير في الجو .

إن نيويورك مردحة ككوبري أبو البنا بالقاهرة في عز الظهر ،
أنها واسعة كالمحيط الاطلسي الذي تطل عليه - واسعة ، مردحة ،
شرجة ، بحر حدود - أنها تمذك وتفوق حيك - أن نيويورك
هي الضباب ، الثلج ، المطر ، الحرارة ، القهوه البيضاء ، أغتر
الاسود ، الجنس ، هي هارلم ، اللحم الاناثي أن أي شيء
تصوره ، أو لا تصوره ، سوف تجده هنا في نيويورك .

الفرهي .. !

انت الآن في الشارع ، سماح في جيبتك ، وعين في واسك ،
وكاميرا في جيبتك ، ودولارات قلبك في حيك - من المؤكد أنك الآن
مبهور بكل هذه النظافة في المطالب .. مبهور بكل هذه الأمانه
في الملابس ، بكل هذه السيارات في الشوارع - أن ٥٠٪ من قوة
الشمس في نيويورك يحسنه الكربون الناتج من احتراق برلين هذه
السيارات ، هل لديك فكرة الآن من ضخامة عند السيارات ؟
حسا ولكن .. ليس هذا هو الشيء الذي يستحق انهيارك في أمريكا
أو في نيويورك أن أسهل شيء في أمريكا هو أن تشتري أي شيء ،
افسد عسري بالتفريط .

أنك تستطيع أن تعترض من منك ، تسافر في رحلة ، تشتري
الانا لشقة ، تبني بيتا ، دون أن تدفع مليما واحدا ! اشتر الآن
وادفع مؤخرًا - سافر الآن .. وسعد فيما بعد . استلم الآن ..
وسدد فيما بعد . استلم الآن .. والحساب من الشهر القادم .
أه إذن نظام التقسيط .

إن كمية الدين التي يتحملها المواطنون في أمريكا مسب نظام
التقسيط وصلت إلى أكثر من مائة ألف مليون دولار . أكثر مائة
ألف مليون دولار . إن متوسط نصيب الفرد الواحد من مدفوع
هذه الديون هو أربعون ألف دولار . هذا نتيجة للمشتريات الناتجة
المدفع ، من المنازل والسيارات والملابس .. زائد ديون الشركات

وفردني المؤسسات الكبرى . لولا نظام التخصيص هذا . لاستمر
الاستهلاك الى التخطي عن فكرة شراء منزل أو سيارة أو موقد
كهربائي .. لاني ان يخطر بقلنا كفاية ، الامر الذي لا يحدث ابدا .

انك ربما تصور الآن ان سببنا هذا النظام هو ان الاموال الذين
تراهم املك في الشارع يعيشون فوق مستوى دخلهم . غير صحيح
طبعاً . كل المسألة ان نظام التخصيص رائد الاطلاق ، فملاك في
امريكا بضرورة اشياء كثيرة .. هي اسلا من دلائل الرقابة . ان
أوروبا لديها اشياء أخرى تحصل هذه الفلائل غير عامة . ولكن في
امريكا .. في أمريكا .. حسناً .. ليست أمريكا فقط ، انه العالم
كله - في العالم كله يوجد الناس لا يملكون الا وهم تحت ضغط
المسؤولية التي تتحملونها بسبب وجود دين عليهم . انت تعرف طبعاً
انت تعرف الآن لماذا ترى املك كل هذه السيارات الفاخرة ،
كل هذه المجلات الكسرة ، كل هؤلاء الغنيات اللاتي لراهن
املاك مسرعات في الشارع .

هذه العنة مثلاً .. انت تراها تسير املك . تسمى ائمة ،
مسرعة . انها تلفت ظرك . ايه راجك ؟ تصب تماكها ؟ حرب .
انها لن تصنعك بالقلم . لن ترد عليك . لن تقول : ما سم ان
تصنعك فرجة في الشارع . لن تبسطنى حندي الوليس . فقط ،
كل ما سترد عليك به هو : التجامل - الاستعجاب في البداية ، ثم
التجامل لاوقت عندها حتى تقول لك " باسم .

انها مادمة من عمل ، او ذاهبة الى عمل . انها تحترم نفسها .
وعليك انت ايضا ان تحرمها ، وتجب بها ، ثم .. ثم . ان
الاصحاب من أول نظرة ، أو الصب من أول نظرة : لا يوجد مطلقاً
في المجتمع المفتوح . انه يوجد فقط حيث يكون المجتمع مغلقاً ، حيث
الحواحز بين الفنى والمادة مربعة ، حيث كل من في المجتمع : الاب
الام ، الاخ ، الجيران ، الاصدقاء ، يقيمون من انفسهم حراساً على
سلوك الفناء .

ان العنة التي تراها في الشارع املك الآن هي فاة مضطفة . في
الواقع انه لم يحدث في الشارع من قبل ان تصت عنة بعرية كاملة
كما تمنع هذه العنة املك . انها تسحرك ، وانت متدهشي لها .
ان الثوب القصير الذي تراه على جسمها املك هو ومن لتحررها
الكامل . انها تكسب من التقود ما يكفي ليحصلها تعيش مستقلة عن
اسرتها أو اقاربت .. دون ان يقال ان هذا عمل فيه شجاعة ، أو
شعور . وإذا فضلت ان تعمل على ان تتزوج ، فان المجتمع

بسمها فناء عملة ، ولا سميها حقا لو مستهتره . ان والديها
بنصحتها ، ولكنهما لا يملكان لرادتهما عليها . ان الحياة والزواج
لم يصحا بالثقة لها مائة قرور الوالدان لتغيرها لها بين اربعة
جدران بيضا عنها . هذه حياتها هي ، هذه مسئوليتها هي ، هذه
حرثها هي . .

و . . انت وحفك ، في شوارع نيويورك .

انت وحفك ، في يومك الاول هنا . انك فجأة تحس بهما الوحدة
هنا المربع ، هنا الاسفل . تحس انه لا أحد يفتك اليك ، مع
انك تلب الى كل الناس في الطريق . انك الآن تحس بانك طفل
نحام الى لأول مرة . كل شيء حسوك جديد كل حقيقة امامك
صعبة انهم . انك لم تحس في أي وقت - كما تحس الآن - بانك
في حاجة الى صديق - الى اذن اسمك وكتب تنقسم منك اليوم
والله رمان يا مصر !

مصر . . ان بينك وبينها الآن اراضي وبحار ومجتمعات ولكنك
الآن - في هذه الدنقة ، هذه اللحظة بالذات - تحس ان مصر
ليست في الحقيقة بعيدة منك بهذه الدرجة . ليست كذلك . .
لانها في داخلك . لها كتب الملا حبسا . وايطاليا لغة ، واليونان
لأريضا ، وفرنسا تقاليد ، وبريطانيا جزيرة ، فان مصر هي . . هي
انت واحد من ابناء هذا النهر . هذا النيل .
ان اسناد الانهار لهم جذور لهم حضارة ، لهم تفرج .

ان كل هذا التفرج مجتمعو في داخلك . انه في داخلك ، حتى
بغير وهي . لهذا سوف تلم مصر حكا اسما ذهبت . انها الآن في
داخلك ، في أعماقك . انها تنبض داخل شرايينك . تلق داخل
قلبك . انها شيء تصالط . شيء يجري في الدم . انها لن تخرج
من حقلك الا اذا خرجت الدماء من شرايينك . من قلبك .

ان اشياء كثيرة في مصر لم تكن لها مصر في حياتك من قبل .
بلات الآن تصبح ذات معنى . الشمس ، الدفء ، الحرارة المواقف
الاحرام ، ميدان التحرير ، المحورة ركوب الاتوبيس ، اقراس
الطمية ، الخول المدينى . انك - حتى - وهما تحس الآن بان
الحياة سوف تموت في داخلك بمر طق قول طمعى !

انك عندما وكت الطائرة من القاهرة تصورت انك تركت في
المطار كل حيوانات الازليّة : المنزل ، الاسرة الاسفلة ، الاقرباء ،
الوظيفة ، قط التبليزيون !

ولكن هذا كله في الواقع مازال معك في بيوروك . ان مصر التي تنبع صورها المتخلطة في رأسك الآن كشرط سيماني هي صوت أم كلثوم ، هي على العاشقين ، الويسكي ، القمامة الحسنة التيشاوي ، رمضار ، المواثير ، وتذكر في حل العواثير !

مصر هي اهل الهوى ، قصر النيل ، النيل ، شط استكلورية . حايك لقول الذي في قلبي . وبفايا المرتب في آخر الشهر .

مصر هي الثراب ، الارس ، أنا وهو وهي . شارع سليمان . الطائفة ، المهي ، ماطلة السمون ، ان شاء الله ، الميدة وينب الفاصلة لام هاشم !

مصر هي ألف ليلة وليلة ، الكلمات المتقاطعة ، الناس مقامات ، بات مغلوب ولا تبات غالب ، سلام عليكم ، الادب فضلوه عن العلم ، الشهادات ، لمي . .

مصر هي هذا كله . حيث أيام الاسبوع كلها مسخة كروية مغماتلة . السبت مثل الاحد مثل الجمعة . لا . ليس مثل الجمعة . يوم الجمعة كان هو اليوم الذي تنام فيه حتى الظهر ، وتترك ذلك ، وتلبس البيجاما . وتسمع على الناصية وتشاهد ليليا في التلفزيون . حيث الحياة تسير على مهل شديد . حيث اللطافة ، والتسامح ، ومعلش ، وربنا يسامح ، وإن شاء الله ، وإن فاتك المجرى اتسرع في تراه .

مصر هي هذا كله . مصر هي نالغ اللبن في الصباح (لن يرى في بيوروك بانع لمي) . حيث البائع يلقى بأك في الفجر . صباح الخير يا أحمد أفندي ! يا علي أفندي ! يا ماهر بك ! . ان الذي منشوش ، منشوش . ولكن لا يوم . المسامح كريم . بكلمة صباح الخير تزال لك البائع كل أفكارك عن الفش . اعتادنا عليك يا رب !

مصر هي هذا كله . أكثر من هذا كله . انها لم تعد الآن مجرد داس تتركه جانبك وتضرب . مصر الآن هي ذكرى . حتى . شوق . رقة . أمل . انها لم تكن ابدا مجرد فصل انتهى من حياتك ، مجرد جولة اجترافية من حياتك . انها . . حياتك حيث يكون لديك الإحساس بأن الصغرية هي التوسط . هي الاعتماد ، هي الصمت ، هي عدم الضغط ، هي التسامح ، هي منتصف الطريق ، هي راحة كمال . في قيد في بيوروك راحة اليال !

انت هنا قطعة فوق سطح من الصفيح الساخن . النار في حبيك في رأسك ، في معدتك .

ان معدتك تطلب طعاما . وانت الآن تريد طعاما .
لنذهب الى مطعم ؟

هذا مطعم قريب أنت تعلم . تبطل . نذهبك بالقائه . ثم يجد
الجرسونة على رأسك .

ان القائه في يدك . ولكنك قد تسألها فيه أكل ايه النهاردة ؟
يمكن أحد فراح ؟ أو - قطعة لحم مع طبق لوز ، أو - اقول لك .
بلاش الأور . أخذ عيش . . أخذ . . أخذ . .

انك الآن تكلم نفسك . لقد انصرفت الجرسونة - لا وقت عندها
لهذه الاسئلة . ان القائبة أعمالك احترما تريد عمل مهلك . وعندما
تنتهي الى لوز . قادهما .

المهم . . . انت طلبت ما تريد في النهاية . لست واقفا بالصبط
ما طلبته ولكن . لا بأس هناك من النجربة . والان ، تعلمك لاحظت
ان الجرسونة بعد ان سجلت طلبك سألتك - تشرب ايه ؟ شاي ؟
قهوة ؟ بيه ؟

ذلك من حكاية التجربة هذه . وفكر في الشاي أو القهوة ١٥
طلت شايأ أحببت . فقط تذكر حيا شاي كشرى . شباي
فريسكا شاي وصفحه ان الشاي هو شاي فقط . القهوة . قهوة ؟
كل ما هناك ان الجرسونة تتأكد من أنك تريد قهوة عاديه . أم لا .
ان القهوة العادية هي بن مخاب مع لبن ، القهوة السوداء مجرد بن
مخاب . طبعاً لا توجد قهوة تركي كالتي تشربها في مصر . ودعا
للقهوة التركية !

ومن الآن فصاعداً ، من الآن الى ان ينتهي طعامك . سوف تلاحظ
اشياء كثيرة

فسواء كنت تتناول طعامك في مطعم ، أو محل قهوة أو محل بقالة .
فانك لا تجد طولة ، دوميكو ، فوتشينة ، راديو على الصوت .
خساسة . لا شيء من هذا أجمالك . ولا حتى كوب المياه - أو جردل
المياه الذي تعودنا أن مشربه مع الأكل في القاهرة . ان الامريكاني
والاوريبي لا يشربون مع المياه التي مشربها مصر . حرارة الجو
عندنا هي السببه .

وستلاحظ ان معظمهم لا يأكل الخبز . فقد كتبت الصحف في
« جرسى مينى » مرة ان استهلاك الخبز ارتفع فجأة بسبب قادم عند
كثير من المصريين الى المدينة !

وسوف نلاحظ أيضا ان المرسومة قد انصرفت لك التهور أو الشاي مع الاكل ، وليس بعد الاكل - هكذا يشربها الأمريكي -

وسوف نلاحظ في النهاية أيضا ان النوق الأمريكي في الاكل ربما لا يتفق معك ، ليس ربما ، بل من المؤكد - فالأمريكي - اذا لم يقدم لك سحق أو هاسر من - فإنه يقدم لك مثلا سمكا وعليه كمثرى ، أو قطعة لحم وعليها ثمانى !

وسوف نلاحظ ان بعض الجاكسى املك لو بجانيك يرتدون احيانا ملابس عربية ، أو الواها غير متناسفة -

مثلا - بعض ازرق وكرامنة حضراء وبغلة حضراء او مع ذلك غلا احمد ينطليح لاحد - من كل حسب دولاراته ، والى كل حسب دوفه يعيا النوق !

وسوف نلاحظ أيضا ان كل واحد في حاله ، وربما يدخل رجل ، فيكتشف صديدا له جالسا املك - لحظتها يعييه بكملة واحسنه هاى ! هي كلمته هاى من الاول ، وهاى من الثاني ، وحلاص لا ليام ، ولا احضان ، ولا - حتى - سلامات ا هاى ، ومن الممكن ان يكون حظك طيبا ويجلس بجوارك واحد من هؤلاء الأمريكيين الطرعة - واحد يدعو عليه فهدما الاستعداد لتناول كلمة أو كلمتين معك ، اذا كلمك كلمتين احمد وينا - ان الانجليزى مؤدب جدا ولكنه يارود - الفرنسي يرفض التحدث معك الا اذا كلمته بلمة فرنسية صحيحة ، الانامى ايدى والارض - اما الأمريكي - الشخص الأمريكى العادى - فإنه يكره طريحا حقا معك مادام انوف ليسوف هيل - انه يستطيع ان يكون صديقك بعد دقيقة واحدة ، وان كان سينسى هذه الصداقة بعد انصرافك بنفسى دقائق ، المهم - انه شخص ودود ، طريف ، بسيط ، بافك بعد خمس لوان في موضوعات لا تناقشها انت مع اصديقتك بعد خمس سنين ،

واحد من هؤلاء دخل على مرة في مناقشة - لم تكن المناقشة في مطعم - ولكنها كانت في طائرة -

كانت الطائرة تملأ من لندن الى نيويورك ، لقد قطعت الطائرة نصف المسافة تقريبا - الشمس فوقنا والسحب البيضاء تحنا ، وبنا الرجل الأمريكى العادى فى مقعد الطائرة يتململ ثم بدأ يصالنى

- هل انت مصرى ؟ غريب ! - قل لى لو سمحت ، كيف تكون الجمال في تنقلاتكم بعضى ؟

وقلت : نحن يا سيدي لا نركب الجبال • فمئنا قطرات غلجا
وفوتويست ليليا وسيارات احيانا وطائرات ناديا •

قال الرجل : مدهني : ولكن ، طبعاً عندكم طائرات للرجال
وطائرات للنساء .. هيه ؟

قلت : لا يا سيدي • عندما نساء كالرجال • عاملات • وطائرات
كالرجال • لا غنىاً ينصرفن عنها ؟

قال الأمريكى ضاحكاً : وهل أنت متزوج من أربع ؟
قلت : يا سيدي ، ولا حتى واحدة ؛ ولن استطيع الزواج بأربع • •

لاسي لا أريد ، ولان روحتى ساعنها في لوانى •
قال : وهل تستطيع إبرة عندكم إلا نواقي ؟

قلت : نعم تستطيع ، على الأقل فذا كانت متملة •
سأل الرجل : وهل عندكم امرأة متملة ؟

أجبت : عندما يكون المد طالعة بالمبعد والعلمان •
قال الأمريكى : غريب • • وهل عندكم جملعات ؟

قلت : عندما جملعات ومبشحيات ومصانع • عندما مد عال •
عندما أرض ويهر وسباء • عندما ناس • ماسي أسلطة في الجماعات

عندكم • ناس يقدروا يقولوا ان حضرتك تعرف القليل جدا هي الدنيا
التي تعيش فيها ؟

ولم يكن هذا ذنب الأمريكى الجالس بجوارى في الطائرة • في
الواقع ان الأمريكى كانوا - كل وقت قريب - من أقل الشعوب

اهتماما ودراية بما يحدث خارج حدودهم • والى وقت قريب فقط كان
من التقاليد الأمريكية ان السياسة تنتهي عند حافة الباب • تنتهي

عند حافة الاطلنطي • ان العالم بعد هذا الشاطئ • كان غاملا غير
موجود بالنسبة لهم • انه غير موجود • • لو غير مهم •

طبعاً الآن تغيرت الحالة جوهرياً بعد التسوفز العدى والطائرات
الاسرع من الصوت والاقتصاد الصناعية • ولكن • • مع هذا • • ما زال

ممكناً جداً أن تبعه أناساً كثيرين - بل حتى أغلبية - في أمريكا •
ما زالوا يتصورون ان مصر هي الإهرام والصعراء والجمال التي
تركبها في الصعراء • لا تتشى وبما تواضع بعد قليل ما هو أسوأ

من هذا •

نهايته • • • انت الآن تناولت طعامك • دخلت الحسب • لا تنس
البقشيش • ان البقشيش شيء هام في أمريكا • شيء أساسي • مرة
ثم أضعه في تاكسي نظليه حتى السابق فقط شديد • مرة أخرى لم

أدعته في مطعم ٠٠ فرمته في المرسوة بنظرة كانت تعبيرية يعرض
 الحصة ١ وأنا لا أتسى لك أي مرض في أمريكا ٠ فالأدوية استعارها
 بار ٠ والإطباء أجورهم ثمانين ٠ إن جسر الطبيب عن تركيب طاقم
 أسنان مثلا قد يساوي مرتبة رئيس مجلس إدارة شركة في القهرة
 من شهر كامل ١ أنك تحتاج لكل ملهم ٠ ألفه كل سنت ٠ في جيبك
 الآن ٠ ولعلك لم تنس بعد الدولارات الثلاثة أو الأربعة التي دمتها
 حالا في وجبة الضاد ٠

إن هذه الاستعار الجنوبية كانت تلمني في كل مرة أسافر فيها إلى
 أمريكا إلى تعادي لارتداد الطعام محليا ٠ حينما يجي وقت الضاد
 ومهما كنت في أي مكان في نيويورك ٠ فاني أسأل الاوتوبيس إلى
 مبنى هيئة الأمم للتحفة ٠

على فكرة لاندخين في الاوتوبيس ، رغم أنك تدفع ثلاثين س
 كسعر موزة لأي مسافة تركبها ٠ إن الاوتوبيس قد يستغرق ربع
 ساعة ، حسب ساعة ٠ وأحيانا أكثر من هذا ٠ لكن أذهب في النهاية
 إلى الأمم المتحدة ٠ ولذا لا ١ ، فيها كافيرا طريقة جدا نظيفة جدا
 رحيصة جدا ٠ وهذا هو المهم ٠ إن أحس وجه تناولها هناك في أي
 مرة كنت في أقل من دولارين ٠ مع مراعاة أنه لا يوجد بفتيش تلفه
 في هذه الكافيتريا لأنها سبل بنظام أحسن نفسك بنفسك ٠

ولكنك للأسف ، لن تطيع تناول طعامك في هذه الكافيتريا ٠
 فصول الأمم المتحدة يحتاج إل تصريح أو بطاقة خاصة ٠ ومع أنني
 في كل مرة كنت أحصل تصريح دائما ٠ إلا أن الأمم المتحدة تعمل
 خمسة أيام في الأسبوع فقط ٠ أمريكا كلها تعمل خمسة أيام فقط ٠
 ماذا أفعل في يومى الاجارة السبت والاحد ؟

لقد حسنتها مرة فوجدت أنني سأدفع عشرين دولارا على الأقل في
 وجبات الطعام الب فقط خلال هذين اليومين ٠
 وبعد تفكير ٠٠ انتهيت إلى حل ٠ لانا لا أشتري محليات وأشياء
 حارة ٠ وأتناولها بعير في مواعيد الطعام ؟ هل يكون هذا
 أرخص ؟ هل يكون أغل ؟ لست متأكدا بعد ٠

وفعلا ٠ دخلت محل بقالة واشترت : قرحة حمرة ، طبخة
 كبيرتين ، ثلاثة باكوات مسق ، أربع تفاحات ، أربع أصابع حور ،
 برتقالتين ، طماطم ٠ ربع كيلو جبن سويسري ٠ صابونة وجه ٠ علبه
 أناناس ٠ وجاجتي بيرة ٠ باكو عيش ٠٠

ان هذه ، المبولة ، كلمتي نسخة دولارات ، من بينها ثلاثة دولارات ثمن المفاجأة وحدها . حياجه كبيرة .

و ٠٠ بهذه الدولارات النسخة لم انقضى يومين فقط . ولكن أربعة ، بغير الذهاب الى مطعم ، أو حتى الى كافيتريا الأمم المتحدة .

ان جوهر المسألة هنا هو ان الحياة المثالية ، الحياة بعيدا عن المطاعم ، بعيدا عن المحلات العامة ، تستطيع ان توفر لك نصف التكاليف على الأقل في أي مكان في العالم ، قبا بالك بأمريكا ؟

ان أي سلعة تصنعها الآلات في أمريكا هي سلعة رخيصة . وأي سلعة يدخل فيها مجهود بشري يدرى سوف تصبح مورا سلعة غالية . قاعدة عامة .

ان مسح الخداء مثلا بكلمك - بالبقشيشي - حوالي نصف دولار . بينما لو استريت علية وريشي وفروشة وفوطه (كلها في علية خاصة) فانها ستكونك دولارين وتكني حذائك لمدة شهرين على الأقل لقد حدث مرة ان تاكل كسب حذائي . فقد اسهلكت من كاردانس على الاقدام طبعاً . وعندما دخلت محلا لتريكب كسب جديد للخداء لم تستطع العلية كلها اكثر من دقيقة واحدة . ولكنني عندما دفعت الحساب اكتشفت ان هذه العلية البسيطة قد دفعت فيها ثلاثة دولارات ، أي اكثر من عن الخداء نفسه الذي اشتريته من القاهرة . ولادة دقيقة أو دقيقتين . فكرت في ان اتوقف من الآن فصاعدا من استعمال الخداء حتى لا يحتاج لكسب جديد لماذا ؟ لماذا لا أسير حافي النقص ؟ ان أحدا ان يستغرب هذا في نيويورك . اهم - حتى - قد يتصورونها مودة جديدة !!

ولكنني بسرعة طرحت هذه الفكرة المبنوية من رأسى

ان أفكارا جنوبية - كهذه وغيرها - تستطيع ان ترحا في أكثر من مكان في نيويورك شارع برودواي مثلا .

ان شارع برودواي هو شارع الليل في نيويورك . في الواقع انه شارع الليل والمصباح والظلم والصبر . وأي وقت ؟ في هذا الشارع تستطيع ان تقابل عربا ، يهودا ، صهيونيين ، فرسيين ، انجليزاً ، الالمان ، كنديين ، وأمريكان طبعاً . في كل نوع من الناس موجود هنا القصورى قطاع الطرق ، النصابون ، المومسات ، والمخبرون جلياً .

كل شيء هنا موجود للشرح ، السينما ، الكباريات ،

الليل، محلات القمار، مكاتب، وحناقيش . في هذا الشارع
تجد الجنس يتقابل . والجنس بلا مقابل . الجنس في الكتيب
والمحلات، وانفس في الشارع، والجنس على الفسقة ان كل
شيء هنا مقبول . كل شيء جائز . كل شيء ممكن .
ان الوقت الآن هو الثانية صباحا ..

كنت عائدا الى الفندق بعد سهرة عند صديق . لم تكن لي رغبة
في النوم بعد ، فطلعت أتجول في هذا الشارع ، مجرد تجول .
ربما للمرة المائة .. ثم دروب ان ادخل سبيبا . ان السبب
ها تسجل ٢٤ ساعة في اليوم . مظهرها عرمي مستمر . قيمة
التدكرة تتراوح بين دولارين ونصف دولار الى ثلاثة دولارات .
ان أقرب سبيبا أمامي عرمي فلبما اسمه « مويكا » . لست
أتذكر الآن اسماء أبطاله . ولكنني أتذكر أن إعلانات العلم تعمل
صورة صحفارية لامراتي ورعيل ، مع هذه الكلمات « احبها ..
وجفت مويكا شيئا مشتركا تحبه مع زوجها » ! انه اذن فيلم
يدور حول الجنس . لماذا لا أحرب ؟ أمي مرة ١٠٠
ودخلت السبيبا ..

لم يكن في الصالة سوى عشرين أو ثلاثين شخصا متساويين
في أماكن مسرفة . كل اثنين منهم يتكلمان فلبما في حدة ذاته !
لقد احترت آخر صف ، وخطبت على أحمد كراسيه ، وبدأت
أتابع الفيلم .

ان « مويكا » زوجة شابة تعيش مع زوجها التساب وطلعين
لهما في سبي القاصصة أو القاصصة . انهما متزوجان منذ فترة
قريبة الآن . ومع ذلك .. فإن لطلين بنا يحكم حياتهما بشكل عا .
طبعا لا بد من المال جد ست أو سبع سنوات لشغل شاة !
ان هذا المثل يبدو واضحا كل ليلة عندما ينام الزوجان معا .
عواطف آتية مبكاسكه . تعطل الروجة عندما قراءة صحيفة أو
مجلة .. كلما بقا روسها يصير لها عي حيه .

ثم .. حدث أن هذه الأسرة المصغرة استضافت فتاة فرنسية
جاءت لتتقضى بعض الوقت مقابل خدمتها للأسرة . ومن اللحظة
التي دخلت فيها الفساد الى المنزل . لم يعد أي شيء أبدا الى
ما كان عليه . لا الزوج ، ولا الروجة . ولا الفتاة نفسها ..
أصبحوا شيئا عاديا منذ هذه اللحظة .

ان الزوج يتأذى الفتاة بعيدا عن مرآي زوجته .. جد قليل

يمارس معها الحب فعلا . ولكن الفتاة نفسها تبدأ في مقابلة
الروحة . . التي تخص في هذه اللحظة إلى اثنين كثيرة فيها قد
استيقظت فجأة . بعد أن نامت منذ وقت طويل .

ثم يحدث في يوم أن يعود الروح إلى منزله فجأة . ليكتشف
أن روحه تمارس الحب مع الفتاة . . مع عشيقته . . في المنزل
يضاحته ويربكه ، فيخرج مرسا من المنزل لا يدري أين يذهب .
وتظل حيرته ودعشته مهيمنة عليه . . إلى أن يحدث من النسيان
في أحضان بانة حوى . ولكنه لا يستطيع أن يفعل أي شيء مع
بانة الهوى هذه . أنه يقص عليها ما حدث ويتسائل متحسنا
: هذا غريب . . غريب . . أنني لم أقصر في شيء . . لماذا أجد
موبكا في هذا الوضع المتضاد . . لماذا لم أجد معها رجل مثلا ؟
ولكن لا . لو كان الأمر مع رجل لأصبحت حياة . إن موبكا
قطعا ما زالت تحبني . ربما كان هذا الوضع أفضل . أفضل
كثيرا . . ١

ويعود الروح إلى منزله . ما زالت الفتاة تغطي وجهه ،
والارتباك يسيطر على قلبه . إلى الثلاثة يحضون على مائدة
العشاء صائمين . الروح ، الروحة . وعشيقة الاثنين . إن أحدا
في الثلاثة لا يكلم الآخر . . فالزوجان مرتبكان ، لا يدري كل
منهما كيف يمر الأمر للآخر . ثم . . تدخل الفتاة . العشيقة
المشتركة . أنها تقبل الروح لنام روحه . قبله فرامية . ثم
تقبل الروحة أيضا قبله مائقة ، قبل أن تصحبها - على مشهد
من روحها المرتبك - إلى حجرة النوم ، الآن واجه الزوجان
بعضهما . الآن أصبح كلامهما يفهم تماما علاقة الآخر بالفتاة .

بعد قليل يلحق الزوج بالأتين ويتسائل : هل ألقى بكما ؟
وتكون الإجابة المشتركة من كليهما : طبعاً . . هذا الحاصل كثيرا
و . . هذا ما يقصده الفيلم من أن « موبكا » ، وزوجها قد
وجدا أخيرا شيئا مشتركا يعبانه معا .
ما هي دلالات هذه القصة ؟ .

أنها تعبير واضح عن اللل الذي يحكم الإنسان الحديث بشكل
عام . إن هذا الإنسان ، في بحثه عن مخرج من اللل والأسام
الذي أصابه في العصر الحديث ، قد أصبح مستعدا لقبول الحلول
الشاقة التي تلجأها المجتمع الإنساني طويلا لاعتبارات أخلاقية
جوهرية . . ونحن نترقب هذه الحلول الشاقة إلى اللحظة الأساسية

في المجتمع ، اني الاسره ، فلا حساب بعد هذا لأى شيء . - كوشى ١
لقد خرجت من الصيما في الراية صيلحا لأجد في بعضا ما
رأيتة حالا على الشاكلة يجرى - بشكل مخضب - في الواقع .
مادج غريبة وعديدة من الناس موجودة في هذه الشوارع - شارع
برودواى - في هذا الوقت .

ان كل مدينة كبيرة في العالم لها شارع برودواى الخاص بها
في هامبورج توجد سبان باولو . في باريس توجد بيغال . في
لندن توجد سى سوهو . في طوكيو توجد هي الجينزا . في نيويورك
توجد شارع برودواى .

ان كل شارع من هذه الشوارع هو شارع الليل . كل هذا
- في هذه الشوارع والاحياء - يفضي المجتمع احدى عينيه .
هذا يوارب المجتمع بابه الاخلاقي قليلا . هذا بعد الباب نصف
مفتوح . نصف مفتوح . هذا تستطيع احسانا ان ترى كيف
يتصرف المجتمع بعد منتصف الليل . ان الرولوى لعننى من
شارع الليل ، من هذا . لا احد هنا يدعى النضلة ، يدعى
الاحترام ، يدعى الاخلاق . لا احد هنا صائق ، او مردوخ
الشخصية . كل واحد على طبيعته . النصاب . . . نصاب .
المحترم . . . محترم . العاهرة . . . عاهرة .

حينئذ . . .

لقد ولع صديق لي مرة في ايدي عاهرة . فناء من عتيات الليل
مؤلا . اللاتي اراهن في شارع برودواى .

انا أستطيع من الآن ان افترض ان صديقى اسمه غفرى .
انه ليس الاسم الحقيقي طعا .

ان فخرى خفيف الدم . فخرى في اواخر الثلاثينات من عمره .
لجبل القوم ، حبيب الشعر ، بنظارة طبية على عينيه ، ونظرة
استهتار دائمة في محله . نظرة صعبها معه الى نيويورك عندما
هاجر اليها عند سنوات . طعا . . . فالناس لا تكفر طبيعتهم من
اليمن الى اليسار في مس الارض .

لقد سألني فخرى قبل سفره الى أمريكا : ما واياك ؟

قلت له وقتها : تستطيع ان تهاجر . . . ولكن ليس الى
أمريكا . هذه غفلة كبيرة عليك في هذه السن المتأخرة ، وهذه
الامكانيات المحدودة .

ولكنه لم يفتح . لقد كان قراره بالهجرة الى أمريكا بالذات

قررا غير قابل للتغيير . لهذا عاد يسألني من جديد : ما هو
أرجح فسيفسائي تنصحنى بالبرول فيه في نيويورك ؟ وقلت له
جمعية الشبان المسيحيين .

ثم .. صالغر صديقى منذ ستة . وعرل في هذا الفسيفسائي .
ولكنه - كما هي السادة غالبا - لم يتمكن من النوم في أول
ليلة بسبب فرق التوقيت . غثروا حقا في الحجرة وبزل في
لمسيتة الأولى يتحول في شوارع نيويورك . بل أن وصل إلى
شارع برودواي . في هذا الشارع - كجرحه في نيويورك كلها -
هو غاية . إذا تصرف في القاعة بحكمة أصبح برودواي بالنسبة
لك مجرد شارع . إذا لم تصرف بحكمة تحول كل ركن في هذا
الشارع إلى غاية ضيقة .

و ... هنا ما حدث مع صديقى في ليلة الأولى في شارع
برودواي .

لقد فوجئ ، أثناء سعيه في شارع الليل هذا بغرفة وسيدة
والفة تقول له : هاى ..

ورد عليها فخرى بابتسامة عريضة : هاى ..
انها كانت : ممكن تقول لي الساعة كالم لو سمعت ؟ ..
ورد عليها فخرى : الساعة المباشرة صا ..

الى هنا والإمر عادى جدا . بعد لحظة لم يمد أمرا عاديا ..
قالت الفتاة بابتسامة تسعينا تسعينا : يظهر أنك غريب هنا
ورد فخرى بالانجليزية حبول ولهجة تامل متعة : آه .. فعلا .

- يا ترى وصلت لمتى ؟
- لسه واصل النهار ..
- وياترى مازل فى ١٠٠ ؟

- أبدا .. نزلت في جمعية الشبان المسيحيين . بخمسة
دولارات في الليلة .

قالت العدة الوسيعة بلهجة مستنكرة : يا ..! خمسة دولار ؟!
يعنى مائه وخمسين دولارا في الشهر .. في مكان بهذه القدرة ؟
واحتار فخرى باننا يرد . وانقذته الفتاة نفسها حينما بدأ

الاستنكار في لهجتها يضمه تدريجيا نحو الرقة . سمع .. است
ياين عليك ابى حلال .. أنا مستصيفة الفرجك على شقة أنظف
وأرجح بكثير جدا . ومع هنا .. في وسط نيويورك .

وتسائل فخرى : أرجح ١٠٢ يعنى بكام ؟

رعدت الفتاة - وما زالت الرقة تترايد في صوتها - وقالت
جذته دوائر في الشهر مضى . شقة كاملة تستطيع أن تعمل فيها
أي شيء ..

بعد قليل غمرت الفتاة لغزى مبيها ، وتحوّلت الرقة الرائدة
في صوتها إلى اغراء .. قالت الفتاة - في هذه الشقة تستطيع
أن تفعل أي شيء . تنام .. تطبخ .. تفصل .. و .. سحب ..
يا نهار أبيض ١٠٠

كل هذه التسهيلات والانحرافات والمفصّلات من فتاة ترى بحري
لأول مرة في نيويورك .. ١٠٠ بإسلام .. طريفة هذه المدينة
نيويورك .. أن الناس فيها يتجهّدون لغزى من أول نظرة ، بينما
لم يكونوا يصلون ذلك في القاهرة ، طمنا .. فرق كبير .. آدمي
الناس .. آدمي البسات .. والا بلاش ! تاكسي .. تاكسي ..
لن .. لن .. إلى أين ؟

ومضت الفتاة يدحا بالمتولى مكنوما إلى حائقي التاكسي - حس
دقائق ، عشر دقائق .. ثم أصبح الإنسان في داخل الشقة ..
ما هذه الشقة .. ما هذا الخيال - ما هذا الصالون الفاخر ؟
ما هذا الذي .. الذي تفعله الفتاة مع بحري ؟
إنها تحضنه ، قبله ، تقول له : كم أنت لطيف يا حبيبي !
يا ساني ! حبيبي ! مرة واحدة .. لا .. لا .. هذه المدينة
نيويورك هي قطعا أحسن مدينة في العالم ! هذه الليلة هي قطعا
ليلة مفرجة ..

كانت البساتير كلها تدل على أن الليلة سوف تكون مفرجة ، كما
أن الفتاة لا تنتظر . أن سحر بحري هو قطعا الذي جعلها
ترى كل الحواس في خمس دقائق . إنها كانت تحضنه منذ
دقيقة . إنها الآن تحضنه بقوة أكثر ، بقرام أكبر ، ولكنها
تتذكر فجأة أن بحري غريب ، وأنه ربما يكون مسلما .
ممكن .

هل أنت مسلح يا حبيبي ؟ .. هكذا تسألت الفتاة من
مقرها في أستان بحري - تسألت .. وهي تلمس مصفاها أو
سكينها في جيوبه ١٠٠

وابتسم بحري مساعرا من جذر الفتاة - إنه شخصاً وسيماً
مثله لا يحتاج لأية احتياطات .. خصوصا في مثل هذه المواقف
المنهية .

ولكن ايتضاه فخرى لم تلم طويلا ..
 فيعد لثنية او ثنية ، فتضع اليها فميلة ، ودخل رجل
 - رجل عراقي - ان الرجل منحنى من وجود فخرى .. طمعا
 من المؤكد ان هذا الرجل يصب الفناء ، وأنه منحنى الآن لانها
 تخونه مع رجل آخر ..
 ان شيئا من هذا القبيل ذكر في نفس فخرى قبل ان يصيب
 الرجل في وجهه
 - بتصل اية هنا يا مجرم ؟

مجرم ... ؟ ان فخرى ليس مجرما بعد .. انه .. انه ماذا ؟
 اجترار فخرى في وجهه على الرجل . لما الفتاة .. لقد بدا عليها
 هي الاخرى انها لا تدري ايضا كيف تصرف ..
 ولكن الرجل المصالح تصرف . لقد اخرج سكينها وضغط عليها
 فكانت تلامس وجه فخرى .. بهذا السكين قال الرجل لفخرى
 آمرا اطلع بره .. بره .. لو شفتك مصاحا قامى حانك ..
 فاهم يمس اية .. ؟ حانك ٢٠٠

وفي اقل من ثانية واحدة كان فخرى في الشارع .. الحيد
 .. الحيد .. لقد اقتطعت حياته من سكين هذا الرجل
 المحبوس . المحبوس حيا بفعله .

ومحركة تلقائية من فخرى - فهو الآن في الشارع - اخرج
 حشديلا يسمح به كل هذا العرق الذي تصيب من وجهه . مع
 التبدل اخرج سيجارة يضي بها فخرى . هذه آخر سيجارة في
 العلبة .. لا باس . فليستر عليه سجن . املها تكفى لنسيان
 هذه المواقف القارية ..

وعندما عد فخرى يده الى الدولارات في جيبه ليشتري سجاير
 اكتشف انه لا يوجد دولارات ، لا في هذا الجيب ولا في اي جيب
 آخر . لقد سرقت الدولارات من فخرى في ليلته الأولى . سرقتها
 الفتاة عندما طلبت جيوه بحثا عن صمغ نو سكين . يا نهار
 أسود .. الدولارات ؟ كيف ذهبت الدولارات ؟ لقد لمحتت .
 طارت الثلاثمائة دولار التي خرج بها فخرى من مصر . طارت
 الثروة . طار رأس المال . طار المال . وطار الرأس ايضا مع
 المال ! طعمه نيويورك . والناس في نيويورك .. والبساتين
 في نيويورك ..

ولكن المسألة في الواقع لم تكن في نيويورك . ولا في بساتين

نيويورك . فهم الحكاية نفسها يمكن ان تحدث في نيويورك او في غير نيويورك . وهذا النوع من الناس يمكن ان يوجد في العاصره مثلما يمكن وجوده في نيويورك .

هكذا قلت لغيري عندما خص علي الحكاية . قلت له ان الاساس ليس محتاجا للقنوم في نيويورك لكي يقع له هذا الحادث . فقال لي الى أي مكان في العالم ، وتصرف بنفس الاسلوب . وسوف يحدث لك اسوأ من هذا .

ان هذه الحكاية لها عتدى دلالات كثيرة .

فرغم أن غيري استمعني بالشرطة بعد ذلك ، ورغم أن الشرطة حاولت مساعدته في المسود التي تصطبها ، إلا أن العري ما يزال قائما عند غيري حتى الآن . فغيري الآن أصبح يتصرف كيهامر ، وليس كطالب متعة . في الروايف الصغيرة يجب ألا تعتمد في الشاطئ .

و . . أنت لم تعتمد في الشاطئ . ا في الواقع أني أكاد أراكي . تبطلق ، مثل في قانونات المحلات يميناً ويساراً . معلول . أنت ما رلت في شارع برودواي . باطلعت السحاب أمامك . دور السينا على يمينك ويسارك . المحلات أمام عينيك

سوف تلاحظ أن هذه المحلات تطلق لافتات ضخمة لتقول « اوكاريون » . هذه هي الايام الاخيرة للاوكاريون . ان الاوكاريون في أمريكا معناه أن السبعة التي تساوي مائة دولار تباع بثلاثين دولاراً فقط . هذا هو الاوكاريون كما يتم في كل المحلات الكبرى في أمريكا . كل المحلات . ولكن ليس في هذه المحلات الصغيرة بشارع برودواي . هذه المحلات بالذات ان أي سبعة تشتريها من أي محل كبير في أمريكا تستطيع - اذا لم تبطلق - ان تبيعها للمحل خلال اسبوع من شرائها وتستعيد كل نفورك . . ما لم تكن ملابس داخلية . فلابس الشاطية ممنوع اعادتها بحكم القانون .

كل هذا ممكن في أي محل . . ولكن ليس في هذه المحلات الصغيرة المتجاورة في شارع برودواي . فثلاثة الاوكاريون سبعة على هذه المحلات في مكانها هذا دائماً . ربما لانهم يعرفون ان القادمين الى برودواي هم كالثقاعين من الارباب الى شارع الوسكي بالقاهرة . ربما لانهم يعلمون ان المستهلك الغريب لا يعرف بعد ان هذا البضائع التي يبعونها في برودواي قديمة . ربما لان كلمة « اوكاريون »

سوف تحصلك تشري ما لم تكن تنوي شراءه . او ربما لان
اصحاب معظم هذه المحلات في بروكلاي هم . . يهود :

هذا هو المكان المناسب لقلبة اليهود في أمريكا : انهم هاجموا
في شارع بروكلاي - تم في نيويورك كلها - يملكون المحلات ،
الكباريات ، يملكون في التجارة ، يضررون في الورقة ، يساهمون
في الصحف ، يديرون الشركات . انك تعلم ان اليهود ليسوا
جسدا ، ولا كلهم دين . ليس فقط انهم مجموعة اقتصادية ،
ليس ان النسبة هي تخصصهم ، والتجارة عملهم ، والسمرة
صياغتهم ، والتخوف كآلهم .

ها بالنظر ، في بروكلاي ، في نيويورك ، لم في أمريكا كلها . .
نستطيع ان نؤكد ان اسرائيل هي هذا عقل صهيوني ، وجيش
يهودي ، واسنان أمريكا . . ان العقل الصهيوني ينكر للعدوان
والاموال اليهودية تسفد فالوره الحبيب ، والاشعة الأمريكية
تكفل الحمية .

ها يوجد ستة ملايين يهودي . اي اكثر من سكان اسرائيل
نفسها . انهم اقلية في أمريكا . . ولكنهم يتركزون في مدن مثل
نيويورك ، شيكاغو ، فيلادلفيا ، لوس انجلوس . . وكلها مدن تمثل
مناصب لولايات كبرى في أمريكا واصلاها . انهم - منذ سنة
١٩٤٨ - هم البنك الذي يمد معظم فوائير اسرائيل . لقد اعطوا
لاسرائيل في سنتها الاولى مخصصات نقدية ووعيه رادت قيمتها
على مائتي مليون دولار . مبلغ ضخم من رأس المال لايساوي الا
الحصة التي تحصلتها الحكومة الأمريكية الفيدرالية نفسها في
ذلك السنة .

وقد السنوات الاثني عشرة التالية اعطى يهود أمريكا لاسرائيل
مليون دولار . واشتروا مسطحات اسرائيلية باكثر من نصف
مليون دولار .

انهم يستقبلون كل سنة مئات من المبعوثين والرسميين القادمين
من اسرائيل . لقد جلبوا الى أمريكا بنى جمعوا ، جمعوا ، جمعوا
التبرعات ، تبرعات مفعلة تماما من الضرائب .

انهم - خلال احضانهم الخاص لاسرائيل - وخلال قانون العرض
والطلب في السياسة الأمريكية والاعلام الأمريكي ، خلقوا صاخا ادى
الى ارتفاع ثمن الفواطع الأمريكية نحو اسرائيل الى الحد الأقصى ،
وارتفاع قيمة النتائج العملية لهذا التناح الى الحد الأقصى ايضا .

والقياس النسبي للمساعدات الأمريكية التي أعطيت لإسرائيل منذ قيامها . . نجد أنه أعلى ممثّل مساعدات أعطتها أمريكا لأي دولة في العالم ، وإن إسرائيل تحصل الآن ، دائماً على مركز الدولة الأكثر تفضيلاً في مختلف عديد . ويبدو هذه المساعدات ، لم تكن إسرائيل تستطيع استثمار أي مهاجرين جدد لو خوفي ثلاث حروب في الشرق الأوسط .

وليس من الضروري أبداً أن يكون كل يهودي أمريكي هو - أوتوماتيكياً - شخصاً صهيوياً مؤيداً لإسرائيل . إنك في الواقع سوف تجد يهوداً أمريكيين يعرضون الصهيونية والنشاط الصهيوني في أمريكا نفسها . أشخاص مثل ألفريد ليتل ، ألبانو بيرجر ، موريس كوهين ، موشى ميهوئين . . وغيرهم . لهذا يجب أن نكون النعرة في كلماتك واضحة بين اليهودي والصهيوني . أن اليهودي ليس هو الشخص الذي يصادفها في الشرق الأوسط ، في الواقع إننا لم نصادف في أي وقت . وحتى في الوقت الذي اصطدته أوروبا كما نحن سمح لليهود بأن يصنعوا ودياء - ربييه قطاوي مثلاً ودير المالبه في أوائل العشرينات . وسلمت لهم بأن يمتلكوا الشركات والمخبرات الهندسية . مخلات داود غفنس وبزايون مثلاً . وسببها لهم بنمائي السوك - بك الرهونات وشركة سوارس مثلاً . سمحوا لهم بمضوية مجلس الشيوخ - ربييه قطاوي باناً مثلاً - وبالمثل في الإذاعة المصرية - مينييل برايت داي مثلاً ، وبالمسطرة على الصحف قبل حرب فلسطين من طريق شركة الإعلانات الترفيئة مثلاً .

ليس لدينا إذن أي شيء ضد اليهودي كيهودي ولكن لدينا كل الغناء في العالم ضد الصهيوني .

وسنستطيع أن نعرق بين اليهودي والصهيوني بمسألة شديدة فاليهودي هو مجرد فرد ينتمي إلى دين معين . بينما الصهيوني هو نفس هذا الشخص حينما ينضم إلى حركة سياسية ذات أهداف لوسمية استثمارية في الشرق الأوسط - هي الحركة الصهيونية .

هذه الحركة الصهيونية هي التي ستواجه نشاطها في أمريكا كل يوم في الصحف ، في الإذاعة ، في التلفزيون ، في الجامعات ، في دوائر سينما في بار ، في كيباره ، في منزل صديق أمريكي ، في الشارع العام في نيويورك يوم ١٥ مايو كل سنة .

إنك سوف تسمع عنها من خلال منظمات صهيونية كثيرة -

منظمات مثل « اللجنة اليهودية الأمريكية » أو « اللجنة الاسرائيلية الأمريكية للشؤون العامة » أو « لجنة الدفاع اليهودي » أو « المنظمة الصهيونية الأمريكية » أو .. أو ..

فإنها منظمات تقيم شبكة تنكروت تقنافية ونفسية حول المواطن الأمريكي .

حسب .. هذا هو ماسوف تواجهه في أمريكا - المواطن الأمريكي نفسه . أنك بدون تجد حوافك أمريكا يالك - بمعنى حسن النية . لماذا ترفضون السلام . لماذا ترفضون إزالة إسرائيل ؟ لماذا ترفضون إلقاء اليهود في البحر ؟

وسوف تبسم - مثلبا فقلت أنا حرات عديدة - وأنت ترد حسا ، نحن نريد السلام . ليس هذا هو السؤال .. ولكن السؤال هو السلام .. ابتداء من متى ؟ ابتداء من سنة ١٩١٧ ؟ من سنة ١٩٤٨ ؟ من ١٩٥٦ ؟ من ١٩٧٦ ؟ من الآن ؟ السلام .. كلمة ساحرة يرددونها الجاني والمجنى عليه ، مع اختلاف كبير في النتيجة . تخيل لصا طرفه من منزلك بالقوة ، واحتله بالقوة ، ثم جاء يقول لك مقصداً تعامل معي المأمور . لقد احتلت لنا المنزل وأنهى الأمر .. تعامل بنصفناج وبصبح أصدقائك من الآن .. ملايك ؟ هل يوليك السياسي لأنك ترفض مصاصيسه ومالكه قبل إعادته المنزل إليك . . . ؟

في هذه اللحظة وبما يبدو على الأمريكي لأول مرة بعض التردد وهو يقول لك لا .. طعا ، ولكن .. أنتم ترفضون أشياء كثيرة . ترفضون حتى « الاعتراض بدولة إسرائيل » . ترفضون حرية الملاحة « ترفضون « المفاوضات المباشرة » ، ترفضون « إنهاء حالة الحرب » .. مرة أخرى وبما يكون ذلك شيئاً مثل هذا : سيدي .. كل ما نقوله الآن هو وحيه مختلفة لمشكلة واحدة . كلها نتائج فرعية لمشكلة واحدة أساسية . إن إسرائيل - والصهيونية - تريد من العالم أن يقرأ الكتاب من صفحته الأخيرة ، ونحن نريد من العالم - فقط - أن يقرأ الكتاب من صفحته الأولى قبل أن يحكم عليه . هناك مليونان من الفلسطينيين مطروحون الآن من ملازم ، مشردون خارج ديارهم . إلى أن يستعيد هؤلاء حقوقهم ، فإن يحدث اشتراط أو محاولات أو أنها لحالة الحرب .

- الآن .. هل ستحاولون من جديد .. ؟

- مؤكد . . .

— ولئن إسرائيل هزمكم في سنة أيام سنة ١٩٦٧ .. فلماذا لا تصرفون بالواقع وتسلموها ؟ .

— مبني .. في سنة ١٩٤٠ تراجع الجيش الفرنسي أمام القوات النازية وانهار في ثلاثة أسابيع فقط من بداية العمليات العسكرية . وفي نفس الحرب العالمية الثانية واجهت القوات الفرنسية والإنجليزية أيضا انسحاب عسكري في شنكلا . وفي تلك المعركة انسحب ٢٢٤ ألف جندي بريطاني ، ١١٤ ألف جندي فرنسي ، ملاوة على مليون جندي وعصا في الأسر . وفي سنة ١٩٤١ تراجع الجيش السوفيتي أمام الجيش النازي (٥٠) ميلا خلال ثلاثة أسابيع فقط . وخلال شهر وقع في الأسر أكثر من مليون ونصف مليون جندي روسي . وفي نفس السنة أيضا حطم الأسطول البحري الأمريكي في بيرل هاربور بضربة واحدة . لقد هاجمته اليابان بـ ٢٦٠ طائرة في وقت واحد قبل العبر . وخلال ساعة واحدة — ليست متتاليات — تحطمت كل الموارج الأمريكية الضخمة الراسية في بيرل هاربور .. فلماذا لم تسألوا اليابان بعد بيرل هاربور ؟ ولماذا لم يصل الاتحاد السوفيتي ، ولم تعمل بريطانيا .. مع ألمانيا النازية ؟ هل كان السلام شيئا منطقيا في تلك الظروف ؟

وسرعة يرد الأمريكي ١٠٠ لا . ولكني أقول .. ماغلفة أميل
الارهاب ؟ هذه التي يقوم بها ؟ العرب ؟ ضد إسرائيل في المناطق المحتلة ؟ .

— أولا . هذا تحرر لارسل محتل ، وليس أرهابا . لاني ان الذين تسمع منهم هم فدائيون فلسطينيون .. كانت هذه الارض أرضهم وأرض أجدادهم .. أنهم — بتعبير مؤني موهين الكاتب المصادي الصهيونية وهم أنه يهودي ، والأمريكي مثلك — هم .. « شباب غاضب فادر جيماليا ، بني من وطنه ودينه في فلسطين » وحكم عليه بعبادة لا تمكث ، وغير قادر على ابتلاع قنصته وبؤسه في المعنى .. يشتملون كل يوم منازلهم ولما كان معاهم أو حذاتهم ، وابقارهم ومزارعهم وقمار حقولهم وبساتينهم يمتنع بها الفزاة الاسرائيليون . أنهم ... يصرون المصمود ليستردوا شيئا من منازلهم ، فيقتلوا الاسرائيليين أو يقتلهم الاسرائيليون .

ان الأمريكي يتسلل في هذه المنطقة ، منبعضها . هل قلت ان هذه المثلث كانت منازلهم ، واتهم كانوا اصحابا لتلك الارض ؟

— نعم .. قلت ذلك . ان فلسطين لم تكن ارضا خالية من السكان هل تقبل يا مستر ريتشارد ان يبيع لك المسترجون بيتا بملكية المسر

يتر ١ هذا ما حدث بالوسط . لن يطرأ ، وهي لأملاك ، باعت
الحركة الصهيونية . وهي لا تستحق .. لوقا يملكها طرف
ثالث .. هو الكناستيون .

ان المناقشة قد انتهى بصديقنا الأمريكي وهو يحسم بكلمات صهيمة .
كلمات مثل « لست أدري .. » او « لست متأكدا .. » او « هذه
حقائق جديدة عليّ تماما .. »
وهذا صحيح الى حد كبير !

انها حقائق جديدة عليه . فطوال عملية « تسهيل الحج » التي
تعلمها النخبة الصهيونية مع المواطن الأمريكي العادي .. يتربسب
لديه ان العرب هم ليس امطيويون . منحتمسمون استيفاديون ،
بدائيون .. وان اسرائيل حارب الى فلسطين لكي تضر صحراها ،
تزرعها ، وتضع فيها مشعلا الحضارة النورية .
بكلمات أخرى نحن - العرب - هنود حمر .. واسرائيل هي
الرجل الابيض .. في الشرق الاوسط . صورة حذابة طبعها
للتحريك الأمريكي .

لهذا السبب تعارب الصهيونية وجود أي عربي في أمريكا .
وهي تعاربه اكثر كلما كان ناجعا اكثر .. في الدراسة .. في العمل
.. في الوظيفة .. في التجارة .. او في الثقافة . انها تعرب وجوده
في أمريكا ، لأن مجرد وجوده هو - في حد ذاته - دليل حي على
انتمائه لشعب معتمد متخلف ، منحدر . ان مجرد وجوده يعني
ان خمسة امريكيين سيصرفون حصة الصراع في الشرق الاوسط .
خمس ، عشرة ، عشرين امريكا - نحتاجهم الحركة الصهيونية
واسرائيل - سوف يبدلون في الاستئصال . لهذا هناك كمهاجر -
وحتى قبل ان تفتح فمك - تمثل خطرا متحركا ، حقيقة متحركة
على فمحين ، تمثل وجهة النظر الاخرى المحرم انتشارها .

واكثر من هذا ، ربما تعاربا بوجود انطاعات اكثر تريبا من
حقيقة الصراع في الشرق الاوسط . ومن التوكيد انك سوف تجد
معظم الصحف الأمريكية تكرر قراتها كل صباح ان أمريكا تعرب
الانبعاد الصهيوني في الشرق الاوسط ، وهذا بالضبط ما نرى الى
تأكيده . ويريد - العمل الصهيوني الاسرائيلي في الولايات المتحدة .

تقد عملت اسرائيل منذ مدة طويلة سابقة لخلق هذا الصورة لدى
الرجل العادي الأمريكي . فمكرا - منذ سنة ١٩٤٧ - اصنام
آبا ايمان - وزير خارجية اسرائيل العالي - كتابا بعنوان « صوت

اسرائيل . . الكتاب هو مجموعة من المحاضرات والخطب التي ألقاها
أبا اسحق في مدن الولايات المتحدة عندما كان سفيراً لإسرائيل هناك .
بالضبط ٢٢ محاضرة وخطاباً .

والفكرة الرئيسة التي لا تمب مرة في هذا الكتاب هي اسرار
إيمان على ريف مصر إسرائيل بمصر السياسة الأمريكية بصحة علمه
في الشرق الأوسط . أنه يقول . إن إسرائيل دولة صغيرة ، حديثة ،
مسألة وديمقراطية . ويريد الجيش في سلام . . بينما يحيط بها
حيران كبار وأقرباء وعدائيون وأطعميون . وإزاء الرعب (أ) الذي
تعيش فيه إسرائيل فاتها أحياناً تعدد معها مضطراً (أ) لأن تهب إلى
الدفاع من بعضها مثلما حدث في سنة ١٩٥٦ (أ) . وإسرائيل بعملها
هذا أنها تدافع عن الحضارة الغربية بعضها .

وسمى إيمان التي أن يصل إلى السطر الذي ظل يؤجله ٢٩٩
صفحة أن الصراع بين الدول الغربية المنحرفة وبين إسرائيل هو
في جوهره صراع بين الشرق والغرب . . بين الاتحاد السوفيتي
والولايات المتحدة .

يعنى إذا كان على الغرب أن يدافع عن نفسه في الشرق الأوسط
، فليدافع بالدفاع من إسرائيل . وإذا كان الغرب يمشي في حاله
عداء مع الغرب ، فليست إسرائيل هي السبب . أن هذا العداء
الغربي نحو الغرب هو عداء ضمنى لا يدخل لإسرائيل فيه . أنه عداء
له أسبابه التاريخية الخاصة ، وإسرائيل ليست واحداً من
هذه الأسباب .

والسألة التي لا شك فيها ملاً . . هي أن لدينا أسباباً الخاصة
لعداء السياسة الغربية . هذا صحيح . ولكن حادثة الغرب
لإسرائيل هي دأب هذه الأسباب . لقد اشتركت فرنسا على
حصر سنة ١٩٥٦ وعملها الغرب بها تسببه جزاء على هذا
الناظر . ولكن فرنسا . . في عهد ديغول مثلاً - وقامت فرنسا بالحياد
في صراع الشرق الأوسط ، ويقتل عن الغرب ما كانوا لها من تقديرهم
لهذا الموقف . ولم يقم مريم واحد ليطن أن عدائنا نحو فرنسا
هو مسألة « حمية » . مسألة فخرية ، لا أمر منها ولا عكس .

... و

أت الآن منب . . لقد قصت من السير والفرجة والالتهم
والناقشة والتجربة . ربما تحت الآن من ناكس لعمود به إلى
الصدق . ربما تكشف مجيء أن سائق التاكسي اسحق ، مثلما حدث
معي مرة . لقد طار الرجل من الفرجة عندما علم أنني مصري .

« .. اهلا اهلا .. يا ابن عرب - قنا اسمي حبيب هازر .. من بيروت .. مهاجر الى امريكا منذ عشرين سنة - لقد فزت بيروت منذ خمسي سنوات فقط - ولكنني فزت القاهرة ايضا قبل هودني .. كانت اسرى - التي صحبتها مصر - تريد ذلك .. تسمى ذلك .. انت تعلم طعا .. ان الشرق يسسها من القاهرة - ان السحر كله في القاهرة » ..

ربما يحدث لك هذا - - ربما لا يحدث ..

ولكن المؤكد في هذا كله انك ستعود الى الفلق سيرا على الاقدام في ١٥ دقيقة - لا تأكل ولا تلبس - سوف تعود متسا مرهقا - وقل ان تسلق على السرير سوف تستعيد في رأسك كل الانطاعات التي تكونت لديك اليوم - ان معظمها ما زال بيد انطاعات شخص عابر ، انطاعات رائد ، انطاعات ال ٢٢ ساعة الاولى ..

مأزالت أمامك غيرة طويلة قائمة لتهم المجتمع الأمريكي من الداخل - تهم المتاكل الأكثر عمقا ، والتهليلات الأكثر حسوة .. التي حملتك تبهر اليوم كل هذا الإنهار

حسا - هذه مهمة الفصل التالي

نقد على مجلة المشرق :

عسرت أمريكا !!



ليس في أمريكا مجتمع . في أمريكا زحام من الناس !

ليس في أمريكا أغلبية . في أمريكا مجموعة من الأقليات ! .

هذه هي الحقيقة الأولى التي يجب أن نعرفها عن أمريكا . أن الولايات المتحدة هي ولايات .. غير متحدة . أن المجتمع الذي يعيش في هذه الولايات يشهد في السنوات الأخيرة انقسامات مريعة تستطيع أن تقسم ملائحها أينما تلعب . هناك البيض ، وهناك الفنى . هناك الجنوب ، وهناك الشمال . هناك الاسود ، وهناك الابيض . هناك القديم ، وهناك الجديد . هناك لئاسر العرب لهم الشربة في فيتنام ، وهناك للمادى لها و .. أهم من هذا كله ، هناك

الجيل الذي يجلس في كرسى السلطة .. والجيل الذي يخلص السلطة .. جيل حتى القوة بسلطته .. بقدر شرفه ، وجيل يريد الشرف لبلاده حتى بقدر قوته ..

القول أنك لن تجد في أمريكا مجتمعاً .. ستجدوا هذا المجتمع :
العنصرية ، التمييز ، روسيا ، السخط ، الجريمة والمظاهرات ،
فينتام ، الملايا التجديد ، الإجهاد للخدمات ..

ولن تجد في أمريكا الحرية .. سوف تجد أولاً مجبوبة من الإغليات
وهي السود ، الكاثوليك ، اليهود ، المكسيكيون ، الصينيون ،
الإيطاليون ، البولنديون ، البورتوريكيون ، النيب ، النقبون ..

لهذا السبب فإن المهاجر لن يجد نفسه في بلد آخر فقط ، إنما في
جو آخر ، أخلاقيات أخرى ، قيم أخرى ، وقواعد أخرى متبعة ..

إن هذا الاختلاف موجود منذ خلق الأمريك أناس مختلفين ،
جاءوا من بلاد مختلفة ، ولغات مختلفة ، اختلافاً في مظاهره
كل خمس دقائق حينما نتكلم .. نعمل ، ندوس ، نلعب ، نكسري
طعامنا ، نرتدي ملابس ، نلحق ، نكسر ، نلحق ، نركب ، نسي ،
نبتكر ، نحصل .. حينما نعيش .. فلابد أن نعد نفسك مقدماً
لتقبل ظروف مختلفة وسائل مختلفة ، وحسابات مختلفة ..

والسبب في هذا كله أن المجتمع الأمريكي هو مجتمع من نوع
خاص .. مع تعقيدات كثيرة على كلمة "مجتمع" هذه السبب هو
أن الشخصية الأمريكية المعاصرة هي نتيجة لتفاعل بيئة وليس
كلاهما مختلف ومتنوع ومعتد ..

أنه من الأصل .. مجتمع من المهاجرين ، أن الذين هاجروا إلى
أمريكا في السابعة ذهبوا إلى هناك بحثاً عن حلم في رأسهم .. الحلم
الأمريكي كما نسووه الآن .. حلم بولادة جديدة ، شوق لفرصة
لينة .. أمريكا كانت هي فرصتهم الثانية ..

في مثل هذا المجتمع لا يستطيع الناس أن ينفقوا على أشياء
كثيرة .. أنهم لا ينفقون سوى على أشياء قليلة فقط أشياء
تمثل الحد الأدنى اللازم لجعل الحياة تتحرك ، تسير إلى الأمام ..
أشياء قليلة .. عليه .. من السهل أن يهملها الجميع .. ونفق
عليها الجميع .. لهذا مختلف المجتمع الأمريكي كثيراً على ما هو
أخلاقي ، ما هو مثالي ، ضروري أن يختلف .. ولكنه ينفق بسرعة
على ما هو عظمي ، ما هو عظمي ما هو تكسولوسي .. لأن الصلح
والتكنولوجيا لا يمكن أن يكونا بيئة لو طية في حد ذاتها .. لا يمكن
أن يكون لهما أخلاقيات خاصة بهما ..

من هنا يمكن ان نفهم خيالنا كثيره المجتمع الامريكى المعاصر .
انه مجتمع يبدى الغفل الإلكتروني بأكثر مما يبدى السودة
العلواء . انه متدين أكثر منه مؤسما . ان الضيقة بالنسبة له
كلمة لا يذكرها الا كل يوم احد . ان الضيقة الوحيدة التى
يستطيع ان ترفيك على تذكرها كل دقيقة هي : الفقر . ان تكون
فقيرا في امريكا يعنى الشقاء كثيرة . يعنى : الفقر ، الحرمان ،
الشقاء ، البطس ، الاغزال ، الوحدة .

وان تكون غيبا يعنى في نفس الوقت اشداء كثيرة اخرى : التبعة ،
الحياة ، السياسة ، الرغبات ، القوة ، السلطة ، الحرية ،
الشهرة ، النود .

ان الصائلة المحترمة والاصل الطيب في امريكا امر طيب . .
ولكن دفتر النيكاف هو الذى يستطيع ان يزيل من طرفك كل
المسات . كل العواجز . لهذا لم تنتج امريكا حكسيرا آخر او
يهودين ، او استناب . انها لم تفعل ذلك لان ابطال المجتمع
الامريكى ليسوا سياسيين ، ولا مصلحين ، ولا اخلاقيين ، ولا
فلاسفة ، ولا فنانين . انهم رجال اعمال . رجال مثل كزيمى ،
روكفلر ، فورد ، اديسون .

ان اسوأ مصيبة يمكن ان تحمل بحرب سياسى في امريكا هي
وقوع كساد اقتصادى خلال حكمه . وحتى الآن لم يعمر
الامريكىون للحرب الجمهورى ان كساد سنة ١٩٢٩ وقع
خلال حكمه .

واسوأ ما يمكن ان يشال منه قانون في امريكا هو انه يضر
بالتجارة . ان أى شيء يحد بزيادة الثروة يعتبر اوباشيا شيئا
طييا . لهذا تعمل الامريكى المعاصر بصبر أسوأ مظاهر التصنيع .
ويتحمل بعد هذا كله مصائب اخرى كثيرة : المضاربة ، الاملان ،
الاستغلال ، تلوث الطبيعة . . الخ .

ان هذا كله أدى الى اعطاء لون كفى وعددى للشخصية
الامريكىة . ان الامريكى المعاصر لا يستطيع ان يفهم تماما أى شيء
الا اذا ترجمته اليه في لرمم . ان متحمسا ينتهج باحساسيات
السكان ، باطحات الصحاب ، بطول الكلاك الحديدية ، بارتفاع
الانتاج ، بصدد الطلبة ، بطول الرحلة والمتعة في الحيرات العظمى ،
بهر الميسيسى ، كسلالات يساحرا ، تفسس ، انه سعيد جدا
حيما يعثر على حل ميكانيكى للمشاكل : مطبخ القطن ، القلرب
البحلارى ، ماكينة الخياطة ، التلفراف ، التليفون ، الآلة الكاتبة ،

المقبل الإلكتروني . وآلاف أخرى من الإحصائيات التي أدخلها الأمريكي في حياته اليومية . إن كل شخص مسلم ، ولكن شركات التلفزيون وحلت من الأربع لها إن تعد وسجل جاذبة مقدما لتختلف أو التهينة أو التعزية كل امرأة ماهرة ولكنها لا يمكن أن تفجع وقتها فيما تفعله المراه في أي مجتمع آخر : التطوير أو تفصيل الملابس مثلا . إن النهج البصائر لرخس . أنه لرخس لها واكسب للمجتمع . لا داعي لأن تضع وقتك مفكرا في الانعاط المناسبة التي تهى بها حديثك . شركة التلفزيون ستتولى هذا العمل . لا داعي لأن تفهم وقتك في تفصيل فستان بالشكل الذي تريده ، المستان الجاهز لرخس بدولار ، بنصف دولار ، بربع دولار ، المهم أنه لرخس ولو بمقدار ست واحد .

أقول إن الأرقام هي الكلمة الوحيدة المهيمنة في المجتمع الأمريكي إن قيمة الإنسان عند هي كم يملك الآن . قيمة كل فرد تقاس بمالكسبه ، بما يوفره . ملك مورد . المجتمع لك . ملك المهر . المجتمع عندك . لا قيمة للشخص قبل أن تكون لديه نقود . وحين يملك النقود فقيمته تقاس بمقدار هذه النقود . في هذه الحدود يلتقي الاحترام والسجل والمهم من المجتمع . إن ما يهم فقط هو كم في جيبك الآن . وفي هذه الدقيقة بالذات فمن الممكن أن تكون غنيا في لحظة ، وفقيرا في اللحظة التالية . هذا معناه أنك محترم في لحظة ، وغير محترم في اللحظة التالية .

إن قيمتك الآن هي وطم توفله . وطم من لرقام كثيرة يتعامل بها المجتمع الأمريكي . فالأرقام عملة مقبولة في كل مكان بأمريكا . أن الأرقام هنا ليست في النقود فقط . ولكنها تمتد لتؤثر على كل شيء .

إذا أردت مثلا أن تبيع نافذة نطل منها على البيت الأمريكي فلن تجد سوى لرقام الاستعجابات واحصائيات الرأي العام . معهد جالوب مثلا يقول ، إن نصف الأمريكيين لم يأكلوا الاستاكوزا في حياتهم . . . واحد من كل سبعة في الولايات المتحدة شعره أحمر اللون . . . معظم النساء الأمريكيات يفضن تفخيس أنفسهن . . . معظم الرجال أن يعترضوا على زوجاتهم إذا استمتعن الانعاط البكينة عناء . . . أمريكي واحد من كل خمسة جاع مرة بسبب عدم وجود نقود . . . كل جنسلمان في أمريكا يفضل السروريات على التسرفريات . . . أربعة من كل عشرة أمريكيين تساقوا جيلا في حياتهم . أكثر من نصف الأمريكيين شربوا التسمانيا مرة واحدة

على الأقل .. ستة زوجات من كل عشر يرين ان زواجهن على
شبه من الوسامة .. خمسة ملايين امريكي مستعدون للتطوع في
الرحلة التالية للهبوط على القمر .

واذا اردت ان تعرف على الكتب التي تعاطب احلام الفرد في
المجتمع الامريكي سوف تجد قائمة لا تنتهي . كيف تعيش ٢٦٥
يوما في السنة .. دع القلق واستمع للحياة .. دع التوتر وابدا
الحياة .. كيف تحول الدولار الى مليون دولار .. كيف تحول
الناس الى ذهب .. كيف تحول العسل الى سحاح .. كيف تتحرره
وتضع الناس .. فن الانشغال .. كيف تكسب الاصدقاء
ولأول في الناس ..

ان الكتاب الاخر وحده ومؤلفه ديل كارنجي اصبح .. اوسع
الكتب انتشارا في التاريخ بل إنشائه «الكتب السماوية» .. ان
ملايين السح طغت به في اكثر من ستين طعة .. انه يقدم لك
وصفات جاهزة لتكسب الناس مثلا . لا تعادل . لا تقل لاحد انه
مخطئ . سئم بعتك . دع العصب والصف . ابعد عن كلمة
نعم . دع التسامح الاخر يتولى دفة الحديث دعه يتصور انها
فكره . فع افكاره في قالب تبلي .

بهذه الوصفات - وغيرها كثير - يطمح المجتمع انك ستصبح ،
نفسى ، تكسب مليون دولار ا انه يطمح بالتصديق للذين
اصبحوا اغنياء هذه السنة ، لانك ربما تصبح مثلهم في الصام
القدام . لا تحسد الجوير اليوم ، لانك تستطيع ان تكون مليونيرا
غدا ، لانه ان ترى في القمحين العارفين لكل طفل قدمين لرئيسي
جمهورية قدام ، او مليونير في الطريق ، ان المستقبل معنوح لك ،
معنوح لاطلاك . متى خلاهم . امصل من اعلمهم ، اعلمهم ولا
تياس . اذا كنت تظن يجب ان تستيقظ في الخامسة .. اذا درمت
فتم حتى الساعة . اذا عطيت فابدأ من الساعة حتى الخامسة .
كل صباح ببدأ واحب كل مساء مبيتى الواجب . كل
اسبوع تحصل على المرتب . عندما تحصل على المرتب اشتر .
لنت لك اشتر . اشتر .. اشتر .

هكذا يعيش الامريكي وسط مجتمع استهلاكي . كل شركة
تقدم لك نفسها . كل سلعة تعلن عن نفسها . ان الاعلان يطمح
بضرورة اشياء كثيرة . اشياء لم تكن ضرورية قبل الاعلان المتكرر
عنها . لهذا تجد ان معظم الامريكيين يحصلون على اشياء ما راات
تعتبر شرفا بالنسبة لاشياء القول الاخرى . ان منزلهم مكيفة

الحرارة ، أنهم يستهلكون كميات لا تفصلق من المشروبات ، الأس كريمة ، سكر القيث ، السطير ، ويضقون على المشروبات الكحولية وريوت الزينة ، عابثي لاطعام شحوب أخرى كاملة . أنهم يوفرون من دخلهم - ليس لشراء مزرعة كما كل يعمل أجدادهم - ولكن لتحقيق مطالب أكثر استعجالات السيطرة ، الإحزرة ، التعليم ، أو التماهد . أن الراديو والصورة والتلفزيون أشياء عامة جدا بالنسبة للأمريكي المعاصر .

وإذا استطيع أن أسالك في القاهرة هل شاهدت برنامج التلفزيون أمسي ؟ استطيع أن أسالك عن برنامج التلفزيون ، ماذا ليس هناك محل اختيار واسم بين برامج تلفزيونية تتسابق على أحبك بالقل والقرف والسأم .

ولكن في أمريكا هناك فرصة متبلة حقا في أن تكتب أن شخصا آخر قد رأى منك أمسي نفس البرنامج . قم بعض المدن الكبرى - نيويورك مثلا - هناك يعمل إلى عشر محطات تلفزيونية تعار من بينها ، بعضها يعمل 24 ساعة يوميا أن الاختلاف والتنوع هما الكلتان الصيحتان اللتان تنطقان على التلفزيون الأمريكي .

وإن تكون قادرا على الاختيار بين برامج عديدة - بعضها حاد وبعضها تافه - ليس معناه أن تصبح عفا للشاشة الصغيرة . أن معناه ببساطة أن التلفزيون بالنسبة للأمريكيين هو كالكتبة بالنسبة للفرنسيين ، والصحف بالنسبة للإنجليز ، والقباص بالنسبة للمصريين . مع فارق أساسي ضخم حقا هو أسلوب وروح المعلومات التي تتخلل برامج التلفزيون الأمريكي .

فهمنا كثر الفيلم ، مهما كثر الرتاج ، مهما كان الخبر المذاع ، فلماذا ارتحلته المعلومات ، النصر من النصر ، والإعلان من مسروق فصيل ، النصر من القتل في فئسهم ، والإعلان عن أعداد الشورية . النصر من غزو كيبوديا . والإعلان عن استخدام رست الثمر لتزو قلوب النساء !

إن مشاهدة التلفزيون الأمريكي توحى لك - القوعة الأولى بأنهم شعب يعاني من تسموس الاستن ، اضطراب التنفس ، سلاط الثمر ، الممذاع الزمن ، نفس المثلث ، نساؤهم تحتاج إلى مسونات معشوة ، ورجالهم يعتمدون في جلايتهم على زبوت الشمس .

إن المجتمع الأمريكي - كما تصوره الإعلانات - هو كلبوس من

الطوف ، الفرة ، التزلز ، الاغتيا ، الصيد ، الطوح البجع ،
 الطمع ، السوء ، حب العاه تيرد الوسيلة ، حيث الصامعة
 يجب ان تكون ، والمثل العليا يجب ان تفسر ، والقيم توث . ان
 الأمريكي الثاني كما يتضح في ذلك من الامارات .. هو شخص
 يعيش في عذاب القلق والسوء ، شخص لا قيمة لاي شيء عنده
 الا اذا تربط بنتائج عملية سريعة . انه يقرأ الكتب لكي يتحدث
 جيداً ، يستمع الى الموسيقى لكي يؤكد مركزه الاجتماعي ، يختار
 ملبسه لكي يؤثر على نجمات رجل الاعمال ، يسلي استغله
 لكي يتقدم في وظيفته ، يقدم الهدايا المستورة لزوجته لكي تحبه ،
 ولولائه لكي يحترموه . فعلى الحب والاحترام - بالنسبة
 للاعلامات الأمريكية - لا يمان الا بالرغبة . انها لطائف لا يرى
 شيئاً مقدساً ولا شيئاً شخصياً انها الحقيقة الخاطبة مشاعر
 الامومة ، الزواج ، الحب ، الشهوة ، الصحة ، النظافة . ولكنها
 تصور الحب مثلاً كشيء لافسي ، يلعب لولاء الآخرين على شراء
 الهدايا . تصور الصداقة على انها سلطة في الزحف .. لا يحصل
 عليها من يقدم لاصداقه مشروباً وخبزاً او يطعمهم على اثاث
 مواصلهم . ان الترفى والتقدم في الحياة لا يأتي من طريق العمل ،
 او الذكاء ، او الشخصية ، او اي قيمة متعارف عليها . انه يأتي
 بمزج ذكي من الطماع والرشوة والسترز .

ان كل هذا يوقع يادرس الشخصية الأمريكية في مشكلة مركبة .
 ان من مهمة المعلن ان يدرسوا اولاً عناصر هذه الشخصية قبل
 ان يخطوها . مولودهم تمكنهم من الحصول في دراساتهم هذه
 على أحدث امحاء علماء النفس والاجتماع .. وعلى ذلك ، فلما
 كانت هذه الامارات تم بسببها على تطليل صحيح للشخصية
 الأمريكية .. فلان هذا يعني ان الشعب الأمريكي هو شعب فاسد
 متدهور .. بينما الطبقة هي عكس ذلك تماماً . ان المعلنين
 يخطون في الشعب الأمريكي مشاعر الطوف والاستغلة والانانية
 .. ومع ذلك فليس في الشخصية الأمريكية ما يؤكد وجود هذه
 المواقف مطلقاً . تناقض ..

وهذا التناقض يتضح في مهمة التليزيون بعبه ، بل حتى
 الوظيفة التي تؤديها الامارات في المجتمع الأمريكي . فالواقع ان
 الامارات تؤدي مهمة كبيرة بتحقيق التفاه بين النج والمستهلك
 معاً . والتليزيون الأمريكي بعبه لم يعد تبيعة فذلك مجرد حيل
 بطيئة فقط آخر الاحل والمعلومات . انه يستطيع اخبار العالم .

أخبار المدينة ، كيف تعد وجبة العشاء لضيوفك غدا ، من أين تشتري هدية لزوجك ، كيف تقضي اجازة نهاية الاسبوع . انك - من طريق الاعلانات في النليغزور - تستطيع ان تعرف اشياء كثيرة : ماذا تشتري ، من أين تشتري ، كم تدفع ، أين تدفع اقل ، كيف تنسلى .. ومتى تنسلى ..

ان تليس الرئيسية في اوقات الفراغ كانت مشاهدة النليغزور . اذا جلست امامه ربع ساعة فلن انركه قبل صباح اليوم التالي . انه يطبق صورة كاملة عن كل تفقيدات المجتمع الامريكى المعاصر . وسلطة الرجل الامريكى المعادى ايضا !

في احد البرامج مثلا احضروا لوبسة ازواج ورجالهم . الازواج في حاسب ، والزوجات في حاسب . وحاطط بيكما . اى كشاهد - ارى المحبوبين . ولكن كل زوج لا يرى زوجته . ان المذيع ظل يسأل الفرقى ساعه كامله - تنطقها الاطبات طما . انه يسأل الزوجة مثلا : كيف يتم زوجه على السرير فيلا .. على جنبه اليمين ! اليسر ! ام على ظهره ؟ . يسؤل آخر : عندما يستيقظ زوجك من النوم صباحا - ما هو اول شيء يفعله .. قطع شيئا .. ام يلبس شيئا ؟ .. وهكذا ..

وبعد ان حصل المذيع على الاحداث مكتوبة من الزوجات ، يستدير الى فريق الازواج ليألمهم نفس الاسئلة . هنا تبدأ المعلومات المضحكة . ان زوجة توم تقول انه ينسجم على حاتبه اليسر ، بينما توم حسه قرر ان انه ينسجم على ظهره ! ثم .. زوجة توم تقول ان اول شيء فعله هذا الصباح هو انه قطع شيئا .. بينما توم قرر انه لى شئ .. آه .. خطا لم يكن توم هو الرجل الذى نام مع الزوجه امس !!

ومع ضحكتك المشاهدين والازواج ، تعطى العائنة للزوجين الذين اتقت احدهما على كل الاسئلة !

ان هذه البطاقة التى تبثها في الاسرة الامريكية حادت بعد انطاع سابق من نقد المجتمع الامريكى . هذا تناقض .

ومع ذلك فليس هذا هو التناقض الوحيد الذى تلمسه في المجتمع الامريكى .

انه مجتمع يؤمن بسلام النفس .. ومع ذلك فالانتيهات العصبية فيه أصبحت شيئا مألوما كالاسابة بالانفلونزا . مجتمع ومسلحم التعليم فيه الى درجة غير محقولة ، وعقد الطلبة في جامعاته وكلياته أكبر من عددنهم في كل الدول العربية مجتمعة ، ومع ذلك

فانهم اكثر طلبة العلم تظاهروا ضد الامر الواقع . مظاهره كل يوم . مجتمع سوف اكثر من تحرق كيم . يسيطر على الطبيعة ويستغل مواردها ، ومع ذلك لم يحدث من قبل ان اسرف في القتل مضيع مثله . . حريمه قتل كل 17 دقيقة . ان تحرير المراه ، تعذيب النسل ، توهم الوفا ، الرخاء ، والتخليم . كان يجب ان تجعل الاسرة فيه اكثر سعادة وصحة ، ومع ذلك فان الاسرة الامريكية هي الآن اكثر غلظا من اى وقت مضى . رواج واحد من كل اربعة سنهي بالطلاق .

لقد شاعبت مرة في التليفزيون الامريكى برنامجا يمرض حالة واحدة من حالات الطلاق هذه .

انها سيده حذاية ، سوداء السمراء ، عمرها ٢٨ . انها في ذاعة المحكمة ضد الناحية صاحبا . البقة اسمها مسر كليمان . محاموها اسمه ميلتون هنري . ان المحامي يراها كما يرى دائما معظم رئاسيه في مثل هذه المحاكمات . . صعبة . . مسؤرة . . مربكة . لقد جاءت الى المحكمة تطلب انطلاق انها تطعن من محامها قتل الطبيه هل سيئاني القاصي في شيء ؟ . ولكن المحامي يتسم وهو يردد لها : مجرد اسئلة روليه ؟ لم يظلمها المحامي على قائمه اسئله مطبوعة على ورقة صغيرة . . هي التي يسألها القاصي حادة في مثل هذه الاحوال . انها تريد ان يهي موضوع الطلاق اليوم ، حتى لا تضطر الى اخذ يوم آخر اجازة من عملها ككترية في مانهاتن - نيويورك . بعد دقائق يدخل القاضى ، في رداء اسود ، متخذاً مقعده بجوار العلم الامريكى ثم تلى الاحكامات . ان مسر كليمان تتقدم الى الامام وتطس في مقعد الشهادة بعد ان تؤدي ماعليها . جئت بهذا القاضى في سؤالها تقربا نفس الاسئلة التي اظلمها عليها المحامي .

— هل قتت القاصي في هذه القضية ؟

— نعم . هكذا ترد مسر كليمان صوت خفيض .

— هل كنت متزوجة من هارولد كليمان القاصي عليه في هذه

القضية ؟

— نعم .

— متى تم زواجكما ؟

— ٢١ يناير ١٩٦٧ .

— هل تجتبا من هذا الزواج ؟

— لا .

— في أي تاريخ هجره لكدي عليه ؟

— في يونيو ١٩٦٦ .

— ملأنا قال حينما تركت باختياره ؟

— قال .. كماي من الزواج . قال انه منصرف . هذا كل شيء .

— بماذا أجبت أنت ؟

— طلبت منه ان يتي . ولكنه رفض .

— هل كنت زوجة مغلصة وتقومين بواجبك ؟

— نعم .

— هل حدث في أي وقت منذ الهجر ان عاد لكدي عليه إلى

البيت او هجره ؟

— لا .

— هنا وقف محلي الزوجة لكي سطي لقاضي حرية اوراق ،

لدي على ان روج مسر كلينمان . مهلس يعيش الآن في مكان ما

بأوروبا . لم يمكن العثور عليه لاحطاره واستبعاده . وانالضيه

امن منها في جريدة نيويورك القضائية .

— لم يسأل القاضي موكلت - الزوجة : هل لكدي لكدي عليه

أي هجره لهجره ؟

— لا .

— هل صنعت منه ؟

— لا .

— هكذا ترد مسر كلينمان في صيوت انخفض صخاة إلى درجة

الهمس . وبعد سؤاليين آخرين طلب القاضي اصدار الحكم

هكذا بطق اقاضي بحكم الطلاق بعدما بدقائق . حكم سوف

يستغرق اصداره رسميا ثلاثة اشهر أخرى تقريبا .

— ان الطقة لم تستغرق سوى دقائق . والحكم بالطلاق مسر

على اساس الهجر امساس حديد لم يكن يسمح بالطلاق منذ

سنتين ونصف فقط . فقبل اول سمبر ١٩٦٧ كان في ولاية

نيويورك سبب واحد يبرر الطلاق : الخيعة الزوجية . اما قانون

الطلاق الجديد في الولاية - فلكل ولاية أمريكية قوانينها الخاصة -

تقدحدر ضد ممارسة الكبيقةالكاثوليكية ، وقرر اضافة خمسة

اسباب أخرى للطلاق : السجن ثلاث سنوات ، الاتصال الشرمي

سنتان بحكم القضاء ، الانفصال بالاتفاق ، القسوة الزوجية او العقلية ، الهجر لمدة سنتين .

وبمجرد صدور هذا القانون ارفع عدد حالات الطلاق النسوية في ولاية نيويورك من اربعة آلاف الى ١٨ الف حالة !
ولكن أمريكا قبل أن تكون بلد الطلاق في العالم .. فهي أولا بلد المرأة ؟

إن أمريكا القرون العشرين أصبحت بلد المرأة أكثر من أي بلد آخر في العالم . إن تعرق المرأة يمكن التغلب عليه من مجرد قراءة إحصائيات الثروة والملكية والناسخ ، التعليم ، الأدب ، أو إعلانات أي مجلة . إن المرأة تدير الفطرس والكشاش ، تقرر ماذا يظهر في مجلة أو فيلم وماذا يسمع في الراديو وستشاهد في التلفزيون . إن مئات المجلات تصدر جميعها لتلبية المرأة ولرشدتها ، بعضها من أكبر المجلات لوربسا . ومعظم الصحف الأخرى تحصر صفحة المرأة . وكل مجلة إغاثة وتحرير تقدم سلسلة من البرامج المخصصة لمعالجة المرأة .

وما دامت المرأة هي التي تسي معظم النقود ، فإن معظم الإعلانات توجه نفسها للمرأة وحتى حينما تعاطف الإعلانات الرجل ، فإنها غالبا تعاطفه من طريق امرأة ، أو حيلة لامرأة ، لأن المرأة في أي مجتمع آخر - تحكم المنزل . ولكن في أمريكا فقط المرأة هي التي تصمم ، تلبس ، وتؤثث وتوجه نشاطه ، وتحدد مقاييسه . إن معظم الأعمال الأمريكية يبرعون أسر أمهاتهم أكثر مما يبرعون أسر آبائهم .

وسمع ذلك . ففي أمريكا الآن حركة لتحرير المرأة !!

.. ولكن .. ألا تحررين تلك حرة بعد ؟ !

هكذا سألت فتاة في نيويورك .. فسماها جودي .

نعم ، نعم ، ولكن .. ثم بدأت جودي في الحديث .

إنها تحدث نفسها مواعيد القضاء مع صديقتها ، وألا تصبح المسألة ... كما لو كان صديق الرجل يباحر من لمدة مساو كمال !
إنها تقول أن الجنس والحب يجب الفصلهما . فتكلاهما في رايها - وسيلتان أساسيتان يستخدمهما الرجل لاستماد المرأة .
وتقول أن المرأة الأمريكية التي تؤمن بحركة التحرير الحديثة هي الآن من النساء الأمريكيات - ساء لهن عشاق ، أزواج ، أطفال ، أو في طريقهن إلى ذلك . فهن يظنن تغييرا في الصداقات والميول

الاجتماعية بحيث يسمح لكل امرأة بأن تكون شخصا مفعلا
عن - ومتساويا مع الرجل .

ان جودي تقول باعتبارها عضوا في الحركة التحفينة انسا
لا يرى انسا كذلك الآن . انسا ترى انسا عطف موضوعا
جنسيا . . . وحلما نكون لغة الرجل ، محصورات ومقيدرات
بنورنا الجسدي . اتى بهما حفت من متعة في ثوابتي او عطى
فان اسي تقول لي د غمي بعض احمر الشفاء لكي تحبلي على
رجل : انسى قد اصبح سكوليه ، مدوسة ، ممرسة ، طيبة ،
معامية ، او رئيسة لاي شيء . وسواء صفت في مصنع او في مكتب
فانسي اكسب اقل من الرجل . وحيثما يصبح لشي اطفال اصب
حقبة بسلسلة طول عمرى . اتى روجه شارل ، او أم كارول .
لم بعد ذلك . . لا شيء اسي انظر الرشاثة النليزيون او الاعلانات
في الصحف غثرى معلوقا مثرا جنسيا ، او عاطفيا . مفلوقا بسمي
« المرأة » . . هذا الشخص ليس انا . . وليس اى واحد من
صديقاتي . ان الاحصائيات تقول ان القوى العاملة الامريكية
تضم ثلاثين مليون امرأة اى ثلث هوتا العاملة . ومع ذلك فان
متوسط مرتب المرأة 18٪ عطف من متوسط مرتب الرجل . ان
مرتب المرأة يقل من مرتب الرجل بنسبة 40٪ في الاسفل
والوظائف المشابهة .

هكذا انتهى كلام جودي .

وعندما انصرف جودي اكتفت اتنى اصحك ا طما محبالة
مضحكة . انها مضحكة لانها مناقضة . فلانناقص هو جوهر
الضحك . ان المرأة اتنى قالت كل هذه الضحك حالا . . هي الآن في
طريقها لقاء صديق شاك . المرأة اتنى فاسدك - او ربما ليست
هي شخصيا - هي التي تبيع بمركز متعوق في المجتمع الامريكى .
مركز لا تمتع به بعد ابة امرأة اخرى في العالم . اتنا هي التي تراها
- بعد سن الستين - تطوف حول العالم وحلما بعد ان مات
زوجها تاركا لها كل الثروة والاسم والسمعة والراحة .

انها هي نفسها المرأة الامريكية التي تراها شيئا بعد في دهانات
فنادق هيلتون في جميع أنحاء العالم : سيدات جعلن أنفسهن على
طرز نجمة السينما الامريكية لاناثير تلك طابع جافة ، شعر اشقر
منحوت عند الكواكب شعر اصبح ذهبيا من شدة الحزن على زوجها
عملات قديمة تلمع على صدورهن . صدر عابس ، الحزام رشيق
كالقصات ، الحزام تتحرك باحتشام الى ان تسمع اول موسيقى
والفحة . وتعد نثرة الاحتشام الواقعة من نفسها نستطيع ان

تكتشف اشارات نفس متاكس .. واحيانا ماضي قلبي ان كل واحدة من هؤلاء حوت بالكثير . وبعد كلتي للقرنيتين الرابعة يمكن ان تخبرك بنيتي واحد اوشينين . انها امرأة تعرف كل شيء عن حياتي زوجها .. ومع الحديث عن الماضي او لرواة لزوجها والرجل - فحصة او دعصين - ببسدا طامع الاشرار في التنسائل الي وجهها . اشراج مملوء بلجام . اشراج لايبعد مطلقا عن قلبه : قلبي . فهذا المرأة هي تجسيد لكل الصفات التي يعيش بها الرجل الامريكي جالسية المرأة .. كل الصفات ماضيا واحده : التسويج !

هذه المرأة هي التي يوحه لها الرجل الامريكي كل مواطنه سلبس في سن السير طبعا ولكن اسداء من سن الثلاثين . امراء وسط العمر . امرأة بترعلى بملاص كثيرة لها في السينما الامريكية : دوريس داي ولوسيل بول وشيرلي ماكلين ملا . ان دوريس داي هي امرأة غيبه على الطرجه الامريكية . انها « رجل اعمال » ناجح مثلها هي مثلة مشهورة . لقد كانت - في وقت ما - تدبر شركة لانتاج « ملابس دوريس داي » واولادها على نطاق واسع في امريكا ، ولعدة سنوات عديدة كانت مسؤوفا مشيرة في الكتاب وجمهور الاستقبال داخل المنازل الامريكية ، بانتسابتها الكاشمة من مملوء اسبائها - ووجهها الممرض لانتمة الخمس . انها في اقلامها دائما غناء ، معلقة ، برشة ، طريفة ، وان كانت غير حذامة حبا . ان براحتها وطرفها تنمري التهديد غير الجلاء ، ولكنها في النهاية تصبح آمة على نفسها .

ان المرأة الامريكية التي حملت من دوريس داي نجمة مشهورة ، قد وجدت فيها تصيرا من النساء كثيرة مملؤها او متفقدفا ، وهذا هو السبب بعه الذي حمل شيرلي ماكلين هي الاخرى تصبح مجمة في منتصف الخمسينات كاستمرار لنفس النموذج الذي حصره وتطاعه دوريس داي . بان شيرلي ماكلين بوجهها الذي يشبه السيرك تبدو فتاة في الاصل انها لا تشرب ، وعادة تعجها ببحوار طق مكروية وابرج من الخمر ، فتاة تنطبع ان تخلص لمسلتها في الحياة في ثلاث كلمات : التناؤل ، الامل ، الحب ، انها اول نموذج امريكي كبر لفئة منتشرة في أوروبا - الفتاة الوهمية . انها في الحياة الواقعية تناصر الحقوق المدنية وشعوب بالظسفة الهيدوبية « بالمناسة : مرة لكت صحفيا في وجهه . انها دائما تبدو في متاهب . ان الكثرة لا تملك لها في اللحظة الاخيرة بسبب حمرة برشة حادة : غريزة البقاء « انها هائلة ، تمتع بملانة

السخرية القظة ، ونظر لأفقد الأمور وأكثرها ريباً على براده عند يده
 أنها تميز حتى عن المرأة الأمريكية العادية . المرأة التي تقرأ الصحف
 المطبوعة في الصحف ، وتذهب إلى طبيب عصب ، وتستطيع أن
 تتحدث في التفسيريون أمام جمهور واسع من أشبهاء في حياتها لم تكن
 أمها تستطيع الإدلاء بها لأبيها ، أنها تمل المرأة الأمريكية التي
 قرأت في حياتها كتاباً أو كتابين على الأقل في الحب ، وتقرأ قصص
 الملامح ، وتشتري لغة كهربائية خاصة لكي تعطى لزوجها لون
 الشخص . المرأة التي لا تعد صعوبة كبيرة في التميز عن حواطف
 ميكانيكية . المرأة التي تحول إلى الراديو والإعلام لكي تحصل على
 التسلية والآنسة والتمتع والمصطف ، والمجموع . المرأة التي تعلم
 الحب من المحلات وتسحب طفلها الأخير قبل سن الثلاثين وتعمل
 المراسم مع العمل وتكره الإجهاد . مع . في السنوات الأخيرة
 كانت المرأة الأمريكية على رأس اللين ماير لون ضد طبقات الإجهاد
 أن الإجهاد من وقت قريب في أمريكا كان - طبياً - يصير من
 المحرمات التي تتعدى الإطعام فلتتها . وكان تحريم الإجهاد -
 أخلاقياً - يصير جزءاً من القماش الذي يثقب به المجتمع فلتته
 ولكن الآن . بدأت رياح التميز في أمريكا تمزق هذا القماش ، كما
 فعلت في أشياء أخرى كثيرة . لها القاعدة أن معظم الولايات تضرع حرية
 حمل المرأة خارج نطاق الزواج وحد نفسها ، وقبل سن الـ ٢١
 حرية ضخمة بجانب عليها القانون ، والقاعدة أن معظم الولايات
 تسمح بالإجهاد في حالة واحدة ، هي أن يؤدي العمل إلى تعرض
 حياة المرأة للخطر . وخلال السنوات الثلاث الماضية قامت ١٢ ولاية
 - بما فيها كاليفورنيا - بإجراء تعديلات في قوانينها تسمح بالإجهاد في
 حالات أخرى غير انتقال حياة الطفل ، إلى ولاية واحدة - هي
 هاواي - تركت المسألة كلها إلى رأي المرأة وحكمة الطبيب .
 أن الإجهاد هو مشكلة بعدها - بدوجان متفاوتة - في كل
 مجتمع أنه إذن ليس علامة مميزة للمجتمع الأمريكي ولا حتى
 للفئة الأمريكية .
 إذن . . . ماذا يميز الفتاة الأمريكية .

لقد رأينا منذ قليل - دور المرأة في المجتمع الأمريكي ، امرأة
 يعطيها المجتمع لزوجها وحبه وتقبله . . . ولم يكن الرئيس الأمريكي
 الأسبق ثرومان يقصد مجرد العناية عندما قام - أثناء انتخابات
 الرئاسة - بتقديم ابنته وتوجهته إلى الناخبين قائلاً :
 هاكم بنت الرئيس ، وهاكم رئيسة الرئيس

صم ، لم يكن مجرد تكلمة .. ولكنها حقيقة في المجتمع الأمريكي المعاصر ، حقيقة الفراغ التي عرفناها منذ قبل بعد من الستينيات وبعد من الثلاثين . هي الآن دور الفناء الأمريكية قبل من الثلاثين .. كيف نفكر .. كيف نسيطر ألها المجتمع ؟

انني الآن سوف اختار نموذجاً لهذه الفناء الأمريكية . فناء اسمها ستيفاني ، ان ستيفاني هي أكثر قليلاً من مجرد نموذج الفناء الأمريكية الفخمة التي تعيش بمعزلها .. الفناء ليست من الثلاثين ، انها كانت بالية لي موجوده أكثر من أمريكا نفسها . موجوده في نيويورك .. شارع من شوارع الجانب الشرقي بمدينة نيويورك . شقة آتية في عسى من مباني هذا الشارع . شقة لا توجد على حجرة واحدة ومطبخ . الأجر مائة وثمانون دولاراً شهرياً ، هذه هي نيويورك . ان ستيفاني تسكن وحدها في شقتها مثل نصف مئات نيويورك .. عندما أصبحت عنها هنا فاني التحدث عن الفناء الأمريكية ، وعن نيويورك . من خلالها .

ان ستيفاني ليست مجرد شخص واحد . انها قسم - في داخلها - حزمة من أساطير مختلفة ، أحياناً صارمين ، كل هؤلاء الأشخاص يمتلكون جسماً واحداً له عمر واحد : ٢٦ سنة بأكثر ٢٧ .

عندما نتحدث ستيفاني فإن صوتها يرن فيك على الانتباه . صوت لطيف رفيع ، يحتاج إلى أربع أذان لسماعه . ان الصوت يبدأ أولاً في أذن الطرف ، في الوصول إلى أذنك ، على أذنك . صوت منتشر طريف رملي لا يختلف درجاته وانمايه كثيراً في البداية . نادراً ما يصلح الصوت إلى صوت جازم متأكد انه الحقيقة . لعلها تكرر ستيفاني بضع كلمات سوف نراها من الآن فصاعداً ، كلمات مثل « غير مقبول » ، غير ممكن » ، أو تقول مثلاً - « لا تأت نفسها . » كلمات أخرى .. « ، ثم ربما في تأكيد أرائها السابقة بكلمات أخرى .

انه صوت ديكالوري ، ينزع إلى تملكك ، إلى السيطرة على مسامك . انه الشيء الوحيد الذي يتحرك في قوامها التحميل الرقيق وعندما تنلم ستيفاني ، يوجهها المنح إلى الأمام ، وتصرخها الطويل الأسود المنفل على كتفها ، ونظراتها الطيبة على عينيها ، و .. حساً .. أنا لأحب التغيرات الطيبة . .. أحلى هذه النظرة وأسهلها . انها تعلمها معركة كفائية لاشمورية ، أحياناً أخفها أنا قبل ان تنأف ستيفاني الحتمت عن موضوعات عديدة لا الخط غير أطرانها .. اعترفت ان ان أكون طوبحة حفا .. ان أرى طبيعة

جدا .. انها اقصر مسي ، ولكنها طيبة .. تصور ، هلما طلبني في التلفزيون اليوم وردت عليا قد عشت .. انها تصورت أنني لابد أن أكون مريضة حتى أجلس في البيت .. كان يجب أن أكون في المدرسة ، أو العمل .. أنا لا أذكر الاسم جيدا .. تسرب قهوة ؟ .. أنا اضلها بمرسك .. حقاين هؤلاء المتظاهرون في الشوارع .. أنهم يريدون حرق البلد كلها .. أنا أيضا أجد الكثير معاً يستحق السجدة .. تكس لاأحرق بلدي .. هل لذلك فبكرة من الهبوط الذي تم في أسطول البورصة .. فطبخ فطبخ .. «كلمات أحسري ...»

هكذا نشر سيماني في الحديث . أحيانا بعض صوتها إلى درجة التحدث مع نفسها .. نادوا برفع الصوت إلى درجة لتسمع لسماع شخصين . أن صوتها لا يصل إلا إلى شخص واحد فقط . نادوب سيماني لا يتحدث إلا مع شخص واحد . أن الكلمة لا يخرج من فيها إلا بعد احتياو ، بعد تفكير . أنني استطع أن أسمع بأذانها تدق في شرايينها . ربما ها - ها - شمس - تنجر سيماني من بات كثيرات في سنها . شكلها . الباني تشترك فيه سيماني مع أي عثة أمريكية تعيش بين الثلاثين . أنها مجنونة أحيانا . أنها تكره الفقر ، تمشق الموسيقى ، تعجب الراحة ، تريد المعاملة ، تحفظ بقاياها على الأرض دائما ، لديها حباشة وحل الأعمال ، تردد التملك ، أنها تعرف ابن تنحه . لا المشاكل ، ولا المقد ، ولا العقبات .. تستطيع أن تؤثر فيها . أنها أكثر دقة من ساعة سويسرية ، أكثر سرعة من صاروخ . أكثر قوة من ذبابة . أكثر عذبا من نور .. أن سيماني تعمل لتعيش .. وعندها تعيش سيماني فيحب أن تكون للحياة عذبا حتى .

أن معنى الحياة بالنسبة لسيماني يتركز في الأشياء قليلة : الأليس ، الكتب ، الراحة ، النيك ، الرقص . نعم الرقص أنها تريد أن ترقص دائما ، حتى لو كانت مغطاة ، بل - خصوصا عندما تكون مغطاة .

« أنى اليوم جاتمة جدا ، مظلة جدا ؟ »

الهاهول ذلك لم يتسم . انها - باتمتها ، تبدو غير متبالية حاتها ، ولكن ليست جاتمة جدا ، مظلة ، ولكن ليست جدا . قلت لها حنا - هذا معناه أن تقى في المنزل الليلة ، على ساندويتش ويلم في التلفزيون . أن كل فتاة - خصوصا عندما تكون جاتمة « جدا » مظلة

« جيا » تفعل ذلك .. ولكن .. ليست ستيقتي . ان ستيقتي
 - حتى لو كانت عظيمة - تعب ان تسير ، ان تمشي ، ان ترقص ان
 ترى الناس .. انها لا تستطيع احيانا ان تواجه نفسها فتفصل
 ان تواجه الناس . وحفظ اللحظات يجب على ستيقتي ان تقوب .
 لكي تنسى ، لكي تفطنته لكي تتحرك ، يجب ان ترقص .

عندما ترقص ستيقتي فتأخذها لا ترقص بقدميها فقط ، ولا حتى
 بقلبيها وديها ، متحيلة هذه الانانية على قدميها وديها .
 عندما ترقص ستيقتي فان الاشياء كثيرة ، فيها ترقص . كل شيء
 فيها يرقص . عندما اقول كل شيء اقصد كل شيء . عيناها ، قدميها ،
 يداها ، وجهها فمها ، اسنانيها ، اصابعها . لانها في
 هذه الحالة تزداد اكثر ، وكل عضو في جسمها يرقص بالاشارة
 من قائد الاوركسترا ، كل عضو - حتى من غير اشارة - يعرف ان
 الرقص بالنسبة له هو العادة ، اللذون . انسان .

في هذه اللحظات فقط نحن ان عقل ستيقتي ليس في راسها .
 انه في قدميها . وبمجرد ان ينهي الرقص يعود العقل الى مكانه
 .. يعود الى راسها .

ان ستيقتي هي نموذج للمرأة الامريكية المعاصرة . المرأة التي
 تعيش اسرها في نيويورك ولكنها هي تفعل ان تعيش وحدها .
 تسافر شقتها الخاصة في نفس المدينة بعيدا من اسرها . انها
 تمشي جالسا ، انها حرة في حياتها . ولكن الحرية مستوحاة
 المسؤولية . لا قيمة للحرية بلا مسؤولية . انها تستطيع ان تفعل اي
 شيء ممكن . تستطيع ان تصبك ، ان تعك .. ان تقضي عطلة
 الاسبوع معك ، ولكنها لابد ان تفتح لك اولا كصديق .. قبل ان
 تفكر فيك كعاشق ، او حتى كزوج ، انها حاليا تفضل العمل على
 الزواج ، ولكن المجتمع لم يتبعها بالاستهتار . لا المجتمع ، ولا
 الناس ، ولا الاسرة .. يتهمونها بالمخوف او يطلقون على سمعتها
 الاتهامات .

ان ستيقتي تفعل دائما تصبح شخصا آخر .. ربما يكون
 رئيسها في العمل صديقا لها ، ولكن المشافقة شيء والعمل شيء آخر
 .. تلك في المكتب مجدها كأي رجل يعمل من الاثنين الى الجمعة .
 من صباح الاثنين الى مساء الجمعة هي شخص يعمل . يقرأ ، ينام
 سكر .. حتى لا تأخر من عملها خمس دقائق . ان الاسبوع
 بالنسبة لها هو دومان فقط . من الاثنين الى الجمعة .. جدا يوم
 واحد آخر لا يعمل .. يوم من الراحة .. من الرقص ، اللهو ،

التسلية، الخروج بعيدا من نيويورك، الاسرحاء على انعام الموسيقى
ان هذه الحياة ستيغمي - هذه الحياة الفاعلة - تميز المجتمع
الامريكي - ولكنها ليست الشيء الوحيد المميز للمجتمع الأمريكي .
هناك اشياء اخرى كثيرة مميزة . لشيء كثير منها ثلاثة تحديثات
لحبة البيسبول ، سفوتش السحق ، والتوكاتولا .

ان البيسبول هي لعبة قومية أمريكية بقدر ما الكريكت لعبة
قومية انجليزية . والبيسبول لعبة يمكن ان تلعبها أي عدد من
اللاعبين غالبا ، بأي أدوات غالبا ، في أي مكان غالبا . ان صدم
النظام هنا كثير بداية مهمة جدا للعبة . فأمريكا نفسها بدأت بلعبها
نظام على الإطلاق . . . وخلال الخمسين سنة الأخيرة فقط أصبح
كل شيء فيها يجمع للنظام . الفيل والحيات في القلنس، وحال
الإملاء ، الاسدقاء ، والحرار ، والموظفون والفادسون العفد،
النابون ، والطاؤون صبح المصنوع ، ودرع الزهور ، هواة
الصحافي ، حاممو الطوايح ، وفراء الكتب ، انه مجهود لاعطاء مظهر
الاستقرار للمجتمع بدأ بلا استقرار . مظهر من الثبات للمجتمع بدأ
غير ثابت . . . مجهود لخلق النظام في مجتمع آمن طولا بالعوس .

ان الكتاب الانجليزي الراحل يوتونشو دزرامريكا في سنة ١٩٢٣
وفي الزبارة خاطب الأمريكيين في إحدى محاضراته قائلا : انكم اذا
لمحضن الامموتور الأمريكي فوجدتم انه في حقيقة الامر ليس دستورنا
ولكنه عهد العوضية ، انه ليس اداة للحكم . . . ولكنه بضاعة لعهد
الانحط الأمريكي انه لم يحكم ابدا ، وهذا بالضبط حايروده
الامريكيون . لقد انقسم في لغوة فرمكم من الكاثوليين وحكم
الديكتاتوريين محتضا ، كل رئيسي ورديه فيه ديكتاتور ، وكل ممول
ديكتاتور ، وكل صاحب عمل ديكتاتور ، ان كل هؤلاء الديكتاتوريين
يضمون حياة المثل ومخاضهم لعب رحمتهم لعلما ، ولا ينسحبون
لحقو المجتمع الذي يعيشون فيه بأية مسئولية عامة .

ان العوس الذي كانت - فهي الاترايح - من ميراث الانحط
الامريكي . اتعوض وسفوتش السحق والتوكاتولا

الراحل الأمريكي عندما يدخل لانتظاب سوى الهامو حرا او
سدوس سحق . سفوتش مزعج كل مصري في البسندانة من
مجرد اسمه ، ان اسمه هو Hot Dog أي سدوتش كلب
سابق ! مع انه لا يدخل فيه أي قطعة من لحم الكلاب !
والراحل الأمريكي سوف نطعمه دائما مكره الفطسة . وبأكل
سفوتش السحق . ولحبة البيسبول . . . وبأكل السحق . . .

يشاهد التليغريون .. وياكل المسجق .. يأكل المسجق .. وشرب
الكوكاكولا .

إن الكوكاكولا في أمريكا ليست مجرد مياه غازية منتشرة . إنها
أسلوب عمل . أسلوب تفكير ، تنظيم ، ترويج ، رعاية .. وحتى
.. أسلوب أسمر جديد ! وعندما اتفقت عليها الآن بقليل من
التمثيل ماسي اتفقت عليها على هذا الأسس .

إن سكان العالم يشربون الآن مائة مليون رجاجة كوكاكولا يوميا
- أنهم يشربونها في ١٢٨ دولة ، أي أكثر من عدد الدول الأعضاء في
الأمم المتحدة - ١٥ دولة ! لقد أصبحت أكثر السلع ترويجا في العالم
كله . وإذا استحدثت الأسلوب الأمريكي في الكتابة فقولوا قول :
أنا إذا وشما كل الرجاجات التي تم انتاجها من الكوكاكولا بحلول
بعضها غناها سوف تشكل حزاما يلف حول الكرة الأرضية ٢٥٠ مرة ،
أو يصل إلى القمر وسوف مائتي مرة . وإذا وزعت كل
الرجاجات التي تم انتاجها من البداية على سكان العالم الاربعة سوف
يحصل كل شخص على ٢٢ رجاجة !

إن الكوكاكولا ليست أكبر شركة في الولايات المتحدة ، إنها
الشركة رقم ٨٢ في ترتيب الشركات الأمريكية الكبرى ، رغم أن
حقوقها تزيد قيمتها الآن عن أربعة آلاف مليون دولار . الكوكاكولا
ليست أكبر شركة أمريكية ، ولكنها نموذج لأسلوب العمل الأمريكي
وهي - من زاوية اهتمامها - تصاح كنموذج تقايس المجمع
الأمريكي .

إن الأمريكي المبدي قد قول لك بكل فخر - أن مؤسس شركة
الكوكاكولا جاء إلى أتلانتا في البداية وفي جيبه أقل من دولارين .
ولكنه جينا مات في سنة ١٩٢٩ ، كانت ثروته تساوي خمسين
مليون دولار ، وأرباح شركته السنوية تقترب من الـ ٢٥ مليون
دولار ، أن أساسه قتل - هذا اسمه - كان رجل أعمال ، انجرح
أعمال من الطراز الأمريكي . بسد الله ، وأمريكا ، والدولار ،
والكوكاكولا !

هكذا يضرب الأمريكي بفخر . فالأمريكي - في الحياة العملية
- يبحث عن الوصفات الباهرة التي تضمنها له ، وسبق الاملاء
والإعلام لتتجاح . أنه يعطى الشيء الذي يصح رئيس الجمهورية ،
رأى البقر الذي يصح صاحب بنك ، الكاتب المتدني الذي يمتلك
صحيفة ، النحلا الذي يصح مليونيرا .

حس . دعنا نأخذ هذا الكلام على علانه . دعنا نعلم أنه في
سنة ١٩١٩ كانت قيمة السهم في شركة الكوكاكولا أربعين دولارا ،
يسمى أصبحت الآن ٨٥٠٠ دولار .. وإن قيمة مبيعات الشركة

مربوياً هي أكثر وفهم في التطريح (الف مليون دولار) ، أو إن لم يلحقها
السوية هي أكبر لربح (١ مائة مليون دولار) .

بعد ذلك فمعنى استثمار شركة الكوكاكولا - من ملامح التفكير
الأمريكي ، والاسلوب الأمريكي في العمل عندما بدأ إنتاج الكوكاكولا
لك سنة ١٨٩١) فإن أول خمسين دولاراً كسبتها الشركة وبنيتها
الأولى، حصلت منها ٦٦ دولاراً للإعلانات والدعاية . ان هذا يشرح
جزئياً ظاهرة الكوكاكولا . مماثلت أنها مشروب لا يمكن تحميمه ، فإن
الدعاية وحدها هي التي تستطيع أن ترفع المبيعات ، ولكن هذا
يشرح أيضاً دور الدعاية والإعلان في الاقتصاد الأمريكي ، ثم في
الحياة الأمريكية كلها .

إن أهم قسم في شركة أو مؤسسة أمريكية هو دائماً قسم
الدعاية والعلاقات العامة . إن الإنسان الأمريكي بميلته الدعاية
والعلاقات العامة في الاقتصاد هو بلا حدود ، وحتى اليابانيون
وبجور السبعا لهم وكلاؤهم المخصصون في تنمية علاقاتهم العامة
.. حتى المبيعات لها مكاتب علاقات عامة ، حتى الكنائس ، لها
اسلويا هي الأخرى في الدعاية صحفياً وإعلامياً .

والكوكاكولا ليست مجرد شركة تبيع الكوكاكولا . أنها شركة
تمول مبدداً ضخماً من البرامج الرياضية ، نوادي الشباب ، والأعلام
النطيفية والثقافية التي تعرض في الكنائس والمدارس ، كل هذا
جميل وبريء في حد ذاته ، ولكن هذا لا يتم أبداً لوجه الله لو
لثقافته . أنه تشييد مبيعات .. الكوكاكولا تبيع لك فيلبس سفيدياً
حالياً ، أو تمويل برنامجاً تلفزيونياً ، أو تطبع كتاباً تعليمياً لاشبه
الأشكى تعرض لك في كل موقف - ويشكل يمشي عارفاً - تلك
الرحابة المسهورة التي تشرها امرأة - نلداً رجل - تدو عليها
السعادة ! بهذا الاسلوب تمويل الشركات الأمريكية برامج التلفزيون
والاداعة والصحف والأعلام .

ولكن الدعاية وحدها لا تكفي . فالإنتاج معرض للتقليد ، والنجاح
معرض للتقليد ، لهذا فإن أهم عمل عالم هو حماية الإنتاج من
التقليد حماية سر الهوية الإنتاج . لهذا فإن معظم الشركات
الأمريكية تضم أقسام مختبرات خاصة بها للتجسس على الشركات
الأخرى المنافسة وحماية منتجاتها من التقليد ، إن القانون
يحمي كل سر إنتاج من التقليد ، ولكن القانون وحده لا يكفي
في أمريكا . هناك دائماً أسرار الإنتاج ، وأبحاث لتطوير الإنتاج ، لابد
أن تعمل الشركة نفسها لحماية منتجاتها من التقليد .

وفي حالنا السابقة مثلا - شركة الكوكاكولا - نجد ان تركيب الكوكاكولا يمثل واحدا من أدق الأسرار الصناعية في العالم ، ان ١٤ من اذ ١٥ مادة التي تدخل في تركيب الكوكاكولا معروفة فعلا ، سكر مكرب ، كرملة ، كوكا ، كولا ، قرفة ، حورية الطيب ، عصير ليمون ، فانيليا ، الخ ..

ولكن المادة العنصرية عشرة لا يعرفها احد . مادة تسمى ٧ التي مادة لم يعرفها في الشركة كلها طوال عمرها أكثر من ثلاثة ولا أقل من شخصين . انهم لا يسمون بها واحيانا لا يعرفون بعضهم ؟

ان الاحتفاظ بسر الانتاج هو أمر مهم للاناج في أمريكا ادب ، ولاسيما ياتي بعد ذلك سوى الناقصة . مائة مائة . ان قواعد اللعبة معروفة مقدما ، والاميون لا يرجعهم احد . من الممكن ان تصبح شركة اليوم ، وتعمل لها ، لكن : تفسد الشركة ، وتخرج من حلبة السباق ١

واذا عدنا الى مولودها السابق - شركة الكوكاكولا - فاننا سوف نجد انه بعد كل هذا النجاح ، فان الشركة تعرضت لازمة نفسية مدمرة في اوائل الخمسينات ، كانت الشركة في ذلك الوقت تنتج سلعة واحدة هي الكوكاكولا ، في الحجم التقليدي للرجاحة المشهورة ، ولكن فجأة ، بدأ يصيب الكوكاكولا من مبيعات السوق يافس . . . لقد أصبح مشروب آخر - هو البيبي كولا - منافسا خطيرا ، عند هذه النقطة قررت الشركة ان تفسد سياستها المطبقة طوليا في التركيز على انتاج سلعة واحدة . قررت ان تعيد الكوكاكولا في احجام أكثر تطورا . خطوة قررت الشركة سنة ١٩٥٤ بعد هذه الخطوة فقط ، صفحة الاسماء فقط على ذوق المستهلك - فتمت الشركة مرة أخرى الى الامام حتى أصبحت تنتج الان ٢٥٠ سلعة أخرى غير الكوكاكولا ، في خصمالة ميوه مختلفة . ان البيبي كولا تباع الان في أمريكا أقل من نصف مبيعات منافستها ، ومع ذلك فان وجودها في السوق - مجرد وجودها أعطى الكوكاكولا درساً لا تتركه للكسل مرة أخرى .

أما المصنع الأمريكي يستطيع ان يجعل هناك اشياء كثيرة ، الا الكسل ، هذه قواعد اللعبة ، بمجرد ان دخل ميدان التنجيلة والاقتصاد ، فقد أصبحت خاضعا للعبة . بمجرد ان أصبح رجل أعمال على الطراز الأمريكي - فلن يستطيع مطلقا التأكد من صدق أوفقره الا اذا دقت النظر كل يوم في أوراق البورصة . من الممكن

أن تكون مبالغ لحظة وفقر في اللحظة التالية . قلت هذا من قبل . . . أن ممارسة الورقة لا يحكمون على الصحة الاقتصادية للصحة نكية المحاصيل للزراع ، أو لإمداد الإنتاج في الصانع . . . ولكن بما تم إزهاق عليه في الورقة شيء تحت لويته وورائه في الشخصية الأمريكية نفسها .

وإذا دخل أي مكتب في هذه الشركة ، أو في أي شركة أخرى . . . فإن قواعد اللعبة سوف تتضح لك أكثر وأكثر . إن المدير في داخل أي قسم من أي شركة وظفه إن . . . يدبر ، إن سلكه واسعة ومراوكة سريعة إن عليه أن يصرف كما لو كان سيصبح رئيساً لشركته فلما . الواقع أن كل موظف مطلوب منه أن يصرف كما لو كان سيصبح رئيساً لشركته فلما . لأنه لو آمن بذلك .

فانه سيحطم دائماً ، ويسعى مواهبه دائماً ، ويحصل على برامج تدرب جديدة دائماً . باحتصار : فانه إن يصبح رئيساً للشركة . لا اليوم ولا فلما ، ولكن عليه دائماً أن يكون جاهزاً لهذه المهمة .

لهذا السبب غالب من الممكن أن يعرض الموظف - يحصل المدير نفسه - في لحظة ، لا يهتم وجدوا مديراً اكما معه . قد سئل أحد المتمرين مرة ماذا يفعل إذا غلبت أمانك لاساً يحش في أوراني الحب ؟ فأجاب المقامر : ماذا أفعل ؟ أراهن عليه بكل تأكيد .

حسناً . هذا هو نفس الأسلوب الذي يدور به العمل في أي شركة ها . أرمكانك جاهزة فوراً عندما تعتزل ، ولكن مقبولك جاهزة أيضاً عندما تعمل . ثم إن الامتياز ليس هو المطلوب فقط ، ولكن الموظف مسئول عن المحافظة على سمعة الشركة أيضاً ، ومسئول عن إعطاء كل دقيقة من وقت العمل للشركة .

عندما تدخل مكتباً - أي مكتب في أي شركة - فانتك . . . لا مؤاخلة . . . إن تجد شخصاً يدخل إلى مكتبك بعد موعد العمل بربع ساعة أو حتى خمس دقائق . إن تجد موظفاً يشرب شيئاً أو يهوى ، يرمى في القليحون سلفة ، يقترع جريدة من رمله ليتسلى ، يحكي فريله منكله مع زوجته أمس . إن تجد واحداً يقطع نقادة من العمل ، أو يطلب أجازة مرضية ، أو يقترع سلفة من المرب . إن تجد كرمياً يستقبل عليه خيفاً . إن تجد سلفياً يعطيه شتيشاً لاحتضار الفداء . . . بعد هذا لن ترى موظفاً يقف لرئيسه عندما يدخل المكتب ، أو ينحني له عندما يسطه ، أو يقول له - أفندم أو - حاضر ما بك - إذا أراد احترامه لرئيسه مما يجب هذا ضعيف الشخصية ، إذا تعلم في شرح أفكاره فهذا معناه

إن تفكيره مضطرب - أن الكلام الواضح دليل على تفكير واضح ،
إذا أنهى مثلاً بعد موعده عهداً مع كذا - لذا عمل سكرتير أجنبي
أن يرد على اتليغرام واحد الرسائل ويكتب على الألة الكتابة - أن
الشركة ، المجمع ، الناس ، يتوقعون منك أن تكون مطبقاً ..
بسيطاً .. كذا .. مشغولاً بالمثل أن حافلك هو السلطة
والثروة . إن عيبك كبير كل شيء كادوات بأمفك في المناقشة
على السلطة والثروة . ذلك مسئول عن البحث لنفسك باستمرار
عن عمل أحسن ومربح أكثر .

وحيثما تحصل على عمل في شركة أخرى ، فإن الشركة الجديدة
سألك عن خبرتك ، وسألك أيضاً - لماذا تركت العمل في آخر
شركة . أنهم سيقولون كلامك كما هو ، خلال يوم واحد سيأخذون
من صحتك . فكل شركة مستعدة لأعطاك الشركة الأخرى أي بدلات
عن عملك وسلوكك وكفاءتك . وكل شيء ماعداً حريتك .

إن الصديق يأتي في الترتيب بعد الكفاءة في العمل .. شرطان
ضروريان لنجاح الإدارة ، أي إدارة . أن أمريكا كلها هي تنظيم .
هي إدارة . هي مع تنظيم الإدارة . هنا في أمريكا . سوف
تحصل على الاحساس أن المخرج الحضرة كلها هو معبرود تدرج
شركة جبرال مولود ، أو بنك كبير مثلهما . أنه تدرج أي شركة
أو بنك . !

إن هولندا هي بلبل أوروبا .. وإيطاليا هي مصنع أوروبا . وفرنسا
هي كوافير أوروبا وسويسرا هي مصحة أوروبا . وأستراليا هي علم
أوروبا .. والسيلان جرسون أوروبا . وإيطاليا مطعم أوروبا .. ولكن
هنا .. في أمريكا .. سوف نضي أن هذا البنك هو بنك العالم

عندما يصاب بنك في هذا البنك .. تكوى لسان رجل الشوارع
في أمريكا : أسلوب العمل كذا ، أسلوب الإدارة كذا ، هو أسلوب
بنك .. نظام بنك .. أن أي بنك يعتمد على : سمعة ، سرعة ، ثقة
يستطيع أن تأخذها قرضاً من أي بنك غير أي ضمان .. ولكنك
لو تأخرت مرة في السداد سوف ترفض كل البنوك بعد ذلك
التعامل معك !

فن هذا الأسلوب في العمل له ضرورته ، الجيدة في التغطية
الأمريكية نفسها .

إن هذا البنك - أمريكا - قد عمره واستوطنت في البدايات التي
لم يكونوا ماحصين في مواجهة الظروف الاحتمالية بلدهم الأصلي ،
لو كانوا يتفكرون بأنهم يستحقون بها أكثر . أنهم فروا من ذلك

الكاروف املا في حياة احسن . لقد جنوا يمشون من نويش
لحرمان سابي نويش يمشون عنه في اقل وقت ، وبلى لمن .

هذه العملية في حد ذاتها أدت الى بقاء نوع معين من الأشخاص
.. نوع هو الذي يستطيع ان ينجح ويستمر حتى الجولة الأخيرة
يخلص العملية انتقاء واخيار بحريها المجتمع يوما بعد يوم . نوع
من الأشخاص له مميزات الابجدية .. وموهبة السليبية ، انه
مجمع من المهاجرين .. من العظمى .. عطش النجاح ، القنود
للتغيير ، للتقدم ، هذا مصداق ان يستطيع ان يبقى في السباق
هو فقط من لديه كمية هائلة من النشاط ، الطموح ، الحركة
والنفوذ .

ولكن هذا له جوانبه البلية ايضا . فلذا كان المجتمع الأمريكي
قد كسب الشخص الجريء والنشط ، لذا كثر قد كسب نصيبه
الاسد من شخص ، فانه قد حصل ايضا على شخص بلا حذر ..
شخص طموح - نعم .. ولكنه يزعج مواطنه دائما . تمارق -
نعم ، ولكن التمرق منه اهم من المواطن ، الرحمة هذه أسوأ من
المثل ، القتل أسوأ من الموت ، شخص .. المظلم عنده ابرار
.. الوسط . عنده فشل ، الهدوء مهيبة ، الجمودناخر ، والفقر
جريمة ، جريمة شخص لاجريمة مجتمع .

لقد أدى هذا النجاح مهتته . أصبحت أمريكا اقوى دولة الهني
دولة ، أكثر دولة تقدما . لقد أصبح الطل الحد - المبرود
الجديد للمجتمع الأمريكي ، هو الدولار ، رحل الامال ، صاحب
البك ، حلاق الصاعة ، قد خرج رأس المال الأمريكي خيلا
الحدود ، يستمر في أوروبا ، يستمر في آسيا . ويشترى ارفعاء
السياسيين في « جمهوريات الموز » أمريكا اللاتينية .

ولكن من ناحية أخرى - لم يوقف تأثير هذا النجاح عند هذا
الحد . فقد امتد لخلق في المجتمع الأمريكي شياطين أخرى كثيرة
.. التوتر ، البصع المصرية ، المواطن الميكسيكية ، العرق الجنوبية
.. لقد أصبحت أمريكا مجنونة . .. هذه جملة تقليدية سمعها
بأسرار في أوروبا كنصر عن رأي الاوربيين في حماقة الأمريكيين
أحيانا .. لاشئ يبتسم منه الأمريكيون قهر هذه الجملة !

ولكن الحماقة لها جمهور في الولايات المتحدة . ليس لأربك ان
اصغر احكامنا ضد المجتمع الأمريكي لانها في النهاية سوف تكون
احكاما اخلاقية . في الواقع ان الشخص الأمريكي العادي يتمتع
بصفات كثيرة تسحق الإعجاب والاحترام والمهم ولكن المسألة

هي أنك لا تستطيع أن تأخذ فكرة كلمة من أي مجتمع من خلال
اتجاهات المجتمع الأمريكي يراها كل الناس ابتداء من العقل
الالكتروني الى الهبوط على القمر ان الفكرة من أي مصنع لا تكون
كلمة .. الا اذا تمسكت ايضا شرعا لجروح هذا المجتمع .
ان اول هذه الجروح هو العنف .. انتشار العنف . فكل سنة
١٩٠٠ قتل في أمريكا لمائة الف شخص - أي أكثر من قتلها
في الحرب العالمية الأولى ، والحرب العالمية الثانية ، وحرب كوريا ،
وحرب فيتنام .. مما .. !

لقد اقتبل أربعة من رؤساء أمريكا ال ٢٧ لينكولن ، جاريغلا ،
ماكيني ، وكيفي ، ونorris الاغتيال لثلاثة لفرعون . روملت -
ترومان ، هيكسون .

والسبب في هذا كله بعدة في طبيعة وتكوين المجتمع الأمريكي
نفسه . ان الترويج الأمريكي بين لنا ان النمر في أمريكا يكون دائما
بائع العنف . فالمجتمع الأمريكي مجتمع صيف ، ولد في صيف ،
وتطور صيف . وآمن بالعنف ، وعاش ليحس الثقل مرة للعنف .
وفي القرون الخمسة التي مرت على اكتشاف كولومبوس في
للدنيا الجديدة كل العنف جزوا من الحياة الأمريكية كان هالتي
الفرز والمقاومة ، عنف النعمة المنصوبة ، عنف الحرب الإعلانية ،
عنف المجرمين والمصابين ، وفضاع الطرق ، صف جريمة التار ..
ثم كل هذا مما جعلهم الصلاب .. وصف القوية ..

ونستطيع أن نلمس هذا العنف في الاعلام الأمريكية نفسها ..
ان أبطال الشائنة الذين يصنع لهم الجمهور الأمريكي هم هؤلاء
الذين تراهم دائما مشمولين بكل الكلمات للتسرف وجوههم عندما
لا يكونون مشمولين بتقيل الظه . أو الظقة التي تصعب البطل ..
فيقلها هو في اللحظة التالية ..

ان المجتمع الأمريكي كل يحتفظ بالعنف دائما كوسيلة أخيرة
لتصفيه خلافاته وانفصاله .. انه مجتمع يعلم انه من البداية
مشفق على نفسه .. انه يعلم ان أمريكا نفسها قد ولدت في لحظة
الشفاق ، والديموقراطية ولدت في لحظة الشفق ، وان كل رائد
يحمل مصاب على كتفه وتوجه الى أمريكا بثقة في المستقبل مصل
ذلك في لحظة انشفاق على ماضيه .

وهذا الانشفاق فيه اليوم في مظاهر كثيرة في الحياة الأمريكية .
انشقاق مع خيبة أمل .
ان اليمين الأمريكي مصاب بطفية أمل : ان عراهم أمريكا في العالم

تزايد يوما بعد يوم خارجيا ، والود ينتصرون في مقابولتهم
للعرقه النصرية مطليا .

واليسر الامريكى صاحب بغية امل : أمريكا تحول بسرعة الى
مجمع بوليسى ، والاحزاب الامريكى اثبت أنها ضد أى تغيير
جبرى .

البطى ملعودون من اصرار الود على المساواة الاقتصادية
والاجتماعية .

والسود ملعودون من حراسة الرجل الابيض في التمسك
بالعرقه المصريه .

الحيل القديم يريد الاستمرار في الحكم والسلطة ، ورغم كل
التكوارث التى سبها لأمريكا خارجيا ، ورغم كل جهوده لاسكات
الاصوات المعارضة داخليا . انه حيل بلا مادي ولا اخلاقى ولا مثلى
عليا . ومع ذلك فهو املى الاجيال صونا في التمسك بالاخلاق
والثقل العليسا .

والحيل الجديد هو الحيل التظيف التزييف في أمريكا . انه
بواجه الحيل القديم بمطالبه - قوة اقل ، وحرف اكبر ، يورط
اقل . وبيادى اكثر . انه لا يريد لأمريكا أن تكون وحل البوليس
في العالم . يريد ان يمدح مدحوعة من الثقل والملاذى والتقدم بغير عجزه
والقوة بغير صخبه بغير ضرور .

وكل فريق من هؤلاء يحتفظ بالمف كوسيلة أخيرة لتسوية
خلافاته وحساباته مع الفريق الآخر وحتى حينها يتحرك المجتمع
الامريكى ضد الصف . . فانه أيضا يتحرك بصف . أن رد الفعل
يكون متطرفا . . حينها . جامعا . رد فعل تستطيع أن تلصه في
جميع الاتجاهات التى جرت في أمريكا خلال السوات الأخيرة .
فعى كل اتجاهات الرئاسة بشركه اليمين الامريكى بشراقة حاملا
شعار « محاربة الصف » أو شعار « مطربة الحرية » .

لقد كان لارى جولد ووتر مرشح الحزب الجمهورى للرئاسة
سنة ١٩٦٤ رمزا لهذه الظاهرة في انتخابات تلك السنة .

كان الشعار بالنسبة له سنها هو « الحرية في الشوارع » .
وفي انتخابات الرئاسة سنة ١٩٦٨ - التى حضرها وشاهدتها
من قرب - دشح اليمين الامريكى مرة أخرى جورج والاس . لقد
اعطى والاس للفضية اسماعليدا هو « اقرار النظام والقانون » أن
الـ ٢٧ مليون صوت التى حصل عليها جولد ووتر في سنة ١٩٦٤ ،
كانت هى نفسها نقطة البداية مائة لوالاس سنة ١٩٦٨

والواقع ان جونا وولتر وولاس هما شخصيتان نظريديتان في السياسة الأمريكية .. ففكره كنسفة المم سام . فهما مارة عن مزج من الإيمان بالثقافة النصرية والهداء نحو التقدم . وهذا المزج ليس جديدا كالفرة عامة في السياسة الأمريكية .. على الخصيمات كان هناك مكارلي الذي قاد حربا مروعة ضد التقدم الأمريكيين بسببة مطربة الشيوعية في أمريكا . ان مكارلي كان نتيجة التطورت الأمريكي في حرب كوريا .. وكان أيضا رمزا لسقوط وفساد الحزب الديمقراطي .

وفي انتخابات عام ١٩٦٨ كان جورج وولاس هو نتيجة التطورت الأمريكي في حرب آسيوية أخرى . حارب فيتنام ، نتيجة لتدهور نفس الحرب . الحزب الديمقراطي .

ان مكارلي وحوله وولتر وولاس ، يصرون ان من ظاهرة مستمرة في السياسة الأمريكية والمجتمع الأمريكي ، لهذا فان ظهورهم على السرح لا يثير أسئلة ، ولكن ما يجب ان يثير الاهتمام هو التحرف على القوة التي تتأخرهم للتعبير عنها .

لقد حاولت ان اعرف على هؤلاء الناس حينما ذهبت الى أمريكا لأول مرة سنة ١٩٦٨ ، وحضرت انتخابات الرئاسة وقتها . لقد أدت ان اكتشف من هم هؤلاء الذين يجر عنهم وولاس . حينما .. لانظر هناك .

انهم - كما اكتشفت - هم جزء هام من الشعب الأمريكي ، طبقه تقع في أسفل الطبقة الوسطى . ناس يصطون بأجسادهم ، يفكرون بأيديهم ، يدفعون اشتراكات لتأمينات لا تهتم بهم .. ناس يسوقون تآكسيات لو يدفعون في بار . ناس يذهبون للصيد مع أطفالهم في الاجازات . ناس يتناولون أطفالهم الى زوجاتهم بينما يصطون لرشحيهم ، انهم يحاولون عن دينا رتيبة بالاحسان طلبة ، شيوعيون ، صينيون ، النيبوروك لا يمل ، فينل كاسترو ، الروس ، نيبوروك ، السود ، مدخنو الطحترات .

انها دنيا غريبة ، طبقة بالمعورين والمخالفين . اللعورين من الهزيمة الأمريكية في فيتنام . اللعورين من احمرار السود على المساواة بهم . اللعورين من عقوبة الفقراء منصيب في الثروة . اللعورين من سعي الطبقة لتحصين في السلطة .

ان نموذج هؤلاء المعورين هو الرجل الذي « ليس شام » ليس أسود . ليس فقراء . هذا النموذج يعيش في معزلة القماش ، لديه سيفرة ، عليه فرش ، يؤمن بان الضرائب التي يدفعها مرفعة

وان الفجر يريد الحصول على شيء مقابل كسله وان السود يريدون أكثر مما يستطيعون . ان قيادة مليئة بالخوف أكثر ملهى مهيبة بالكرهية ولكن فيها من الكراهية ما يكفي لجعلها خطوة . فنه يريد التبرير . لهذا يعتمد على اليقين المتطرف في اجراء هذا التصور . يعتمد على حركه ووتر دواليس لمجرد انها يقولون انه لن التبرير بسيط . فقط غير الرجل الذي في كرسي الرئاسة فيعود المصمم الامريكي الى سيرة مثل سنة ١٩١٠ انهم يقولون انه ان لورده السود في امريكا غير موجودة !

يكفي انهم يريدون من القائل ، يقولون انه ان حرب فيسبام غير موجودة . تكفي ان تسقط امريكا عندما كانوا من امثال خلعها ، وتسكت كل الاصوات المنقطة داخليا . . لم نالي النصر . يقولون له ان اي عملوا لحرب فيسبام يجب انمحاكسنة بنتها انمحاكسنة بعد جرحه من شعره على انهم الحكمة بمثل منقلعهم يجب ان لدوسه سبلوه البوليس . انهم يقولون له - ياخصار - ان مشاكل المجتمع الامريكي الحاضر لا تصل الى الواقع اية مشكلة . انها جميعا ممكن حلها بدمعهم مزيد من رجال البوليس واتناجسرت من القسابل سداها يمكن للمجتمع الامريكي ان يعود الى سنة ١٩١٠ ، حينما كان هناك حصول في الماء ، وولام في الريح ، حينما كان الاطفال يذهبون الى السباحة في الصحرات وطصور كرا القدم وهم يقولون الله وسحرمون والديهم والولاد وامريكا . ان معظمهم يريد ان يعود الى زمن في امريكا كان يعيش فيه في نفس المنزل طول عمره ، ويطهرون كل شخص يشكك في التفرع . ومن لم تكن فيه فيسبام ، الصين ، الاتحاد السوفييتي ، الشيوعية ، الطبقة . انهم - كمرضى في مستشفى - لا يستطيعون انفسهم ابدا . . هل فيسبام انتهى لامريكا ؟ هل هي مهمة لها ؟ البيت واحدة من الايمان القوية للشعب الامريكي التي يجب حلها ؟ . . ابدا . انهم فقط يريدون انه حصة واحدة : . لقد فقدنا الصين من قبل . . ولن نفقد فيسبام الآن . . يقولون انه ذلك كما لو كانت الصين ولاية امريكية . كما لو كانت الحرب الاحلية الطويلة التي عاشتها الصين لتحرير نفسها هي مجرد مباراة كرة .

هؤلاء هم الالابن النجمة الذين اضفوا لحدود والاس سنة ١٩٦٨ والالابن ال ٢٧ الذين اضفوا اسماءهم لحدود ووتر سنة ١٩٦٤ ، هؤلاء هم الذين سوف يستمرون - مع انهم يناقصون - كثرة ضائقة في السياسة الامريكية لسنوات طويلة مقبلة . انهم يريدون

حرباً مقدسة ضد كل شئ في العالم يختلف مع الأسلوب الأمريكي في الحياة .

هؤلاء هم الذين تناهواهم على أمريكي - جون هيرليك - سنة ١٩٤٧ ، حينما كتب معلماً على موجة طلعة وقبها ضد الشيوعية . أن حقوقنا من الشيوعية سوف يستمر في الإبقاء لنا سياسات مدوانية معادية للشيوعية في آسيا وكل مكان آخر . وسوف ينتقد المنصب الأمريكي إلى أن يفكر - وربما يعتقد حقاً - أن مسألة الحكومات المعادية في آسيا يمكن ما دفاع عن الأسلوب الأمريكي في الحياة . أن هذا أخطر من السياسة الأمريكية إلى أن تقيم نظماً تحاول إخماد الحركات الشعبية في اندونيسيا والهند الصينية ، والفلبين ، والصين ، وكملاً . . بعد الوقوف لمعارضة الشيوعية في آسيا ، سوف يفسد الشعب الأمريكي في النهاية إلى معارضة شعوب آسيا .

أن هذا الحرف الذي سببه المعلق الأمريكي بالقرن الممرد ميكروا في سنة ١٩٤٧ هو الذي يجعلنا نفهم مودة اليمين الأمريكي إلى الصف عقب كل فترة من الهبوط ، أن ميكروا وحولك دور ووالاس لم يكونوا الذين ساء في هذا الرغص الأمريكي ، ولكنهم كانوا واحداً من أمثاله .

أن الرغص الحقيقي بعد ذلك في المجتمع الأمريكي هو التفرقة العنصرية حتى الآن - حتى هذه السبة - مزال الأمريكي الأسود يعيش في أحرار كثيرة من أمريكا كمواطن من الدرجة الثانية . في الوظائف ؟ آخر من بين وأول من يصل . في الطلبة ؟ لمرسة تمطله هي فرسة الرجل الأبيض في الأجور ؟ آخره هو نصف آخر الرجل الأبيض . في نيويورك جيش مصاب في خاص به هو في هارلم .

أن في هارلم في نيويورك مشهور بأنه في الربو ، ولكنه في الواقع ليس أكثر أحياء السود بؤساً . أن هذا « الشرف » تحظى به أحياء أخرى كثيرة غير في هارلم . لما في هارلم فهو العاصمة الرسمية ، مثلما نيويورك هي العاصمة الأمريكية غير الرسمية . أن الإحصائيات تقول أن ٥٠٪ من الأسر الزبجية لها دخل دخلها السوي من أربعة آلاف دولار ، بينما تنخفض النسبة إلى ٢٠٪ في الأمر الأبيض .

وقد كان الرئيس الأمريكي الراحل جون كينيدي يقول مستنكراً أن الفعل الأمريكي الأسود - يعرف أكثر عن مواهه - لديه

أحسبها نصف قرصية الطفل الأبيض و النخرج من مدرسة عليه فتمدرسته في النخرج من كلية ، ربع مدرسته و الحصول على وظيفه ، وأربعة أضعاف مدرسته في التمثل .

إن هذه المشكلة هي التي حطت أمريكا من البداية بها منقسم الشخصية ، هناك دائما أمريكا البيضاء ، وأمريكا السوداء . إن أمريكا لم توقع الهدنة قط بين هاتين الصورتين المتطرفتين . وأحيانا - كما حدث مرة من قبل أثناء الصراع الزير بين الشمال والجنوب - وصل هذا الصراع إلى قمته في الحرب الأهلية . حرب كانت تمثل لحظة التواجه بين الأمريكتين .

إن تاريخ أمريكا كله ليس إلا طريقا لمحاولات التوفيق بين هاتين الأمريكتين . أمريكا البيضاء ، وأمريكا السوداء . إنه توفيق لايسم ، وصالح لايشهد .. لأنه يتحرك على أساس التصايد . فما دام الأمريكي الأسود هو الأضعف اقتصاديا فإنه لن يحصل أبدا على المساواة الكاملة مع الأمريكي الأبيض . مادامت جبرائيل الرغبي حية .. فلن نمرض الرغبي مستمرة .

بل إن أمراض هذا الرغبي نفسه أبدت تمهيد طاعانات أخرى كثيرة في المجتمع الأمريكي . إن الجيل الأمريكي الجديد - في عروة من الاحتجاج الأخلاقي ضد أمراض المجتمع الأمريكي - بدأ يحصل لواء المعرفة ضد هذه الأمراض - إنه كما قلت من قبل - يريد لأمته الشرف حتى يصير مرء .. بعد أن أصبحت أمريكا قوة . يصير شرف . إنه يتشاك دائما قد غرونا النضاء ماذا من النوع ؟ وسأبيل أيضا ؟ أننا نتحصل لأمنا .. فلماذا لاتحصل أنفسنا .. لماذا لاتستطيع ملتنا اليهود الأمريكي أن يستعملوا بعضهم ؟ »

إنه جيل جديد يريد أن يفضل فلاذورات اليمين الأمريكي جيل منه لأمراض مجتمعة ، متطلع للاحها . هذا هو الجيل الذي وقف بقوة ضد رئيسه حينما قرر غزو كمبوديا بنفسها ، جيل يعرف المشكلة .. ولكن ردود فعله تختلف كثيرا في مواجهة هذه المشكلة .

إن بعضهم - بعض الشباب الأمريكي - يخرج في مظاهرة ، وبعضهم يتحول إلى هيجز كما يصعبونه في أمريكا . إن حركة الهيبيل انتشرت بين الشباب الأمريكي - المتعلم باللات - وتتميز بها هنا في أمريكا بالانحلال وعدم إيمانهم بالقيم التي تعلمت عليها المجتمع الأمريكي . وأنا ضد هذه النظرة السالبة في بلاد كثيرة - ومن بينها

مصر - التي ترى حركة الهيبيز في هذا الإطار .. الإطار الذي يصرها حركة أنطاليه كل مقوماتها لمطل المحدرات وإطالة الشعر وممارسة الجنس ، إن هذه المظاهر صحيحة .. نعم . ولكني أخلف في تصورها .

إن هذه الحركة هي وجه آخر للتفشي الذي يشعر به الجيل الأمريكي الجديد . يجب أن نفهم أولا أن هؤلاء الهيبيز هم أولا ساخطون ثم بعد ذلك يختلف معهم في كل شيء . تختلف مثلا في أن الفرد حيسا مستقل نفسه من المجتمع - فتعطي المخدرات هو سقوط من المجتمع - فانه بذلك لا يصل مشكلة ، ولكنه يطبق مشكلة ، أنه لا يعدم خلا .. ولكنه يعارض خلا سلبيا إذا كان السلبه خلا على الإطلاق . أن الهروب ليس خلا ، الفرار ليس خلا ، السيف من الزمى ليس خلا . أنه فقط .. غياب من الوعى .. من الواقع ، من الحقيقة . أنه بضرب اللوس عسكى - مجرد « أحازد كيميائية » وأحدها الفرد من الواقع .

لقد حاولت مرة أن ادخل النيبيا التي يعيش فيها هؤلاء الهاربون من الواقع . هؤلاء الهيبيز ! كتابي بيويوك . معصومة من التنبأ في هذه النشلة . خليط مشترك من التنبأ والشباب . بعضهم طومل الشعر ، بعضهم عارى الصدر ، بعضهم كثيف الشارب ، كلهم يحمل الماريجوانا !

إن الماريجوانا هو النوع المنتشر حاليا من أنواع المخدرات في أمريكا . إن « نعصرة » الماريجوانا التي توضع في سيجارة واحدة ملفوفة تتكلف ٧٥ سنتا ، حين فرشا سعر السوق السوداء في القاهرة ، خمسة والأربعين قرشا يقسم الرسمي .

ولكن السجائر ليست هي الوسيلة الوحيدة لتدخين الماريجوانا .. لقد اخترت وسيلة أخرى عندما دجيت إلى هذا الحقل : « حورة » نعم « حورة » كاني يستعملها أى جنشاش ، بعد إضافة التكنولوجيا الأمريكية إليها . أنها بعد هذه الإضافة - لم تنجح حورة تماما ، لقد أصبحت دورقا زجاجيا بالقوة عند الرقبة - بقوة يفرغ منها خرطوم من خرطوم لك ، والنتي لفتاك ، أو زميك في التدخين ، داخل الآلة الزجاجي خليط من القهوير أو أي خليط آخر يختاره المدخنون . بعد ذلك معروف : المدخن ، الماريجوانا ، النار ، التدخين .

كانت التجربة جعجة بالنسبة لي . تجربة ترددت فيها أكثر

من مرة ، الى ان هزمى حب الاستطلاع في النهاية ، وها أنا الآن في وسطها . قبل ان يبدأ التفتيش .
 عندما تفحص المارجونا - هكذا قالت في الفتة للفتة بجانبي -
 - امسك بهندة .
 ما هذه ؟

- هذه انبوبة تظر منها الى الفتة والناس والاشياء من خلالها . انبوبة ترى من داخلها الشيء الواحد مضروبا في ستة .
 الكرسي تراه ستة . الوجه تراهم ستة .. وهكذا ؛ مخلوق الدنيا ..
 مقيم ..

ثم .. ؟ استمع الى هذه الموسيقى .. سوف تكشف الان ان الموسيقى قد بدأت فجاءتصح اكثر عظيمة . موسيقى العفاسي ..
 انظر الى الانبوبة .. تامل في رأسك . تحول الى النابضة ..
 انظر الى السماء .. ان النجوم الواحدة في السماء سوف تراها خمسين ، اقر قمرين ، النجمة بعينين ، و .. و .. و ..

ولم اشعر بشيء من هذا كله . كان الصداق في رأسي اكثر وجونا من أي شئس لو فكر في السماء .. صداق ، صداق ، صداق ،
 صداق ، ثم رغبة في الفهم .. ولكن ، لاشيء من الفتة ، لاشيء من الفتة لاشيء حقيقي من هذه الاوهام ، هذه الاحازات الكيميائية ،
 كل شيء خرج من رأسي ماعدا حقيقة واحدة : ان هؤلاء الهاربين من الواقع ، ليسوا ظاهرة معزلة .. ولكنهم يمثلون عملية سقوط سلبي من المجتمع . هؤلاء الهاربون مؤلفات . ففهمهم مجلة « تايم »
 الأمريكية بطيويين من الشباب .

ولكن الشباب الأمريكي ليس كله من هؤلاء . ليس - حتى - معظمه . ان معظمه اكثر انجابية وتربيا لواقع . انهم يريدون تصحيح الاخطاء الضرورية في المجتمع الأمريكي . انهم - مثل جميع حركات الشباب في العالم - حركة لم تقدم البديل للامر الواقع . ان كل ما هو موجود هو في رأيهم موجود بخلل . حسنا . ولكن ما هو البديل ؟ هذا السؤال ليس من مهنة الشباب الاجابة عليه - انهم - يحلمونهم المبكرة وخبرتهم المحدودة - يعرفون فقط ما يقعون ضده . ولكنهم لا يحفظون بصورة واضحة الاممخ لما يقعون من اخطأ ليس هنا خطأ ، ليس هنا مجرا . هذا شباب .

ان الامل الوحيد لتصحيح المجتمع الأمريكي هو الشباب الأمريكي .. انهم شباب يرى ان الانسان المعاصر أصبح قريب التشبه

بالصورة التي رسمها هكسلي له في روايته « عالم جديد شجاع »
إنسان : يأكل جيداً ، يلبس جيداً ، يملس الجنس جيداً ، ومع
ذلك فهو بلا روح .

==

والذا كنا حتى الآن قد استعرضنا الجاعات قطاعات كثيرة في
الاحتجم الأمريكي ، فهاكأل ابعنا القطاع الأكبر ، الذي يشكل
الاعلية . أن نموذج هذا القطاع هو « الرجل المتوسط » .
أن معظم سكانك اليوم سوف يكون مع هذا « الأمريكي المتوسط »
أمريكي الطبقة الوسطى . أنه قد أرسى اقتصاديا الطبقة الوسطى
ولكنه يسمي إليها بأفكاره وهمومه . لن « الأمريكي المتوسط هو
— فوق كل شيء مفهوم عمل ، وضع أخلاقي ، حالة نفسية ،
محبوبة من القيم والأعراف والبول . بهذا المعنى سوف يمثل
« الأمريكي المتوسط » بالنسبة للمهاجر دائما نصف النصف الأمريكي
قريبا . أنه قد يكون دينك في السمل ، أو حركه في المكان ،
أو الناحية في معارك المعضل ، أو أم الحياة صديقتك ، أو صاحب
النسرل .

أنك قد تعرفه بما ليس فيه أكثر مما تعرفه بما هو فيه . أنه
ليس غنيا ، وليس فقرا . ليس متفقا ، وليس جلفا . أنه يكره
العنف ، يخشى التغيير ، يتطلع إلى الثروة .
أنه يؤمن بالديمقراطية ، الحرية ، المستود ، وبعد الله —
مع أنه قد ينسى صلاة الأحد من أجل برنامج تلفزيوني ، أنه
يأكل جيداً ، يسكن جيداً ، يتسلى جيداً ، يعمل بمهنة ، ويحلم
يبيت في ضواحي المدينة .

أنه قلق ، ولكن أمامه صناعات ضخمة كالمه تعيش على هذا
القلق : السخاير ، التروبكات الروحية ، الإللام ، التلفزيون
الاعلاب الرياضية ، الناصيب ، المظاهرات .. الخ ..
أن شيئا في العالم يجب ألا يزعجه في أحزنه الأسبوعية .
لذا واقع في هذه الإحزنة فإنه دائما يسألك « هل أصبحت
أمريكا ؟ » أنه يصبح سعيدا لو أصبحت . ولكن يتزوج جذا ألا
قلت له أنها لم تصبح . في الواقع ، ربما يشعر ضووه من الآن
فصاعدا بشيء من الجفام .

أنه يسألك أيضا : « ماذا في هذا العنف بالجامعات ؟ أظني
لا أرى دائما أبدا لثوهم على أمريكا . لانا الخوف ؟ من نكاف ؟
من الحكومة ؟ من البوليس ؟ من الكونجرس ؟ » . لا . لا .

عليك ، هل رابت بنات البشر يكسون وزوجته في التشاريون
أليس ! هل يخاف الإنسان من رجل هو رب لهذه الأسرة ؟ »
أنه يجب أن يهاور لأنه أب في كرسي الرئاسة - يكره لرومان
لان « - العمل كبير عليه » يجب بكثيرة لأنه لا يفر عن الحكم
الامريكي) - يكره جوسون لأنه يتصرف كرئيس يفر .

ان هذا الامريكي التوسط له مفاسد التي يحكم بها على الاشياء
دائما . ان الصورة الرومانسية للانسان في رأسه هي فرد عند
الظروف ، شرط ان يجمع هذا الفرد في النهاية عند الظروف .
ان القتل بالحسبة له هو خروجك من القالب قبل الجولة
الآخرة . القتل هو ان تبدأ في اليأس أو الفضي في قواعد القالب .
أما النجاح فهو فخره على التكيف مع الظروف . النجاح هو ان
تبدأ من الصفر .

أنه يقرأ النيويورك تايمز - أحيانا القلي نيوز - ويحب الغلام
المشغرات ويحب الكتب التي تحدثه من أمريكا سنة ٢٠٠٠ ،
ويخرج الى الريف في الأعياد ، ويصعد باليوم مصور عن كل
رحلة ويظم بجولة حول العالم بعد التفتت .

أنه عندما يشعر بالخوف يتحرك الى اليمين بسرعة . وعندما
يشعر بالطمينة يتحرك الى اليسار ببطء . في الأزمات يصبح
متطرفا . في الرخاء يصبح سعيدا .

أنه أحيانا يشعر بالجماع - أحيانا يرى نفسه عاطفية صاعدة
في أمريكا . أنه يفكر في التفتت ويحس بالخوف ويرجع من
التفتت الصفر ويحس من تعليم الجنس لأطفاله في المدارس ويقف
من احتمال تطعيم الأطفال في الطائرات ، مبنس من خوف
صونه في السائل السلية الكبرى .

ان كل القضايا الكبرى لها دائما معنى شخصي بالنسبة له .
ان المنزل والأسرة هما بؤرة اهتمامه ، وكل فلسفية كبرى يجب
ان تفسر على ضوء علاقتها به شخصيا وبشرته . ان التفتت
منه فطنة لهم القل ، والجريمة مناعا فقل على طرفة المصير
منه وجوهه من القردة .

لقد جاء منكسون الى البيت الأبيض لأنه وعد بكل لكل هذا .
لقد فرد جوسون من الرئاسة لأن من يعلق مشكلة ان يكون
قائدا على حيا . لقد صلي خوفا على حياة طامم يوليو ١٢ لانهم
صورة للرواد في حياته ، لقد اختلف مع أنه أسس لأنه جميل أنه
بكي طوال النساء . لقد أصلي لأنه لا يهاور ، ولكنه صعب

نبيل لمستزوج اكثر من اصابه بنيكسون ، ويجب حين واين
اكثر من ملون برافو .

انه يرسل من جيبه برفية تعزية لجالين كينيدي بعد مصرع
زوجها . ان كل شخص يفتك بشراء سيارة اديت ، ويجعل
زوجته سعيدة ، هو شخص صالح - في رايه - لعضوية
الكونجرس . كل شخص بدا من الصغر وتعدى الظروف هو
مرشح صالح لعضوية مجلس الشيوخ .

انه دقيق في مواعيد وشطوف بتجديد حياته وحريص على
تذكر عيد ميلاد زوجته . انه يلف بالصف الطويل في عز البرد
كل كرسى مجلس لكي يدخل « راديو سبي » في نيويورك ، ويرسل
بلاغات التهنئة لاصدقائه في اعياد الميلاد ، ويغني النشيد القومي
في مباريات كرة القدم ، ويتبرع بدولار من اجل نجاح مرشحه في
الانتخابات ، وخمسة دولارات من اجل بناء كنيسة ، ولخصم
دولارا لانقلا طلبة مريضة من الموت .

انه لا يعمل لغير . . ولكنه يجتر لاساة .

ان حجم أسرته محدود ، بالكثير اثنين او ثلاثة . . ان اسرته
صغيرة وشاغلة بهم وحركته سريعة واولاده يعتمدون على انفسهم
صد صباهم المبكر . ان زوجته لها نهضة عنده لانها زوجته . .
وليس لانها ام لاطفاله .

انه يدخر لشراء حدة لزوجته ، وشراء سيارة جديدة . .
والقيام برحلة حول العالم مع التقاعد . ان قصة كفاك في
الحياة تسعد اكثر واكثر مما تسعد شهادتك وامرارك بدهشه
اكثر من استمرارك وشخصيتك لصبية اكثر من اصل اسرتك .
انه لا يعد مانعا ابدا في ان يدا من جديد . . ويعرف كل شيء
جديد . . ويعود على كل شيء جديد . . ويبدا في دراسة شيء
جديد في سن الستين .

انه مستعد لارتداء اي شيء . . والتحدث في اي شيء .
وتجربة كل شيء .

انه يفكر دائما كما لو كان يعيش بمعزلة وسط قلوة خالية
من السكان .

انه يدخر عكس التأمين على حياته وروحه وسيارته قبل ان
يدفع ايجار المنزل .

انه يقول لك ان في امركا الآن حالة آلف شخص تزيد ثرواتهم

على مليون دولار . لهذا لا يرى معنا ابدا في ان يكون هو رقم
واحد بعد المائة ألف !



انه يؤمن بالمسيح والتكنولوجيا . بعد المغرور والبولار ..
يمضي من أجل الحصول على الثروة الآن والفران فيما بعد !



ج . . . هذا هو الرجل للتوسط في أمريكا . هذا هو الإغنية
هذا هو المستر أمريكا . . . الذي متقابله زميلا في العمل أو
وكيلا أو صديقا أو مجرد جارك في الشقة التالية .
بعد ان تتعرف على هذا الرجل - على مستر أمريكا هذا -
تستطيع ان تبدا في التعرف على الحياة في أمريكا وعلى المربين
في أمريكا .

العلم سكر - مهاجر رغم أنفه !



سافر العلم سكر الى نيويورك !

ان العلم سكر - هذا الشاب الذي يصل في محل جيزة في
بولاق بالقاهرة - هاجر الى امريكا ! انه لم يقصد الهجرة .. ولم
يقصد امريكا .. ولم يقصد اي شيء الاثر من العودة الى
دكن الجزيرة في بولاق بالقاهرة . حيث يبيع اللحم ويدخن
التبغ كل يوم .. بالسيجة في يده والطاقة البشري على راسه
والجنياب المنوح الصدر ذي الاكمام الواسعة فوق جسمه
جسم ضخم يدل على الرجولة المظنة .. من وجهة نظر العلم

سكر . رجوة . رمز اليها هذا الشراب العظيم الذي تستطيع
ان تراه في وجه العلم سكر من مسافة بعيدة ..

بهذا الجسم اصبح سكر جزاء ، وعطما .. وكل شيء يعظم به
منذ الطفولة ! ان كل واسمائه في الحياة هذا الجسم مكتفين
يقف عليهما تاسدان . وذراعين يقف فيهما جبالان ، وشراب يقف
عليه صقران .. الى آخر الصورة التي يصير عنها ذكرى احمد
في الافنية المشهورة .

ان العلم سكر لم يقصد ان يهاجر .. ولم يقصد ان تكون
هجرة الى امريكا .. انه صفيا .. لا بصرف ابن نوجد امريكا
هذه . ان كل ما يعرفه في هذه الدنيا هو المسافة بين محل الجزيرة
التي يوصل فيه . وبين البيت الذي يلجم به في حي بولاق ..
بالقاهرة .

ان كل ما يعرفه العلم سكر هو محل الجزيرة .. والكرسي امام
الدكان والشيخة امام الكرسي .. وورقة الياقوت التي يشتريها
كل يوم .. وكوب العرفسوس الذي يشربه مرتين في اليوم . .
والبيب القمر - قمر الدين بني - التي تنمطر في عثيتها امام
المحل كل يوم . البيت عزيزة .

« يا صلاة الزين .. يارب نوصدنا .. يارب نوصدنا وتعمل
المراد .. » هكذا كان العلم سكر يحتم كل يوم بصوت نسجه
بب الجيران القمر - عزيزة - عندما تمر امامه مرتين في النهار
.. ربما كان مرووحا هكذا لايم الا لاجود سماع كلمات العلم
سكر .. انه شاف ، جزاء ، قوي المسحة ، مقتول الشراب ..
انه ليس صاحب العمل بعد .. ولكنه يصلم بذلك يوما ما ، انه
يرى في عزيزة كل العسالة التي توجد في العالم .. عندما تمر
عزيزة امامه .. بالشيشب في قدمها واللبان في فمها .. والكحل
في عينها .. والرفق على وجهها والملاية خلف فوق جسمها فان
الانشراح ينطق من كلماته والهمة تفر الى صوته ، والسرور
يشع من عينه « يا صلاة الزين ، النبي تبسم .. يا ارض
احرسى ما عليكى » .

كيف تحرمها الارض وعزيزة تسير فوقها بصم هزار
حس رافعى ؟

ولكن الواقع انه كان دحسا ماذلا . عسفا يرقص جسمها

يرقص شائره . عندما حصرها بين قفيه . عندما يلوى
وسطها يلوى خرطوم الشمس في يده 1

xxx

تم .. اخشى هذا كله . لم يعد يلوى في العلم سكر نوى
حوى امعانه . ان الجوع صعب والاكل ظهيل والنعوذ غير
موجوده . والحرية في بلاد الحواجات صعبة .. خصوصا عندما
تكون هؤلاء الحواجات امريكان ! ان العلم سكر لم يترك مطلعا في ان
حظه سوف ياتي به الى هناك الى نيويورك .. ان كل ما كان
يكرهه منه مسيحي - عندما كان في امساره - هو ان يصيح
لرؤه صود بها الى حي يولاف ليقيم فيه حفل التمرارة لشرية
به واللب عزيره لكن «روحها» . هذا كله ما دار في ذهنه يوم
ذهب يتطرق في صفوف قوات الجيش الانجليزي التي تصطب
باصرار ضد قوات المحور في تلك الايام السوداء من ايام سنة
1941 . فقد تطرق في صفوف الجيش الانجليزي لانه سيجع من
رفاق له حادوا من الل الكبر من التروء التي يعتقدوا كل من
يحمل سهم في الجيش البريطاني ، وسافر بعد ذلك في مطبات
الجيش البريطاني .

بهذا الهدف - هذا الامل - دخل العلم سكر منظوما في صفوف
الجيش الانجليزي شهر ، شهران ، سنة اشهر . لم يعبه على
ظهر سعية انجليزيه محطوه في البحر الاحمر . شهران آخران
به انقلب السيف الى العيل في المحيط الهندي يوم .. يومان
.. ثلاثة .. ثم وقع المحذور . فقد ان تم تحويز السعية في
احد موانئ جنوب افريقيا .. استطاعت الدوايح الالمانية ان
تكتشف هذه السعية العديدة الانجليزية و .. اسلمها في مقتل !
الآن فرقت السعية ، غرق البحارة . غرق كل نوى . ثم
بكن السعية هي وحدها التي فرقت .. وانما غرق معها ايضا
في تلك البقعة من المحيط الهندي . كل تلك الابل داخل العلم
سكر .. كل امل في التروء ، في محل الجزيرة ، في مزيرة .

xxx

ان العلم سكر - الله وحده يعلم كيف ولماذا - استطاع النجاة
مع سنة آخرين من الحفرة . هؤلاء هم بقايا السفينة
العربية الانجليزية الضالعة . ان الله يعلم ان مزيرة تعيش الآن في
يولاف دون ان يقول لها احدها يا صلاة الزين .. يا قصر ..
يا قصر الدين ! ربما من اجل هذا - من اجل هذا فقط ..

صمم المعلم سكر على الاتجاه بجلده من الشمس الحارقة واليه
اللاحقة في تلك العمة السوداء من المحيط الهندي . ربما من أجل
هذا فقط .. فقلت الحياة تدب داخل ذراعي المعلم سكر وهو
يصارع الموج سائما في اتجاه لا يعلم بالضبط أين يمكن أن يقوده
.. ويبحث عن شاطئ لا يعلم بالضبط متى يظهر في الأفق .
ومع الانعاس قبل الأخير من حياة المعلم سكر استطاع أخيرا
أن يرى من بعد شيئا يشبه الشاطئ . أي شاطئ ؟ أي
أرض ؟ أي قطر ؟ أنه لا يعلم بعد ..

إن كل ما يعلمه أنه بعد ساعتين أو ثلاثة استطاع أن يصل إلى
هذا المكان .. وإن يأكد نفسه أنه أرض ، عليها ناس ، ثم إن
هؤلاء الناس ستكون في دولة أسعد جنوبا أفريقيا لا سيمعان الله
.. يحيي العظام وهي رميم ؟

هذا كل ما يذكره المعلم سكر . أنه يتذكر فقط أنه كان في
ذلك اليوم مجرد رميم .. أقل من رميم . وإن الأمل الذي فرق
عه في المحيط الهندي قد عاد إليه الآن من جديد . الأمل في العودة
إلى جزيرة .. داه ومان على القمر .. صبر الدين الذي يتمنخل
في بولاك .. كيف يصل المعلم سكر إلى بولاك ؟
.. أين بولاك هذه ؟

.. في كايرو يا خواجه .. أنا أصلي من كايرو ..!

وبمجهود غير قليل استطاع المعلم سكر أن يطمح أخيرا من الناس
الذين سألهم أن الوصول إلى كايرو من جنوب أفريقيا يحتاج إلى
ركوب باخرة ، أي باخرة فالواخر التي كتب اسمه من حوب أفريقيا
إلى قناة السويس وقها كفت كثيرة . إن المعلم سكر لا يستطيع أن
يركب باخرة .. فلا توجد معه قود .. ولكن .. هل علم وجود
التقود يبع الإنسان من النسل إلى أي باخرة ليلا .. والاختفاء فيها
إلى أن تبحر .. فتصبح المسألة أمرا واقعا ؟ حوصلوا إيه بضئ ؟
يرموني في البحر ؟ يرموني .. !

وركب المعلم سكر الباخرة ، أي باخرة .. لا يهم ، فكل البواخر
لا بد أن تؤدي إلى كايرو ! يوم .. يومان .. أسبوع .. متى تصل
إلى بولاك ؟ إلى كايرو ؟

.. كايرو من بلستر ؟ الباخرة دي رابطة نيويورك ؟

نعم ! يو إيه ! نيويورك ؟ أين توجد نيويورك ؟ إن المعلم سكر
لا يستطيع أن يسأل كثيرا .. إن لغة الانجليزية لا تزيد على تلك
الكلمات القليلة التي استطاع أن يلتقطها خلال شهور تطويعه في

الاستول البريطاني . وحى لو كان المعلم سكر لاستطيع ان يسأل ..
 بلغة انجليزية محقولة - فانه ايضا لم يكن سيصرف بالضبط اين
 توجد نيويورك هذه . ان المعلم سكر يعرف القديس بالجملة . .
 ولا يعرفها بالتفصيل . انه يعرف فقط ان العالم يعيش فيه جسدان
 اولاد عرب . . واولاد امريج . . ان الانجليز والالمان والاطليان وكل
 شخص اخر ليس ابن عرب . . هم اولاد امريج . . خواجات يصى !
 انهم على السجدة الان يقولون للمعلم سكر ان هناك بلادا اخرى
 غير بلاد الانجليز اسمها بلاد الامريكين . . وان هناك مدينة اخرى
 غير كايرو اسمها نيويورك . . لا . . لا . . الان سيدخلون مع المعلم
 سكر في التفصيل . . كلام لا يفهمه المعلم سكر . . ألم امل لك انه
 يريد ان يعرف العالم بالجملة . فومها ايه التفصيل دى بقى !!
 ولكن المعلم سكر لاستطيع ان يقول . . ان عليه ان يعرف
 الان كم لبعث نيويورك هذه من بولاق . . من كايرو . . !
 . . لبعث كثير . . كثير قوى يا صيتر . . كلها كام اسبوع وتوصل
 نيويورك !

وتعلم المعلم سكر بلغة لا يعرفها احد على السجدة غير . . يا معلم ؟
 يا معلم ؟ الواحد سوى يروح مصر . . يلقى نفسه رايح بلاد الامريكان ؟
 هم الانسان ما تم يعلم !! ؟
 ولم يكن أمام المعلم سكر معر . لم يكن يستطيع ان يخبره . انه -
 في مثل هذا الوضع - لا يملك سوى حلين اثنين فقط - ان يلقى نفسه
 في المحيط الذى تسمى فيه الناحية ، او ينظر حتى يصل الى نيويورك
 هذه . . لعله يجد قطارا هناك او حى « اونوبيس » يوصله الى
 بولاق . والله زمان يا مزيه ؟

xxx

في مساء نيويورك . . يسأله الضابط المخلص :

- عمك يا سيور ؟

- لا .

- اسمك ايه ؟

- سكر . .

- سكر ؟ ده اسمك انت شخصيا ؟

- ايوه .

- طيب . . اسمك بالكامل ايه ؟

- سكر محمد سكر !

- ايه اللي جالك ؟

في البداية لم يستطع المعلم سكر أن يروي . أن اللغة لا تسفنه . .
بعد قليل استطاع بكثير من الإشارات وبعض الإنجليزية وقليل من
العربية . أن يعطي لمسلط الجوازات فكرة ما عن حكايته : انجليز . .
اسطول . . بحر . . اللان . . طاح . . غرقنا . . شاطئ . . كايرو . .
. . نيويورك . . خواجات . .

وبشكل ما . . لم تصور صابط الموازات أن سكر لا يملك في
حييه شيئا . . أنه لم تصور ، أو لم بشأن تصور . المهم . . أنهم
اعتدوا له أوراقا مؤقته تدلته عن حوار السر ، وأعطوه مهلة ثلاثة
أشهر . . جالرو نيويورك بعدها . . يعادوها إلى كايرو . . أو إلى
أي مكان آخر . . لا يهم .

ومكر المعلم سكر . سأل الناس . وعكر . . اسفهم . ونكر . .
تم جلس وعكر . أنه الآن في بلاد الأمريكان بلا عقيم واحد . محدته
بلا طعام . . طريجه إلى بولاق . . إلى مريزه في بولاق . . هو طريق
بعيد بيده . . لابد من باخرة والباخرة لابد لها من تذكرة . . التذكرة
لا بد من عود . . والتعود غير موجودة . . إذن ما العمل ؟ . . لا عمل
سوى . . السبل . . هكذا مكر المعلم سكر وهو في يومه الأول بتلك
المدينة بلاد الأمريكان .

ولكن المشكلة لم تحل بعد . . أي عمل يستطيع المعلم سكر مع
هؤلاء الحواشي أي عمل . . ومطوماته في الانجليزية لا تتجاوز
العشرين كلمة ؟ أن ما يعرفه مضمين بغير شك كلمات أساسية
يستطيع أن يبدأ بها . . كلمات مثل . . فود . . موسى جود مورنج . .
ناتك بر . . ويرك . . جود . .

« أنت واحد جود ؟ أين جلال باين عليك ؟ »

هكذا قال المعلم سكر لأحد أصحاب محلات بيع الأحذية في
نيويورك عندما دخل عليه في نفس اليوم بحرب حظه في العمل .
هل يرضى المعلم سكر أن يوزع بمسح الأحذية ؟ . . نعم . . ما هو
السبب في هذا ؟ أنه يحتاج إلى طعام . . إلى فود ! والتود عايز موسى
، ومسح الأحذية يمكن أن يأتي له بهذه ال . . موسى . . هذه
التعود !

يوم . . يومان . . أسبوعان ، ثم بدأ المعلم سكر يشتغل في أعمال
أخرى كثيرة . . تقول كناس ؟ تقول سياح ؟ تقول عبي بقل ؟ تقول
عبي جزر ؟ يمكن . .

الهم ان هذه النجاة الجيدة بدأت تبغض الملم سكر .. ان الناس في الصباح مسرعون كما لو كان .. غلبهم السلك وفي المساء يراهم صرعى كما لو كان .. مضطربين بعقبة بنج .. ان الشوارع ظيفة .. كحصى من عليها الصلابة والبنانة .. مفاصيص زى ما يكونوا ياكلوا في الشهر مرة ١

ومع ذلك .. على الحياة الجديدة بدأت تعجبه وتسخره .. انه لم يفهمها في الفانية .. ولكنها اعطته .. انها لم تعجبه كميم فهو موجود هنا رغم انه .. موجود بالصدمة .. انه موجود الى ان يدحر قودا كابية لعودته الى بولاي على الاقل ..
ولان النمود الكافية لم تجمع لديه في الاشهر الثلاثة المسموح له بها بعد استطاع ان يحصل على تصريح بثلاثة اشهر اخرى .. ثم ..
بالكسب الايطرية السابعة التي تلهمها الملم سكر كل يوم أصبح يستطيع التعامل مع الناس .. التعامل بصعوبة في البداية ، لم يصحبه اقل فيما بعد ..

وبهذا الكمل مرت على الملم سكر في نيويورك ستة اشهر ، خمسة اشهر - ستة .. ثم .. به كلمة .. استطاع خلالها ان يدخر مودا كثيرة ، مودا اكثر بكثير من قيمة التذكراء التي كان يريد بها اصلا .. ان الملم سكر لم يكن لديه مفر من ذلك .. انه يكافح وظهر الى العاطل .. لا احد جرعه هنا .. لا احد ساعده .. لا احد ولا شيء سوى دراغيه : بهائين اللرامين استطاع سكر ان يدخر وبأول مرة له نيويورك - ٨ دولار .. بالخط - ٨٠٠ دولار و ٤٥ سنا

الآن يستطيع الملم سكر ان يفكر وهو مستريح .. الآن ، بوسله الدولارات وتلك اللمة المحقودة التي تكعبه - بدأ يفكر في المستقبل .. ان اهداها جديدة تدخل الآن في رأس الملم سكر .. اهداها لم يكن يتخيلها من قبل .. لقد كان يريد ان يصبح صاحب محل حلوة في القاهرة .. غالا لا يكون صاحب محل حلوة ها .. نعم .. هنا في نيويورك ؟ ايه الحق ؟

هكذا بدأ الملم سكر يمس بحر الهدف الجديد .. انه يدخر .. الدولار فوق الدولار - وصل .. الساعة بعد الساعة لكن يحقق هذا الهدف .. ان الملم سكر اشتمل بعمل كثيرة ، ولكنه يرى ان القيمة كل القيمة ، والمركز كل المركز .. هو ان يكون الانسان - جزا .. يرى ان السحر كل السحر والاحترام كل الاحترام هو ان يصبح الانسان : مملعا !

ومرت سنة. سبمان. ثلاثة، ثم حقق المعلم سكر هدداً قد
أصبح فعلاً صاحب مدخل جرارة في بيوروك!
وفي اليوم التالي لدخوله هذا المحل .. أرسل المعلم سكر إلى
القاهرة - إلى بولاق في القاهرة - يطلب من الدين .. يطلب مربية!
بعد شهر قلبه ومكث عزيزة ، وأم عزيزة ، وأخت عزيزة ، وأخ
عزيزة .. وابن عم عزيزة و ١١ شخصاً آخرين من الأصهار الجدد
للمعلم سكر .

و .. عندما ذهب إلى بيوروك الآن . تستطيع أن تسأل من
محل الحرارة - والمطم - الذي يملكه سكر محمد سكر في بروكسين
مدرسة بيوروك .. عوفي المحل تستطيع أن ترى المنزل الذي تسكن
فيه عائلة المعلم سكر . المسمم . المعلم سكر ! على المحل معه
تستطيع أن تقرأ باللغة العربية « المعلم سكر » كفتين لم يجد صاحب
المحل ترجمة لها سوى ما كتبه على اللوحة باللغة الانجليزية
Mr. Sugar. وأرجوك - لا تعطيه في الاسم . لانك أن اعطيت
- فهو تصححه لك سيده بطس في الداخل .. هذه السيدة
هي - مسز شوجر - عزيزة .. سابها !

انسى لو لم اسمع هذه القصة بقي في بيوروك .. لو لم اشاهد
ايطاليا .. لو لم اناكلم سأتجها . لتصوّر أنها من حكايات اله
ليلة وليلة . أن احداً لو نص لي هذه الحكاية في القاهرة قلت أنها
فيلم سينمائي من افراج حسن الإمام ، قصة لا يستطيع أن يتخيلها
ابرع كاتب ولا أحسن مخرج . ولكن الواقع يصبح أحياناً أكثر براعة
من كتابة القصة وأكثر لطيفاً للاحداث من حسن الإمام .

وبعد كثير من التردد ، وبعد اختصار كثير من الأحداث -
فردت أن أكتب القصة كما وقعت .. فليصدق القارىء أو لا يصدق
هذا ما حدث على أى حال - ثم أنها بعد هذا كله - ليست أقرب
قصة وأنها المصيرين المهاجرين على أى حال .
فإذا كان المعلم سكر قد أصبح مهجراً رغم أنه .. إذا كان قد
أصبح مهاجراً دون أن يفسد الهجرة .. فإن هناك من الحالات ما هو
أقرب منه .. سم . هناك في هذه المدينة بيوروك - تستطيع أن تعال
مناذج أكثر فحاشة . من المصريين .. الذين لم يكن المصور من قبل
أنهم يمكن أن يكرهوا هذه المرأة .. وهذه القدرة على المفارقة .
خذ مثلاً قصة هذا المعلم الآخر : المعلم عطية ..

ان عطية - عكس العلم سكر - ليس من القاهرة .. انه من مواليد الاسكندرية .. انه على وجه الدقة - من مواليد شارع الباشا بسم الحموك - من مدينة الاسكندرية .

عندما قابلت عطية في شارع برودواي بمدينة نيويورك لصورت اني قابلت شخصا قديما من الاسكندرية مد خمس دقائق وليس مد ٢٤ ساعة . ان اللمعة ، خفة الدم ، الصوت ، التصريحات ، الملامح الحركات . كلها هي العلامات المميزة لاي اسكندراني حقيقي تقابله في الاحياء السيمية بمدينة الاسكندرية .

انه مازال في الثالثة والأربعين من عمره .. يحسم طويل ورأس نحيل الشعر يترب من كساح .. وشعر خفيف وبغلة تحول عند اقروم الى حجاب بلدي !

ان اي رفيق دراسة لمطية يستطيع ان يذكر الان صفحا اتول انه كان قليلا بمدرسة ابراهيم الاول بالاسكندرية ، ثم طالبا بمدرسة محمد علي الصغرى . انه لم يكمل تعليمه في تلك المدرسة - يستطيع ان يقول انه فشل في ذلك .. مع انه شخصيا لا يقول انه فشل . انت تعرف طعا كم يكون الساب ماسا وشقيا في تلك السن المبكرة . ان آثار تلك الشقوة مازالت الى اليوم موجودة في لوامي عطية .

ألف العنوة والمفرد والصامات

ولكن الشقوة لم تكن هي وحدها سبب انقطاع عطية عن التعليم . لقد كس الفخر سببا آخر . فمع ان والد مطية كان يعمل مساعدا مأمور بمصلحة الواوي بالاسكندرية .. الا انه كان يروح لبحث عبه الأسرة التي اتعها .. هل تدري كم طعلا اتعهم الحاج حسن - والد مطية ؟ هذا هو الرقم - 1٤ - هم - أربعة عشر ولدا وستا !

ان الاحياء من اشقاء عطية ال ١٤ هم سبعة ، بيد ان مات سبعة . الضاد له .. ولكن المهم ان الانسان عندما يولد في مثل تلك العائلة .. يعيش وسط تلك الهوم .. على أمكرا كثيرة تراوده .. الانقطاع من التعليم ؟ ممكن . هكذا فصل عطية . السبل ؟ ممكن . هكذا أشعل مطية في حرالموثورر بالاسكندرية . الهجرة حائرة في تلك السن ١٩ سنة يصبح كل ما طاشا لا تراودة سوى الافكار الطائشة ! .. ولكن الفكرة لم تكن طائشة ابدا بالنسبة لمطية . كانت الفكرة جادة جدا .. مسعى الجسد . انها لو لم تكن كذلك لما دفنته الى ان يمد مشروعة .. وبهاجر فعلا الى اسراليا في سنة ١٩٤٦ . ولكن الشغب المصري ذا السمعة مشر علما لم يلبث ان مل الحياة في اسراليا بعد أشهر قليلة . لقد أصابه القمل .. أو الفشل ..

لا أحد يجرى بالضغط .. إن كل مايلويه صاحب الشأن نفسه .. هو
أمره شديد وحاله علي .. أمريكا ..

ماذا يعمل شباب في مثل هذه الصعرة ، وخبرته المحبودة، ولفه
الإمبريالية الركيكة .. في أمريكا ؟ ماذا يفعل في نيويورك ؟ إن عطية
لم يكن تعلم بالضغط ، ماذا يمكن أن يفعله .. كل ما كان يفعله هو أن
يهاجر .. وإن الهجرة بالكثرة له أمر جاد جدا .. وأنه مستعد لتحويل
أبيه مصاعب تواجده في سبيل هذا الظلم الجار جدا .. لهذا كان
— كأمم عطية يبدية واستمارة إلى أن استطاع أن يعمل في نيويورك ..

ساعت طاح أن الأمر قليل جدا — مجرد ٢٥ دولار في الأسبوع —
ولكنه ليس في موقف يسمح له بالاختيار — أنه فقط يسمح له
بالبحث عن الطعام .. وهذا العمل الأول في أمريكا — معاهد طباح —
يوفر له الطعام .. والخمسة والعشرون دولار كل أسبوع .. رضا ..

ولكن بعد هذه أشهر فقط ، بدأ عطية يحس بعدم الرضا .. أنه لم
ينرك الاستكبارية ومصر كلها ، مقابل خمسة وعشرين دولارا فقط
يعمل عليها كل أسبوع .. يحصل عليها من مثل هذا العمل المرهق
في نيويورك .. لم يكن هناك داع للهجرة الآن .. ماذا عطية يستطيع
أن يفعل مثل هذه النتيجة القواصة .. إذن .. ما هو العمل هل
هناك حل ؟

نعم .. هناك حل محسوس اهتدي إليه عطية .. إن أمريكا
دخلت حرب كوريا .. والعيش الأمريكي يعلن عن حاجته إلى
متطوعين لهذا لا تطرح ؟ أنه لا يعمل الجنسية الأمريكية ..
ولكنهم لم يعضوا لهذا ضمن شروط التطوع .. لهذا إذن لا يجرب
حظه ؟ ..

ومره أخرى — أنت تعلم كم يكون الإنسان طائشا في تلك السن
المكروه — قرر عطية أن ينفذ فكرته .. وخلال شهور قليلة كان
عطية فعلا يحارب مع كوريا ضمن أول دفعة متطوعين أرسلتها
الجيش الأمريكي إلى هناك .. شيء لا يصدقته عقل .. ولكن من فكل
أن هجرة عطية كان يمكن أن يصدقها عقل لا

وهكذا أصبح عطية محاربا كوريا .. ولكن حرب كوريا كان لابد
أن تنتهي وعندما انتهت عاد عطية إلى نيويورك ليكتشف أنه لا يعمل
الخدمة الأمريكية بعد .. ولن إدارة الهجرة الأمريكية ترفض تلك
الخدمة كمهاجر .. رغم أنه حارب سنتين مع الأمريكيين في كوريا
، قبل أن تنظم الدنيا في وجه عطية أممك ودقة وكلها .. فلقد

اصبح الان يحيد القلة الانجليزيه - وبدأ يكسب ١٥ ٠٠ دولار
الستر دوايت ايزنهاور ٠٠ وليس جمهورية الولايات المتحدة
الامريكية ٠٠ ١٥ ٠٠

هكذا مره واحده - فوره عطية ان يعول مشكلته الشخصية
الى مشكله تصاح الى مرار رئيس الجمهوريه ! ان ماكبه عطية
في الحطاب لم يزد عن الوثائق التي حشدت بالاضبط
١٥ امي القيم في أمريكا منذ سبع سنوات ٠٠ حلوت في الجيش
الامريكي في كوريا لمدة سنتين ٠٠ وانفرد الهجرة ترفلي صهي
الجنسية الامريكية ٠٠ ويا عزيزي الرئيس ايزنهاور ٠٠ هل
يرضيك هذا ١٥ ٠٠ ١

طما ايزنهاور لا يرصم ١٥ النتيجة : حصل عطية على الجنسية
الامريكية حصل عليها - بالاضبط في ٢٩ مارس سنة ١٩٥٢ .
ولكن الجنسية لا تزيد عن ورقة صغيرة ٠٠ انها ليست شيئا
بليون دولار ، ولا هي تصريح بالسكن محققا ٠٠ ولا هي مظافة
لصفيه من دفع الاجلار اعا وال امام عطية الذين ان يضا حياهه عن
جده ٠٠ بالدولارات التي اخبرها خلال فترة تطوره كجندي
في كوريا ٠

وبدا عطية يدخل في مامفات ومرايفات ٠٠ نعم اصبح
عطية تاحرا ٠٠ انه تاجر ٠٠ ومقاول ٠٠ ومنجهد ٠٠ قد بدأ
بصصيل على مامفات تورط الاطعمة والكميون العلاني لبعض
حذات تخرجي الامريكي ٠ انه الآن امريكي ٠٠ واسعاره هي
الافل فلماذا لا يصح في ذلك ١٥

وهكذا استمر عطية في تمارنه الجديده عشر سنوات اخرى .
وعندما احس بان تقودا كايه قد نصحت لديه ٠ بدأ يفكر في
الاستقرار ٠ ان الامرار مائسة له لم تكن الزواج ٠ لا ليس
بالنسبة لعطية ٠

ان الاسفرار بالنسبة لعطية كان شيئين - اولاً ان يصبح
صاحب محل ٠٠ بقاله او حزاره او اكل ٠٠ المهم محل مملوك
له والسلام ٠٠ وثانياً ان يسلعي اكر عدد من افراد أسرته
المقيمين بالاسكندرية لكي يحضروا الى هيا الى نيويورك - واذا
لم يمكن حضورهم للسبل معه ٠ فعلى الاقل يكون لتساعده تصاحه
في حياته الجديدة ٠

بالطبع من حق عطية ان يؤمن بآله نصح ٠٠ فادام قد بدأ مسطه
الجديد هذا برأس مال ٧٥ الف دولار ٠ حصل لم يكنه عطية على

لاغنه من الفلرج سوى مجرد كلمتين بالانجليزية .. « مطعم
كليوباتره » ! ..

وعندما اتجهت الى تقاطع شيلرع ٩٤ وشارع بروغواي في
نيويورك لكي اترور هذا المطعم .. دخلت من الباب لاجد مطعما
فاخرا تم تجديده مؤخرا فقط . ان تصميم الديكور فيه غن
ودوق وبسعة .. لان الذي صممه هو صان مصري مهاجر هو
الاجر اسمه جمال الرغبي . صان سوف سمع عنه فيما بعد .

اقول ان الديكور فيه ذوق ، وهذا في حد ذاته سبب رئيسي
من اسباب نجاح المطعم .. انك عندما تدخل الى المطعم مستمعا
بان الباب الى يسارك عندما تدخل من الباب سوف تجد الماضد
مصفحة بطرمة مابه تفصلها حواجز ومنوى راسك . وعلى المائدة
التي جلبت عليها وجدت قائمة الطعام مطبوعة في كتيب صغير .
ان صورة عطية مطبوعة امامك على الغلاف بقميص مفنوح وكرافته
مدلاه ويدين تترخان فيها ما لا تدري ما هو . ثم طائفة
الطماح البيضاء مشرحة فوق راسه الاسلح . فوق الصورة
مكتوب باللون الاحمر . « عطية » رئيس طباقتنا القولى « .
دولى فعلا عطية هذا »

وعندما قلت في الكتيب وجدت نصي امام كلمت عربية
مطوية باللغة الانجليزية . يبدو ان عطية يريد تعليم اللغة
العربية لزيائته ا لان اول سطرين في الصفحة يظنان هكذا باللغة
الانجليزية « نتمنى ان تفتنوا بى تأما الاحسى » وبالوسيبكا
الشركية ، وذكر الفير عالوف .. هيتكم لمصلحتكم ومصلحتنا
ان تجربوا كل الاطعم المختلفة !

الترجمة - بالانجليزية الصحيحة فوتمه - هي : نتمنى ان
تتمنوا طعاما الاحسى ، وبالوسيبكى الترلية والديكور
غير المألوف . اما مسحتكم ا محيطكم كما ترحبوا عطية ا
لمصلحتنا ومصلحتكم ان تجربوا كل الاطعم المختلفة .

وهكذا تسمى باقى صفحات الكتب الصغير . ان اسم الطبق
في قائمة الطعام مكتوب بالعربية للطبقة انطوية ، ثم بعدها
الشرح باللغة الانجليزية الصحيحة .. مثلا :

هريس تياطينا : حمص مطوط بزيادة اللحم . الثمن - دولار
عافشى : فلفل احضر محشو .. اوراق عنب محشوة ..
الثن - دولار ونصف دولار .

شيشي كباب : لحم صان مشوى على اعواد شواء مع لفل

اخضر . طعامهم يحصل الثمن - ثلاثة دولارات ونصف دولار .
كوفته : لهم خان مطحون شوى .. مع الارز .. الثمن
لثلاثة دولارات .

فتة كايوترا : طبق خاص جدا . خبز شرقي مبلول في حساء
الحكم .. يمدد الارز .. وشرايح اللحم وعصير الليمون . الثمن
دولاران ونصف دولار .

مولوخية بالقراخ : قراخ مطبوخة في حضاربات شرقية مع
عصير الترم والارز . الثمن ٤ دولارات .

فول موداسي : فول مجفف مع بيض وريث وسلطة شرقية
الثمن دولاران ونصف دولار .

و .. هكذا تستطيع ان تحصل على الطعام في قلب نيويورك
ووسط ديكور هو اكثر من مجرد ديكور .. انه مباح وهو
كامل يميل لك طوال الوقت الذي تجلس فيه على المائدة داخل
هذا المطعم المصري .

في هذا المطعم المصري يحصل ١٤ شخصا على وديتين . كل
وديعة من سبعة ٤ من هؤلاء سوف تجد اثنين من السودان .
وواحدا من اليمن واثنين من المانيا ولثمانية من مصر ا ان الثمانية
المصريين هم جميعا من الطبقة عطية واخوته . بعد ان يجمع
عطية في مشروعه الجديد هذا .. وبعد ان كتبت عنه جريدة
« نيويورك تايمز » .. فرسل الى الاسكندرية ليشتفي أسرته
ا انه الآن يجلس مع والدته وأرملة من اخوته وخمسة من اولاد
وبسات اخوته ٤ اصغرهم عمرها ١٧ سنة .

ان وحيته - هذه اصغرهم وعمرها ١٧ سنة - مجموع عليها
ان تضع طويلاي الثامنة . عيب . ان عطية تقول « مايلديناش
باب بيمورا الحلمان من الشايك ان عطية الان رجل مصري
« حشش » .. ان المصري « الحشش » في وسط نيويورك ان
ست أحته هذه يجب الا تكون ملابسها خارجة عن متطلبات
العشبة .. انها لا تستطيع ان ترى ملبا في السجما الا اذا
راء عطية اولاً . و « انت فاهم ايه بصي ؟ الاصول .. اصول ؟
هكذاقول عطية بعد ٢٤ ساعة عاشها وما زال يمشي الان وسط
مدينة نيويورك ، وليس وسط حي بولاق بالقاهرة هكذا يطبق
مفاهيمه الاسكندرية على الافراد العشرة الذين يكونون أسرته
في نيويورك .. ويعيشون في منازلهم الخاص ذي الطوابق الثلاثة
بشارع بروكواي .

ونتيجة لهذا أصبح لدى عطية « مستعمرة » السكاتية
الأخرى في نيويورك - التي « مستعمرة » - سكاتية صغيرة في
اللدنة الأمريكية الصغيرة - أن هذه المستعمرة هي المنزل المنقل
الذي تعيش فيه أسرة عطية المكونة من ثلاثة أجيال في نيويورك .
وإذا سأل عطية الآن كم تلعب قيمة هذا المنزل الذي تملكه ؟
فإنه سوف يرد بسرعة :

- مائة ألف دولار .

- كم يبيع حجم للعمليات التجارية السنوية للمنزل ؟

- مليونين من الدولارات .

- كم تسع العربة التي تدفعها الحكومة الأمريكية سويًا ؟

- سبعمائة ألف دولار .

- لماذا تعتقد أن مطعمك قد ينجح إلى هذه الدرجة ؟

- لأنني موجود فيه دائمًا .. لأن الطعام فيه مطبوخ بناية

.. لأن الأسطر فيه مقفولة .. ثم لأن الميكور به جذاب .

- لماذا اخترت اسم كيبواترة للمنزل ؟

- لأنني كنت أريد أن يحصل المنزل اسمًا مصريًا ..

- ما هذه الصورة المظلمة في مدخل المنزل ؟

- أنها صورة السفير محمد حسن الزيات مندوبنا في الأمم

المتحدة .. في إحدى الزيارات الكثيرة التي جاء فيها لزيارة المطعم .

- هل الطعام الذي تقدمه مصري حقًا ؟

- أنني اشتري المواد الخام من نيويورك طبعًا .. ولكن طريقة

الطبخ هي المصرية .

- لماذا لم تروج حتى الآن ؟

- لأن الزواج كان سيشتغلني عن النجاح في عطية .

- هل تعتقد أنك سعيد الآن ؟

- نعمهوه ..

والواقع أن قصة نجاح عطية .. بالإغصاه إلى القصة السابقة

بها من المعلم سكر .. يمكن أن نفودنا إلى عدة نتائج هامة .

والمرى التقليدي عندما يوضع في ظروف التحدي يستطيع

أن يفعل المستحيل - أنه يستطيع ذلك بشرط أن يتحرر من

نفسه . شرط أن يتحرر من تلال الصلابة التي تراكمت فوقه ،

وطبقات اللال التي مبلت حركته . أنه يستطيع أن يفعل

المستحيل رغم أنه يفعل السابق ببولرد محدودة واستعداد

متواضع للغاية . انى استطيع ان اؤكد انه لولا هذا الاحساس بوجود النحدى .. لولا صعوبة كل شيء امام سكر وعطية .. لما كان ممكنا ان يصل الى تلك النتائج على الاطلاق .. انها مسألة تأثير الاحداث .. ولكنها ايضا تنير الصفحة .. فلو التحات الى النقل والنطق لكأن يجب أن يمثل مثلا القصص السابقين في حياتهما الجديدتين مثلا موكبا . اقوما - في البداية - لم يملكا أى موهبة - أى كفاءة خاصة - يعرفتها على المجتمع الذى هاجرا اليه . لم تكن لديهما الموهبة ، ولكن كان لديهما شيء اكرم من الموهبة . كان لديهما الامرار . والمصمم .. النحدى الامل - روح المقاومة .. مقاومة الظروف الصعبة والامكانيات المحدودة .

لقد اتقيا بينهما وسط مجتمع لا يرحم .. مجتمع يظنك كل القصة اذا وصلت ٢٤ ساعة في اليوم .. ويصعب منك كل شيء اذا وصلت ساعة في اليوم . فلابد لا يوجد في هذا المجتمع الجديد احد يعرفك .. ولا احد يعاملك .. ولا احد يتوسط لك ولا احد يصفط عليك .. ولا احد يهينه لمرء أصلا .. فلك في تلك الحياة الجديدة لا يملك غير يديك وامساكك وعقلك .. هذا كل ما يملكه .. كل ما تفرقه . كل ما تلبأ به الحياة الجديدة . ان المحيط وراك . والنجاح أمامك . ان الفاتلين نصب فلك واساحمين فوق رأسك . أنك لا تملك بين القاع والقصة سوى عقل لمكر به .. ونكرة تؤمن بها . هذا رأسمال كاف جدا .. مادام التصميم موحدا والإرادة موجودة . وروح النضال موجودة

انى اجد ان هذا الأسير الوحيد القبول للنتائج التى وصل اليها سكر وعطية ومشرات عزمهم انه التمسير الذى كنت أنتهى اليه في كل مرة اسمع أو أرى أو ألتصق بنفسى بالنتائج التى حققها احد هؤلاء المصريين الذين هاجروا وهم انهم .

ان سكر وعطية لا يمثلان العرب نموذجين يمكن أن نقارلها . هناك مثلا نموذج لكث ، ولكن لم أقابله شخصا .. لهذا لم اكتب قصته بالتفصيل .. رغم انى سمعتها من مشايخ المصريين وعمر المصريين الذين قابلتهم في أمريكا .

ان هذا النموذج الغريب اسمه - أحمد أبو أهيلة - انه هم يكن أكثر من ضئى صم . شيخ مهم بالحة والقطن والمصنف في يده وكل التوابيع العسة في رأسه . ان أحمد أبو أهيلة هو

الآن مهاجر مصري يعيش في هوجورسي بالولايات المتحدة . يعيش
يقابل مع مصر وروحه من أمريكا . قسم .. روجة مستر
« أبلا » .. هذا اسمه الأمريكي ، هي أمريكية وتعمل في
ملاح الطيران الأمريكي . فن روجة المستر أبلا - الشيخ أبو
العيلة ساما - هي عابطة برنة كولوميل : أنها الآن مسلمة ،
وروجة ، وأم وكولوميل ، وتسلمد زوجها أحيانا في محل القفلة
الذي يملكه ، وتسطيع أحيانا أن تقرأ بعض الآيات في المصحف
الذي يملكه زوجها دائما !

قد كان من المفروض أن أقابل هذا الرجل المصري - أحمد
أبو العيلة .. وبعد أن حصلت على رقم تليفونه فعلا من عم ليبي
الرجل المصور الطيب الذي يعمل موظفا بوفدنا في الأمم المتحدة
.. اكتشفت أن الرقم قد تغير .. وأن الوقت أمضى لم يصد
تسرع البحث من الرقم الجديد .. إلا على حساب الواهب الأخرى
أنتى فربطت بها في الأسبوعين التاليين . لهذا لم أذهب ولم أعايله
.. ولكن ما سمعته منه كان يكفى حزنا للحديث عن هذه الظاهرة
التي لمستها في المصريين المهاجرين الأوائل إلى أمريكا .

فمن خلال الترددتين الذين تكلمت عنهما في البداية . جكر
ومطية .. لم السودج الثالث الذي سمعت منه فقط ولم أناظره
.. أحمد أبو العيلة .. تستطيع أن تتحد بالمسبط طابع الجيل
المصري الأول الذي هاجر إلى أمريكا . أنه جيل يتكون من أناس
هاجروا بالصدفة أو - بالكثير - هاجروا وهم بنوون في عملهم
البطن أن يعملوها فبابا مؤننا .. هجرة مؤقتة .. تصرية
لا تضر .. ألا يصحوا كلن بها .. وإذا لم يتجهوا هانوا إلى
ما كانوا فيه ..

أنهم الآن جيل وضع نفسه وسط ظروف أكبر منه .. وأكبر
من طاقته .. فلم يكن لديهم بديل سوى التقدم إلى الأمام أو
الموت فشلا .. أن هجرتهم لم تكن محسوبة .. أنها كانت معارفة
أكثر مما كانت معامرة .. ولكنها انتهت إلى نتائج طيبة رغم أنها
كان من الممكن ألا تصبح كذلك .

إن هذه الصفات كلها اختفت من الجيل التالي من المهاجرين
المصريين . فمن التردد أن يهاجر الآن نموذج آخر مثل سكر أو
مطية . أن الهجرة أصبحت في معظم الحالات الآن معامرة وليست
معارفة . وحتى بعد أن أصبحت معامرة فهي معامرة محسوبة
مقننا بشكل أو بآخر .

والمهاجر لم يجد شخصا مخرجاً من أي تعليم .. فاقبلنا لاي
كفائه . لقد أصبح شخصاً منطلياً كئيباً ، يريد عملاً أكثر مما
يبحث عن تجربة ..

إن هذا الجيل التالي من المهاجرين تستطيع أن علمسه من
خلال مصادج كثيره بين المصريين اللذين يعيشون الآن في أمريكا .
أنا نستطيع أن نأخذ هذه القصة نموذجاً على ذلك .

أمير إدوارد سينا . مصري مهاجر . يعمل الآن مصصماً لبرامج
العمل الإلكتروني في نيويورك .

إن أمير هو شاب مصري يخرج في كلية لجاره عين شمس منذ
ست سنوات فقط . أول عمل له كان محاسباً بشركة الشرق
للمقاولات وآخر عمل هو محاسب بشركة الطيران العربية المتحدة
إن البحث عن فرصة . كان بداية لتعليم أمير في الهجرة منذ
ثلاث سنوات . أن تعيد قراره بالهجرة إلى أمريكا استغرق
سنتين كاملتين . في هاتين السنتين كان أمير يعد نفسه - طلياً
- لمواجهة المستقبل المجهول الذي سيواجهه بعد هجرته . لقد
التحق بالجامعة الأمريكية في القاهرة لكي يلتمس سنوياً في اللغة
الإنجليزية ، والتحق ببرنامج لتدريب على العمل الإلكتروني -
في القاهرة أيضاً - لأنه يريد ملاحاً إضافياً معه يساعده على
العمل بعد هجرته .

وعندما عطلت طائرة أمير في نيويورك .. عزل هو عنها لكي
يرى أمريكا لأول مرة . من اليوم التالي مباشرة بدأ يبحث عن
عمل . إن أول شيء فكر فيه هو الذهاب إلى وكالة توظيف ..
في الوكالة حددوا له اسم شركة يوجه إليها في اليوم التالي لكي
يعتبروه شعوباً ويسألوه من خبرته . الآن فقط أحس أمير بقيمة
الاستعدادات الضخمة التي رود معه بها قبل مغادرته القاهرة .
إن مجرد تدريبه على العمل الإلكتروني في القاهرة أعطاه فرصة
في الحصول على هذا العمل الجديد أكثر من غيره . ونسبر أمير
نفسه . أن مرتك ها - في أمريكا - يريد نسبة تراوحي
بين 10 و 20 ٪ لو كنت حاصللاً على برنامج تدريب في العمل
الإلكتروني . إن أول مرتب حصل عليه أمير هو ستة آلاف
دولار في السنة . إن مرتبه الآن تقرب إلى تسعة آلاف دولار في
السنة . أن التسبب في ذلك هو أن أمير لم يهمل . فرفع أنه وجد
العمل فعلاً .. إلا أنه بعد شهرين فقط من وصوله إلى أمريكا
التحق بمعهد في نيويورك لدراسة برنامج أكثر غنماً في العمل
الإلكتروني . برنامج استمر فيها إلى جانب العمل - لمدة سنة

اشهر ، كلفته خمسمائة دولار .. بعد انتهاء الدراسة استطاع
أمير أن يحصل على عمله العالي - مصمم لبرامج العمل الإلكتروني
في شركة متروبوليتان لايف قنامين - واحدة من أكبر واحسن
شركات التأمين -

ان أمير يعيش الآن مع زوجته في بروكلي بمدينة نيويورك .
ان زوجته حصرية . في الواقع انه تزوج في القاهرة قبل هجرته الى
امريكا .. ولكنه لم يستعجل ان يهجره الا بعد شهر من عمله
هناك . ان زوجة أمير لم تتحول الى صبي عليه في امريكا . بل
اصبحت عاملا رئيسيا في مساعدته هناك - ربما كان ذلك لانها
حاصلة على ليسانس الآداب قسم انجليزي . ربما لانها هي ايضا
فكرت معه في الهجرة الى هناك - ربما لان قدرتها على التكيف مع
المجتمع الجديد كانت اكثر من غيرها . اللهم ان زوجة أمير نفسها هي
الاحرى ساليا موظفة في بنك مونتريال بمدينة نيويورك - ان
أمير وزوجته يعيشان الآن في شقة متوسطة بمدينة نيويورك -
الايجار مائة دولار في الشهر .. رغم انه من اهم المشاكل التي
واجهتها هي البحث عن شقة في البداية هو ان صاحب المنزل - كما
هي العادة دائما في امريكا - يطلب منك شهر تأمير وشهر مرسوم
وسهر ايجار - اي ان عليك ان تدفع ايجار ثلاثة اشهر في الشهر
الاول - ومع ذلك فان أمير يرى م ان الشخص الاخرى المادي
حما يحاول ان يهبطك ويصطف معك ويصطفك ويقدر فيك
حرصك على تعلم شيء جديد باستمرار . هذا هو المصلحة من عمالي
ورؤسائي في العمل هنا .. علاقتنا تؤدي عمك جيدا وباطلاص
فانك ستحصل على تقدير الجميع .. وعلى الترتيبات ايضا .

ويقول أمير ايضا : ان احادة اللغة الانجليزية تلعب دورا هاما في
عنورك في العمل المناسب هنا . ليس هذا فقط . بل ان هناك
اصطلاحات انجليزية في كل مهنة لابد ان تكون ملما بها حتى لا تتصور
الشركة ان خبرتك غير كافية للعمل الذي تطلبه . ان اقل اعتراض
يثار في هذه الحالة هو ما يقوله الامريكيون دائما عن مثل هذا
الشخص انهم يقولون عنه انه لا يستطيع ان يفهمه .

× × ×

ومع اننا ربما نعود الى أمير وقصته فيما بعد الا انني لريد ان
اشير هنا ان التحدج الرئيسية الثلاثة في هذه الفصل - سكر
وعطية وامير - يمثلون التقدير الذي طرأ خلال سنوات قليلة على
طبيعة ونوع المصري المهاجر الى الخارج - وفي أمريكا بالذات -
ان التحدج الثلاثة يمثلون اشتغالا ناجحاً ، ولكن طبيعياً

النجاح وهذه أسبابه مختلفة تماماً خلال جيلين اثنين فقط من المهاجرين المصريين إلى أمريكا . بحيث بدأ الجيل الأول من الصغر . بدأ الجيل الثاني من سنه أعلى من مجرد الصغر . وحيث بدأ الجيل الأول من مجرد تعلم اللغة بدأ الجيل الثاني من تعلم لغات العقل الإلكتروني . وحيث هاجر الجيل الأول دون قصد . هاجر الجيل الثاني بقصد الهجرة مقصداً . . وحيث هاجر الجيل الأول ناقل استعداد وأهل تعطيل . . هاجر الجيل الثاني باستعداد أكثر وتعطيل أكثر المكافأ .

إن الهجرة بالنسبة للجيل الأول كانت مجرد جلسة اعتراضية في حياته . . ولكنها بالنسبة للجيل الثاني كانت تغييراً جاداً في حياته إن الجيل الأول ذهب يبحث عن حلم ورضى اللون . حلم الترفه بقرة واحدة . ولكن الجيل الثاني سافر يحلم ورضى اللون أيضاً . ولكنه حلم أكثر نواصيا . أنه مجرد الحلم بوطيعة أهل !

إن هذه الجملة الأخيرة تشير إلى الوضع إلى عيب خطير في الجيل الثاني من المهاجرين المصريين . فرغم أنه جيل أكبر استعداداً وأحسن تعليمياً وأكثر قدرة على المساومة . . إلا أنه يهاجر بحثاً عن . وطبيعة . أنه يترك في مصر حياته وصداقاته وذكرياته وأسرته ووطيقته . . أنه يسافر . يهاجر . ينتقل من مجتمع إلى مجتمع . . من حياة إلى حياة . أنه يركب السيارة والسيفينة والطائرة . أنه يبحث الانتعاج مع أسلوب جديد . . وتفكير جديد . أنه يفعل هذا كله . لكن يبيع في النهاية موطناً إن المرتب أكبر . والفرص أوسع والحيات أكثر تنوعاً . . والنظرة للامور أوسع مدى . . ولكنه في نهاية الامر حارل موطناً .

إن هذا يمثل خطراً جدياً في المهجري فقط . أمك لانتم في اللبنانيين أو السوريين . أو الفلسطينيين الذين يشكلون جالية أخرى كبرى في أمريكا أكبر من المصريين . جالية حصلت مصالحها على كنفها . فلم تكن لديها مجرد حقبة واحدة . ورحلت إلى أمريكا منذ أكثر من مائة سنة مضت .

إن التطور الذي حققته تلك الجاليات في أمريكا خلال مائة سنة . . احتصره المصريون لكي يتم في عشرين سنة فقط . مع فروق كثيرة في النتيجة طبعاً . .

إن اعتبارنا الآن سوف يتحول في الفصل التالي إلى تلك الجالية الأكبر عدداً . . والأكثر حركة . . الجالية العربية في أمريكا . إن الاهتمام بالعرب ككل . . يمكن أن يلقى لنا إلهاماً على المصريين . كجبر . - التي هاجروا إلى أمريكا . .

العرب في أمريكا .. مايوست .. مع وقف التنفيذ ١



١٨٤٠

مرفا نيويورك .

٣٠ أبريل

صباح السبت

كل شيء هادئ في مينه نيويورك . القرايب راسية على الأرصفة
لا أحد يعمل في الميناء .. فالأيوم عطلة أسبوعية . لا أحد من عمال
التسعين . لا أحد من عمال التفريغ .. ما عدا عشرين أو ثلاثين
عاملا .. وقفوا على الرصيف في انتظار شيء ما . على بعد خطوات
قليلة خلف عمدة نيويورك ، وإلى جانبه مدير البلدية ورئيس عمال
التفريغ . إن الطعيت بينهم يسير في اتجاه واحد .. من القنصة إلى
الكثير إلى رئيس العمال . كل شيء سوف يكون جاهزا .

صوت يوق يطلق من تلك النقطة التي يطلعون إليها في الإقمرتين
بوق يطلق من تلك السمطة التي يطلعون إليها في الأفي مورتين
وبلاث مرات ، أنها هي سم - هي بالاصط - . السمية التي
وقف الجميع في انتظارها من الصباح الباكر .

بعد قليل أصبحت تلك السمطة رابطة على الرصيف . مدير
المياه يتأكد من اسم السمية المكتوب في لقصمه . سم - اسمها
« السبطانة » . رئيس الصال يصعد مع النبي من مساعديه إلى ظهر
السلية للانتهاج من الإجراءات الإدارية بسرعة . إن قائمة البعارة
طويلة واحد ، اثني ، ثلاثة ستة . . . ستة وستين . خطوط
٦٦ بحارا قائمة الضائع المستخمة داخل السفينة هي أيضا
طويلة بهارات . س - عاج - بلح . . . هدايا . . . سجاديد
سجاديد فارسية . م هه سمعة تيبه ، هكبا يتمم رئيس
المبال فالسجاديد نادرة هنا . . . خصوصا لذا كانت فارسية .
وفي نفس الوقت كان الصفة - عملة بربورك - قد حصيد إلى
السلية لكي يرحب بضيفة الكبير .

« . . . اهلا وسهلا . . . بستر احمد بن نعمان . . . مهمل فخلعة
السلطان سيد سعيد . سلطان مسقط وزنجبار . اثني باسم سكان
بيوروك الثلاثمائة الف . . . وباسم رئيسي جمهورية الولايات المتحدة
مارتن فان بورين . وباسم ارحب بك كأول ضيف عربي رسمي
في مدينتنا . »

وبرد احمد بن نعمان . « اثني باسم سلطاننا العربي الشيعي
سيد بي سعيد . . . أنتكره . وفرجو أن أتيكي من مقابلة فخامة
رئيس الولايات المتحدة ، لأجل غايه تمجيد سلطاننا وهداياه التي
احملها صغيرا على قفديرما أبلاد الأمريكان . . . »
وبسرعة تقوون العمدة . « مع بكل تأكيد ياسيدي . اننا أيضا
لدينا الهدايا التي نود أن مرسلها إلى فخامة السلطان . . . كما اننا
سوف نقوم بتجديد هذه السفينة السلطانية التي سلمتكم إل هنا .
تفضل ياسيدي . . . تفضل . . . فاصحب المقامات الرفيعة ورجال
الأعمال في مدينتنا ينتظرون ذلك لتقديم تحياتهم . »

xxx

وعندما برز احمد بن نعمان من سفينة السلطانية في ذلك اليوم من
شهر إبريل سنة ١٨٤٠ ، نزل مصانته الواسعة ومقاله العربي ،
وعيينه الموهولتين ، نزل سائرا على السباط الأحمر المفروش له على
أرض الرصيف . وترل ليكون أول عربي على مستوى عال يصل إلى
هذه الدنيا الجديدة . بهدف إقامة أول علاقات صديقية بين طد عربي

٠٠ وبقي هذه البلاد الأمريكية الجديدة - قريارة عازلة ترحل اليها
 الآن تلك الصورة الفخية المرسومة لآحمد بن عثمان ، والمعلقة اليوم
 في مكتب لجنة التي يقاتل عديده نيويورك -
 وعندما قام أحمد في عمان في تلك القريارة بتفقد احياء مدينة
 نيويورك - لم يكن منصور أن واحدا أو اثنين من هذه الاحياء معها
 سوف يطلع فيما بعد معرا ٩٩٩٩ مرابدة من المهاجرين العرب
 الى امريكا -

انه لم يكن اول عربي يصل الى الولايات المتحدة - لقد سبقه
 عربي آخر الى عبور الاطلنطي قبل ٧٣ سنة - عربي اسمه الفس
 الياس الموصل - جاء وقضى ١٥ سنة متجولا في الولايات المتحدة ،
 قيل أن يعود من جديد الى بلاده -

ولم يكن أحمد بن عثمان ايضا آخر عربي يصبح المصانع على تلك
 الارض التي تقع في الجانب الآخر من المصالح - واما كان لخدمه
 بداية للخدمة حرب كثيرين الى هذه الدنيا الجديدة بهدف التجارة -
 ومن الآن فصاعدا سوف يطلع في وقت لاحق بعض الاسماء العربية
 منس فوائهم للمسافرين القادمين الى نيويورك - سوف يطلع مثلا اسم
 الفس كادوري قادما من سوريا الى نيويورك في سنة ١٨٤٩
 وسوف يطلع ايضا في شوارع نيويورك المزدحمة رجلا آخر يتجول
 مرتديا الملابس العربية المبردة - العباة والمطبال - ونكتشف ان
 اسمه هوانطون بيلاني - . سوري من بيروت ، فلم تكن هناك بعد
 دولة اسمها لبنان -

وبعد ١٦ سنة فقط من زيارة أحمد بن عثمان سوف نسمع من
 سمعة شخصية ابرها حكومة الولايات المتحدة الأمريكية مع
 الامبراطورية العثمانية - بمقتضى هذه الصفقة وصلت الى امريكا
 سفينة بضائع تسمى « سلاوى » ، حاملة على ظهرها ٢٢ جملا تم
 شرفها من الجزيرة العربية لكن مستعملها الحكومة الأمريكية في
 تسهيل السفر داخل الولايات المتحدة في الجيوب العربية - مع
 عبء النسخة وصل ايضا اثنان من المرحبين الاتراك وتلك من
 الامراب - مهمة لغربية - ان واحدا من هؤلاء الامراب اسمه
 « الحاج علي » .. ولكن الاسم تحول - على الطريقة الأمريكية -
 ليصبح « هي جولي » ! هكذا سجل الاسم عندما عين الحاج علي
 فيما بعد موظفا في الحكومة الأمريكية - العمل : كتاب -

وحس الآن كان العرب المسافرون الى امريكا يلحسون الى هناك
 لاهداف تجارية اساسا - اتهم حرب - تجار - يهود أو مسيحيون
 - نادرا مسلمون .. يسيرون الاطلنطي لكن سوتوا الى بلادهم بعد

فترة طول أو تقصر حسب نوع التجارة التي يزاولونها . أن سفر هؤلاء إلى أمريكا في البداية كان ضروريا قبل أن تبدأ الهجرة إلى أمريكا في السنوات التالية . ففي كل مرة يصود واحد من هؤلاء التجار إلى مريه سوريا أو لبنان . . . فلهذه يعني القصص والأخبار عن أمريكا . من تلك الدنيا الجديدة . . من الذهب المكتشف والأراضي الواسعة والمزروع الخصبة والتجارة المزدهرة .

وسرعان ما بدأ المهاجرون العرب يتجهون إلى أمريكا ابتداء من سنة ١٨٦٥ مما بعدها . لقد ذهبوا بالآلاف في البداية ثم بالآلاف قبل نهاية القرن التاسع عشر .

× × ×

وحسب قبل نهاية القرن التاسع عشر - حتى سنة ١٨٧٥ - كل المهاجرون العرب القادمون من سوريا قد بقوا يفتتحون فنادق متزايدة في نيو أورليانز . . ولوبيزيتا . . ونيويورك . . لكن يستقبلوا فيها مواطنهم القادمين من الشام .

أن هؤلاء القادمين الجدد لم يأتوا إلى أمريكا بدافع الهجرة . أو بسبب عدم العودة . لقد جاءوا على أقدامهم سواك بعضهم هاء في أمريكا - عدة سنوات . . لم يمضون من جديد إلى قراهم وعائلاتهم في الشام . لهذا جاءوا بعد أن تركوا غالبا كل حيازاتهم في رعاية أسرهم التي ما تزال تنتظر في الشام .

أن السوريين المهاجرين - مع مراعاة أن هذا الاسم يشمل اللبنانيين أيضا - كانوا يسعون أولا إلى مدينة نيويورك . ربما يكون فيها . وربما ينتقلون منها إلى ولايات أخرى بعد ذلك . مسألة ظروف أن نيويورك هي محطة الوصول بالنسبة للجميع ، ومحطة العمل بالنسبة للأغلبية . لهذا فضل أن تنتهي سنة ١٩٠٠ كان عدد السوريين المهاجرين القسبيين في مانهاتن وبروكلين بمدينة نيويورك قد تجاوز رقم عشرة آلاف . أن كل هؤلاء المهاجرين . . كل هؤلاء القادمين من مدن وقرى الشام . . كانوا أصحاب مهنة واحدة ، وبداية واحدة ، مع أن نهاية كل منهم كانت مختلفة .

وبعض يستطيع أن تأخذ مثلا قصة هذا المهاجر السوري . . طرس سعد . أن سعد ترك قريته في الشام ليصل إلى نيويورك مع وصول المصافة الطجية سنة ١٨٨٨ . لقد وصل ليبدأ أولا أن نيويورك ليست مدينة الذهب ، ولكنها مدينة الثلج ، لقد جاء - ليس بهدف الاستيطان هنا نهائيا - ولكن بهدف تكوين أكبر ثروة ممكنة في أقصر وقت ممكن . . ثم صود بعدها إلى قريته

يمود ليشتري قطعة أرض وبني منزلا وتزوج وبفتح رب أسرة
 أنه لم يعد إلى قريته .. ولكن هذا ما كان في رأسه على أي حال
 يوم وسره إلى نيويورك في تلك الأيام الطرد من سنة ١٨٨٨ .
 وهي نيويورك صبح الجريون السابقون هذا المهاجر الجديد
 ورحلته الإربية بالأمم إلى الداخل .. إلى الولايات الأخرى ..
 والصل كلفة محولين . لأن أحدا منهم لا عرف كلمة واحدة من
 اللغة الإنجليزية .. وربما كان هذا العمل أحسن طريقة بالنسبة
 لهم لكي يتعلموا الإنجليزية من واقع الحياة الأمريكية .
 وعملا .. منا سجد رحلته في ولايات أمريكا كاتع منحول ..
 شسري الضلع بالصفة وبمها بالقطر . لأن رحلته - مع رفاله
 الأربعة استمرت ثلاث سنوات . في تلك السنوات قام الرجال
 الحصة بالتحول ، بالبيع والشراء ، وتعلم اللغة الإنجليزية . بعد
 السنوات الثلاث عادوا إلى نيويورك . قليل من الاستغفار ثم
 التحقوا بفرصة مالية . بعد فترة بسيطة عاد سجد إلى عمله
 كباتع منحول . هذه المرة انحصر تحوله في ولاية كاليفورنيا
 من كاليفورنيا عاد إلى نيويورك من جديد لكي يلا محس الدائرة .
 نهاية وبهابة .

وقيل أن يماند سجد نيويورك هذه المرة . كان قد بدأ محس أنه
 قد أصبح ثريا بشكل ما . وكثير منه عن هذه الثروة .. أرسل
 حوالة برقية إلى أخيه في سوريا .. حوالة بمبلغ مائتي دولار .
 وفي اليوم التالي لوصول هذه الحوالة إلى الأخ المتلهف المنظر
 في سوريا .. كان أرمون سوريا - من أسرة طرس سجد وأقربائه
 قد حرموا أصنامهم مهاجرين إلى نيويورك . ليكوبوا في رعاية
 أخيه الذي أصبح مسوطنا هناك .

× × ×

هذا الشكل استطاع عدد المهاجرين العرب في أمريكا - سوريين
 لساتين أن يصل إلى ربع مليون شخص قبل شسبوب الحرب
 المالية الثانية .

ومن المفسد أن تتسلط ماهو موزح الأشخاص الذي كان يطلب
 على تلك الهجرة ؟ ماهو نوع الكماليات التي كان يتمتع بها ؟ وما هي
 الأممال التي كانت متاحة لأهلها ؟ ..

أن معظم العرب الذين هاجروا إلى أمريكا في الحسرب المالية
 الثانية كانوا : فمراء غير متعلمين غير مهرة غير محترفين
 الزراعة أو التجارة وسجلون اللغة الإنجليزية . أن تصمم أنهم به
 المكان إلى الولايات الجنوبية في أمريكا .. حيث الحاجة الماسة إلى

هناك المزارع باجور منخفضة .. وحيث استطاع بعضهم ان
 يتسرى بعد هزئه مزودة العاصفة في ولايات جورجيا .. او
 تكساس .. او تينيسي .. او ميسيسبي او مونتسكيو او اريزونا
 وبعضهم تقريبا استقروا في ولايات السطوح الرقعي لأمريكا .. في
 يوبورك .. او يوجورسي .. لو سلفانيا .. او بوانسابلاند
 أما الآخرون فقد عملوا كإبنة مجولين في مختلف الولايات
 اختسروا محلات ماله .. او عملوا في الخراف والمراحيض والمخيم
 والصيغة المزدخبة بعد هذا كله ففهم جميعا واحسبوا في النهاية
 ظروف اقتصاده صعبة .. طبع فبتها في سنوات الكساد العظيم
 بالبركا في اواخر الثلاثينات فقد وجدوا انهم النكائل والمواجر
 والقصص فقد داموا أحيانا عبود الصر ومرارة الجوع .. لقد
 تعرضوا للاستغلال بواسطة التحضر الصحي الذي اعطوهم اقل
 القليل .. ولكنهم - قليلا وبالفرج - استطاعوا ان يصفوا على
 الهزيمة المؤقتة .. ان الكساد لم يحرمهم ، لانهم كانوا فقراء أصلا ،
 غير محرومين أصلا ، لهذا استطاعوا البقاء حتى تمر العاصفة وحيثما
 حدث فبعض البطالة استطاع كل منهم ان يطور برأيه - برأيه
 فقط - فوق تيار البطالة .. وثمنا معدي في البحر حيثما لهب
 العاصفة .. حيث نحو القوارب الصغيرة من القرى .. غابم
 استطاعوا النجاة بأنفسهم في الوقت الذي غرق فيه غيرهم
 واستطاعوا العمل .. حيثما لمثل غيرهم .

انهم لم يعودوا الى بلادهم لانهم لم يستطيعوا قبول اليأس
 كنتيجة أخيرة لهذه المرحلة الطويلة ، هذا جزء من سيكولوجية
 المهاجر عندما يواجه هذا الموقف .. ان اليأس صماء القنصل ..
 والديسل صماء الهزيمة ، والهزيمة صماء ان تبسبها « شحنة »
 الأمل .. وبطفتها يجب الإحباط والإفراغ . لهذا لم يكن اعلمهم
 بعيد من العمل - والعمل النكالي - ان اختبارهم لهذه التجربة
 الفعالة مثلا هو إحدى التسهيلات التي قبلوها حتى يتغلبوا اليأس
 والقتل والهزيمة .. فان تكون دائما محولا في أمريكا - في تلك الأيام
 المكرة في القرن العشرين - مماها ان تعمل بضاعتك على كسك
 وبيعك المثل دائما دائما ومع اشتغال العمل في أمريكا ولتتها صفات
 طويلة بالصنم والزراع .. مع المسافات الطويلة التي كانت تفصل
 منازلهم من المراكز التجارية .. فان السلع المحصول في أمريكا كان
 صعب بين الاوساط الفقيرة في تلك الأيام راقرا مطلوبوا في أي منزل
 انه صديق ياتي بالمشايخ الطويلة ، مثلما ياتي ليطلب بالاعمال المتغيرة
 ان السودين واللاتين الذين عارسوا هذا العمل اكتسبوا

الولايات المتحدة مرد ومرد من شاطئ الى شاطئ . لقد تحولوا الى امريكا ولاية ولانه . عتبة مدنة . شلوا شلوا . . . مولا مولا . ان هذا السوري ، هذا اللبناني المهاجر . . . هذا الناجح المحول . كان ظل طوال النهار يبيع . وتحول الى ان يحسب مكافاته في آخر الليل انها مكافاة لا تزيد عن واحة مساحة ومكان عام فيه . انه سكن في بيت مزدحم بزملائه المهاجرين العرب المحولين مثله . بيت مزدحم بغير ما تنبع الارض لاجسادهم القائمة . انهم ينامون معا . . . ياكلون معا . . . يواجهون القصر المحول معا في هذه الارض الجديدة معا .

لم يكن امام السوري او اللبناني المهاجر بديل من تلك الحياة الشاقة . انه معلم الثروة . . . معلوم المعرفة . . . جامل بالفة . لهذا كان محتاجا الى مثل هذا الحل لتتصامم مع المجتمع . ومع قبوله بالاجر المخفض واستمداه الحياة عند حلقها الاذي ، فان تاجر الجملة كان محتاجا له . . . محتاجا لتفيله كوحدة بيع مستقلة . . . باقل التكاليف

واحرانا كان هذا اللبناني الناجح المحول يصبح . بعد فترة من الوقت تاجر جملة . ساعتهما كان يقوم باستئجاره مجموعة جديدة من اقربائه ورفاقه القادمين بسوريا ولبنان . . . لكي يملوا معه نفس الضرورة من جديد . هو تاجر الجملة . . . وهم الباعة التجولون . ان المارق في هذه الحالة هو انه سوف يتولى رعايتهم باكثر مما راعاه الناجر البسيط . انه سوف يوفر لهم المسكن وسوف يتعامل باسمهم مع السلطات المحلية . وسوف يرضى رعايتهم ، وسجل مشاكلهم ويدخر لحسابهم . هكذا حصل الآلاف من اللبنانيين والسوريين في امريكا . هكذا حصل مثلا سيدة لبنانية في مدنة سبرينغفيلد اسمها منورة مربية . انها هي نفسها تلك الحياة في امريكا كيانها منقولة . قل ان تصل . مع زوجها . الى بحارة الجملة . ان السوريين والسوريين في حيلهم المهاجر الاول بامريكا . استظفوا الوصول الى هذه النيحة من خلال مباديتهم النواصية في التجارة المنقولة ، ومجلات العالة والرات والقاضي والمطام ومجلات الحرلة والعراشات والمزارع والسكك الحديدية ان هذه النيحة تلو مدته . في الواقع ان مجرد استمراريهم بدو مدتها . لو تذكرنا المستوى التمايزي المنخفض جدا الذي بدأوا منه حياتهم في امريكا . مستوى لم يضمن . في الضالية الضمن من الحالات . مجرد معرفة عشر كلمات من اللغة الانجليزية

منوى فرض عليهم - عند وصولهم الى أمريكا - أن يدخلوا المجتمع من القاع تماما - من تحت النافذ أحيانا . أنهم .. عندما وصلوا أمدتهم على أول درجة في السلم .. تمكنوا .. بأنبيهم وأندامهم وأسبنتهم - من الوصول الى تلك الدرجة التي أصبحوا عندها في حيلهم التى جزأ من الإعليه في أمريكا - جزأ من الطبقة المتوسطة .

إن الحواجز العالية الكثيرة التى واجهت المهاجرين السوديين والهنديين في البداية كانت ضخمة . يكفى هنا جعلهم بالأمه . يكفى أن تعلم أن ١٧ من الجيل الأول في أمريكا سجل أن تعلم الله الإنجليزية كان أكثر المصائب التى واجهه بالنسبة للاسماج في المجتمع . فلأنهم كانوا لا تعلم ولا لغة ولا ثقافة فقد كان كل شيء في أمريكا يشغلهم غريبا عليهم . كل شيء غريب .. كل شيء صعب المهم .. مستحيل الإدراك . إن فكيفهم مع المجتمع في البداية واجهته حواجز جعلتهم مضطرين الى التجمع معا - كأدرب أو مجرد زملاء - في مناطق سكنية متجاورة كالمطوب من المسايه الدفاع من النص لقاعيا . من هذا الدماغ بنا تكيفهم مع المجتمع . بدأ من نقطة الصفر . وإذا كان المهاجر القوي قد استطاع أن يؤخر اندماجهم في المجتمع الجديد خلال حيلهم الأول .. قلته - من ناحية أخرى - حافظ على تراثهم العربي الذى حاولوه من مجتمعهم القديم .. من سوريا ولبنان . لقد جعلهم يسرعون الى إقامة أحيالهم الخاصة وبناء كيهم الخاصة ومجتمعهم الخاص وأمسار صفحاتهم الخاصة معم .. لجأ السوديون والهنديون الى التركز معا في أحياء خاصة ومنازل متجاورة . وأحيانا كانت هذه الأحياء تتحول الى « مستعمرات » لتيه وسورية داخل مدن أمريكا . مثل شوارع واشنطن مثلا في بيورولد قبل سنوات .. وشوارع بروكلين في بيورولد الآن .

ولجأوا أيضا الى إقامة كتائبهم الخاصة ومساكنهم الخاصة وبوادهم الخاصة . إن معظم المهاجرين العرب الأوائل الى أمريكا كانوا مسيحيين إن المهاجر العربي المسلم كان يعد نفسه هنا من القاية . أقلية . ولكن العربي المسيحي كان يعد نفسه - أيضا - أقلية . إن الاثنين الآن كتفا شعرا ن بينهما في موقف واحد من الدفاع الثماني والروحي داخل هذا المجتمع الجديد . إن العربي المسيحي لم يعد في كتيبة هذا المجتمع بدلا من كتيبته هو .. لهذا استطاع أن يقيم خمسين كنيسة عربية في أمريكا . والعربي المسلم

كان هو الآخر يجد ان ماء المسح ضروري بالنسبة له لكي يحفظ جواله بها . لهذا نام بينه 17 مسجدا وأربعة مراكز اسلامية في أمريكا . مراكز ومساجد تبعتها الآن في واشنطن العاصمة .. في ديترويت .. في ميتشغان .. في لويس آنجوس .. في نيويورك .. في شيكاغو في مسلماتيا الخ

وقبل أن يتم بناء أول مسجد اسلامي في أمريكا سنة 1919 . كانت الكنيسة المربية قد بناها في أمريكا قبله بخمسين سنة ان العاري اتردى لم يكن هناك . لأن الكنيسة والمسجد لم يكونا مجرد كية ومسجد بالنسبة للمربي المهاجر سواء كان مسيحيا أو مسلما . لقد كانت الكنيسة أكثر من مجرد كنيسة ، والمسجد أكثر من مجرد مسجد . ان كليهما كان رمزا للتاريخ ، رمزا لحضارته .. لتراث .. لتعاقة .. ورمزا لارتباط روعى بأسرة وميراث وأرض تقع هناك بعيدا . في الشرق الأوسط . لهذا كان المسجد والكنيسة بدلا من الآخر . حينما وجدت الكنيسة ليس بيت للمسلم والمسيحي . حينما وجد المسجد فهو رمز واحد عند المسيحي والمسلم . انها سيكولوجية الاقلية - الاثني معا اقلية - ضمن هذا المصنع العنصر . انها سيكولوجية الدفاع عن النفس . انها نفس السيكولوجية التي وقعت وراء اصطناع اليساريين واليساريين لصحفتهم الخاصة . صحف مائة المربية بدأت اتحالية المهاجرة من اللاتين واليساريين في اصلها داخل أمريكا نفسها ان مشاكل الحياة وضرورات التكيف مع المصنع الحديث لم تمنع هؤلاء المهاجرين الأوائل من اقامة نشاط ثقافي مشترك

وكالعلاء دائما .. كتب الصحافة هي أول نصير عن هذا النشاط فيديات الحالية المربية في نيويورك اصلها صحيفة « كوكب الشرق » .. كأول جريدة مائة المربية في أمريكا . بعدها تلعب صدور الصحف المربية على مر السنين حريده « الأيام » مثلا . « الناصر » يوسف مطروف . جريدة « الإصلاح » « الناصر » شلى داموسي . جريدة « الهدى » « الناصر » « الحوان مكرول . جريدة « امرأة الغرب » . « الناصر » نجيب دياب . جريدة « المصالح » . « الناصر » عبد المسيح حنادة . جريدة « المسير » . « الناصر » ايليا أبو طاني .

ان هذه الصحف وغيرها كثير ليست دور الرمز المشترك ، والتصير المشترك ، القسطن المشترك ... هؤلاء المهاجرين الأوائل القادمين من الشام .. بالإضافة الى دورها التقليدي في ربط المتشركين منهم معا .

ومل ان يسمى سنة ١٩٢٠ كان هذا التعبير الثقافي المشترك قد
 اشد حطوه اخرى الى الامام .. عندما قام بعض المثقفين العرب -
 الان بدأ وجود المثقفين العرب - في تشكيل جمعية اسموها «رابطة
 الكلاميات» . رابطة لأهل الشعر والنثر منهم . ان أنماجهم من
 الشعر كان يمسك روحا رومانتيكية بجهة مياثيرية مع شيء من
 الواقعية في أنماجهم الأدبي من النثر . ان المجموعة المؤسسة لتلك
 الرابطة تقابلت أولا في منزل حران خليل جبور في مدينة بيوروك .
 مصنوعة كانت تضم اسما لامعا من القيمين والمهجر . من بينهم
 مثلا : ميخائيل نعيمة . عبد المسيح حداد . أمين فياض .
 وأجاليا أبو ماضي .

ومن الان فصاعدا سوف بدأ عجلة الحياة في النورال بهؤلاء
 المهاجرين العرب في أمريكا . ان الحواجز العالية أمامهم تتساقط
 واحدا بعد الآخر . ان تعاملهم مع المجتمع بدأ يصبح أسهل . .
 ان لهم الانظرية بدأت تصبح كافية . ان مذهبهم يسو بسرعة .
 ان صحتهم الاممادي يحث تدريجيا نحو القوة . ان أحياءهم
 المقرب تحولت هذه الى مساكين أجف . أوضاعهم المتواضعة بدأت
 تحول الى ثروة واسعة . لهذا بدأ يفتد منهم نحو الى درجة
 سمح له بالاعمال من شارع وانطن في بيوروك الى الشارع
 لعاصي - شارع الكوك ورجال الأعمال في مدينة بيوروك . في
 هذا الشارع نابض ظهور عدد من أبنائهم : سليم ملوك - مسنود .
 عائلة البردويل - تمار . عائلة حنارة - تمار . سليم تانديس .
 مسنود للصحافة الفارسية البر سليمان وأخوان طيبة .
 مسنودون أيضا الصحابة الفارسية .

ان هذه الاعمال المترابطة في المهاجرين القبايل والسوريين قد
 بدأت تتصرف الان بية الاضطراب . ان كلامهم قام باستعمال
 اسره و « استيراد » دوجه من قريه الاسلية في الشام . راحة
 جاد بها لكي تسعد في ادارة محل البقالة الذي أصبح هو مالكة او
 محطة التبريد التي أصبحت مملوكة او محل الاربع الذي يملك وابله
 . . انهم يشكلون لأنفسهم النوادي والجمعيات الحزبية . انهم
 يجمعون من بعضهم التمرحات لأقرباء كتيهم الحاضرة او
 مسجلهم الخاص .

ان تأكيدهم في المجتمع ومعلم لنوه يبدأ في الظهور شيئا فشيئا
 . . ان المجتمع نفسه يمر من تقديره لهم بطريقة تنمو مع نمو
 نشاطهم . فتمتلكوا المحل الحالية اللبنانية النورية في مدينة
 سبرنجفيلد مثلا بمرور ٢٥ سنة على قدومهم من المدينة -

احتمالا جرى في سنة ١٩٢٨ - ان الاحتمال بحضره هذه المؤتمرات والشريف ومساعد النائب العام وبعض اعضاء الكونجرس ورجال الكنيسة الكاثوليكية . ولكن .. عندما نحتفل بمراسم الجالية - في نفس المدينة . بعد ٢٥ سنة اخرى - يعود خمسين سنة على علوم عميدهم الى سوريه - فلي الاحتمال بحضره حاكم الولاية . بالامامة الى عمدة المدينة وبعض اعضاء الكونجرس و .. رسالة نهضة من البيت الابيض :

انهم الاب - المهاجرون القرب في امريكا - اصبحوا من القوة والعدد بما سمح لهم بالتحول الى جزء هام من المجتمع الأمريكي . وحيثما نظر الآن الى تحصيلهم ولما قدمه سوف بعد فورا ونما عددها .. سوف بعد ان عقد العرب المهاجرين الآن في امريكا ، او الأمريكيين الحاليين ذوي الاصل العربي ، قد وصل الى رقم المليون . وسوف بعد انهم مائرون في عدد من ولايات امريكا على النحو التالي

أريزونا ٢٠.٠٠٠ - كاليفورنيا ٢٠.٠٠٠ - كونيتيكت ١٧.٠٠٠ - فلوريدا ٢٠.٠٠٠ - جورجيا ١٢.٠٠٠ - اليوسيف ١١.٠٠٠ - انديانا ٢٢.٠٠٠ - ايووا ٢.٠٠٠ - كانساس ١٠.٠٠٠ - كنتاكي ١٢.٠٠٠ - ماريلند ١٠.٠٠٠ - ماساتشوستس ١٢.٠٠٠ - ميشيغان ١١.٠٠٠ - مينيسوتا ١٠.٠٠٠ - ميسوري ٢٠.٠٠٠ - نيويورك ٢٠.٠٠٠ - بنسلفانيا ٢٠.٠٠٠ - تينيسي ١٢.٠٠٠ - اوكلاهوما ١٢.٠٠٠ - بنسلفانيا ٢٠.٠٠٠ - نبراسكا ١٢.٠٠٠ - نيفادا ١٠.٠٠٠ - نيفيس ١٠.٠٠٠ - فرجينيا ١٠.٠٠٠ - ولايات اخرى ١٠.٠٠٠ - مجموع ٨٨.٠٠٠

ان هؤلاء الذين هم العرب يضاف اليهم مائة الف اخرين هاجروا الى الولايات المتحدة في السنوات العشر الاخيرة . وبذلك يصبح العدد الاحتمالي للمهاجرين العرب في امريكا حسب آخر احصاء هو ٩٨ الف . اي ثمة من بين كل مائتي مواطن أمريكي الآن . سوف بعد مواطن واحد عربيا ، او امريكيا من اصل عربي . ان هؤلاء المهاجرين وصلوا الى امريكا في أربع موجات متتالية :

● **الموجة الاولى :** هم الذين تكلموا هم في بداية هذا الفصل - هؤلاء المزارعون او التجار الفقراء الذين سافروا الى امريكا حتى نشوب الحرب العالمية الاولى . ان متوسط السن من مهاجري تلك الموجة هو ٢٤ سنة ، و ٦٠٪ منهم كانوا غير متزوجين ، وعنفسا تزوجوا من ٨٨٪ منهم جاءوا بزواجهم من قرانهم الاصالية .

● **الموجة الثانية :** هم الذين هاجروا الى امريكا بين سنتي ١٩٢٠ الى ١٩٣٠ . وهؤلاء يتكونون اسلا من ابناء فلسطين الذين هاجروا الى الولايات المتحدة تحت ضغط الأزمة الاقتصادية التي

نشأت من بداية سيطرة اليهود على كثير من قطاعات الاقتصاد في فلسطين بالإضافة إلى قطاعات كثيرة من أطراف المهاجرين اللبنانيين والسوريين الأوائل . وهذه الموجة بدأت تشهد تحول المهاجرين من مجرد عمال .. إلى أشخاص ينتمون إلى الطبقة المتوسطة .

● **الموجة الثالثة :** بدأت تصل إلى الولايات المتحدة منذ عام ١٩٤٧ . وفي هذه المرة أصبح الفلسطينيون أغلبية في هذه الموجة من المهاجرين . فقد كان هذا يرجع إلى الأسلة التي قامت بها الحركة الصهيونية عندما طردت وشردت أكثر من مليون فلسطيني من بلادهم ..

ويضاف إلى ذلك أن هذه الموجة بدأت تضم أيضا عددا من الأردنيين والمصريين - الآن يوجد مصريون لأول مرة - ذهبوا إلى الولايات المتحدة للعمل أو التدريس والتدريب والتعليم .. ثم اختاروا البقاء . معنى ذلك أن هذه الموجة تقف على طرفي تقريظ مع الموجة الأولى .. فبعض حملت الموجة الأولى مهاجرين غير متعلمين ، حملت هذه الموجة مهاجرين متعلمين أساسا . وبما استقر المهاجرون الأوائل في أعمال التجارة المتجولة ، أو الزراعة .. فإن هذه الموجة أصبحت إلى التمسك في المدن الكبرى بولايات أمريكا .. لأنها حملت بالتدريس أو المهنة المهنية المتخصصة في أنحاء أمريكا .. وانتهاء من هذه الموجة فقط .. أصبح من الشائع الآن أن نرى جلسة أمريكية أو حتى كلية .. يديرها مصري في هيئة التدريس .. أو حتى مجرد طلبة في الدراسات العليا ..

● **الموجة الرابعة :** بدأت منذ عام ١٩٥٧ ، وطوال السنوات العشر التالية . في تلك الفترة هاجر إلى الولايات المتحدة سبعون ألف مصري ، يضاف إليهم ثلاثون ألفا منذ سنة ١٩٦٧ .. حيث ساعد قانون الهجرة الأمريكي الجديد الذي صدر في أول يوليو ١٩٦٨ على أن يقوم كثير من الأمريكيين ذوي الأعمال المربحة بطلب اقترابهم كمهاجرين .

ومرة أخرى نجد أن هذه الموجة طلب عليها - أكثر من أي موجة سابقة - النموذج المصري المتعلم ، التخصص الدقيق . ونلاحظ أيضا أنها تضم نسبة كبيرة من المصريين الذين ذهبوا إلى هناك - يحكم قلوبهم - ليصبحوا أساتذة في الجامعات أو أطباء أو مهندسين أو فنيين . وبعضهم أحرز شهرة واسعة في مجال عمله خلال سنوات قليلة من وصوله .

وسوف نلاحظ أيضا أن تمتع المهاجرين في هذه الموجة بكفالات

تأجيلية عالية ومتخصصة ، قد ومعهم في مركز قوة أفضل .
من حيث القدرة على التساوم والحصول على فرص أحسن أو
أسواق أفضل بالولايات المتحدة

وستطرح أن تخرج من الموجات السابقة أيضا بأن المهاجرين
العرب القويين في الولايات المتحدة الآن يمكن تقسيمهم بشكل آخر .
● أولا : هناك مهاجرون محد وقطوبل - يتكون ثلاثة أجيال
جدودا وآباء وأبناء . هؤلاء سوريون ولبنانيون في نسبتهم

الكبرى . . .

● وثانيا : هناك مهاجرون منذ وقت قريب نسبيا ذهبوا يبحثون
من العمل والاستقرار المينى ، ومعظمهم من الفلسطينيين والعراقيين
وبعض العراقيين والأردنيين .

ومن الطبيعي أن يحضر كلاهما هنا من القسم الأول ، أي
المهاجرون الذين يرجع أصلهم في الغالب إلى لبنان أو سوريا . .
فلماذا هم الذين نكسناهم من البداية ، وهم الذين يمكن أن نابع
النتائج التي حققوها حتى الآن . كمهاجرين ، وهم الذين تستطيع
مقارنتهم في النهاية بالمهاجرين العديدين ، الذين وصلوا إلى أمريكا
منذ مطلع الخمسينات .

إننا سوف نلاحظ أولا أن المشكلة الأولى للجيل الأول من
المهاجرين اللبنانيين والسوريين كانت هي التكيف مع هذا
المجتمع الجديد أبناء من الصغر ، أبناء من مجرد فهم اللغة
الإنجليزية معها . الآن أخذت هذه المشكلة من الجيل الثاني ،
جيل الأبناء الذي ولد متجنسا بالجنسية الأمريكية .

وسوف نلاحظ أيضا أنه بعد أن كان الجيل الأول يتكلم اللغة
العربية ويعمل الإنجليزية ، أصبح الجيل الثاني - جيل الأبناء
الذين ولدوا بالأمريكا - يتكلم الإنجليزية ويعمل العربية . أن ٧٠٪
من هذا الجيل الثاني ، و ٧١٪ من أبنائه . . لا يفهمون ولا يتكلمون
ولا يكتبون اللغة العربية .

وهنا سوف نضع أحيانا على ظاهرة غريبة . أن هذا الجيل
الحالي من الأبناء أكثر ارتباطا مع تراث وتراث وانتماءات أمته
العربية ، مما كان عليه آباءه الذين هاجروا في البداية . أنها ظاهرة
لاحظتها أكثر من مرة في أمريكا ، ورغم أن الآباء كانوا أقرب إلى تراث
بلادهم العربية من أمتهم . ورغم أن الأبناء يجهدون حتى الحديث
باللغة العربية . ولكن وجه العزلة يغتلف عندما تعلم أن الجيل
الأول كان أكثر اعتمادا متوفر الطعام منه بمتانة قضايا بعد . .
حكم الصغارى . كما أننا بالإضافة إلى ذلك سوف نجد شيئا لهذا

النظرة من الحبل الثلث للمهاجرين اللان أو اليابانيين في أمريكا خلال سنوات الثلاثيات والأربعينات .

ولو نظرنا إلى هذا الجيل العالي من المهاجرين ذوي الأصل اللاتني أو السوري - في مقارنة مع الجيل الأول من أبائهم وأجدادهم الذين جاءوا إلى أمريكا قبل نهاية القرن التاسع عشر أو في مطلع القرن العشرين . . فلما سوف نضع أيدنا فوقاً على اختلافات رئيسية بين النموذجين . . أوجه اختلاف . . وأوجه تشابه أيضاً .

فالواحد الأمريكي البطلي . . صاحب الأصل اللاتني أو السوري . . هو شخص يتحول تدريجياً إلى الأصل المتخصصة التي نحتاج إلى كمالات أكبر وتعليم أطول . . هذا خلاف . . ولكنه ما زال من ناحية أخرى يفضل أن يكون هو صاحب العمل وليس مجرّد مستخدم . هذا استمرّر . . أنه لما لم يكن صاحب عمل . . فإنه يسمي ليكون كذلك فما . لهذا نجد الآن قد أصبح فضلاً - أو هو في طريقه إلى أن يكون - صاحب رأس المال في الأعمال التجارية وشروعات التأمين ، العقارات ، التسيل ، ومعدات النظافة . . .

أما الآن - بعكس جده أو أبيه - متعلم . في الواقع إن تعليمه كان قد فعل المشكلة التي واجهها جده وأبوه . فقد أنتحل أبوه عن التعليم في البداية بشككة أكثر الطحاً ، وهي مجرد إبقاء حياً . . وعندما أصبح الأب إلى عدم التعليم بمصره في مجال اختيار محدود للغاية . . أمر على تعليم ابنه حتى النهاية . . وبينما كان الأب يفتق معظم أمواله على الطعام والملبس والسكن ، فإن الابن العالي أصبح لديه مايسمح له شراء ثيابهم والضيافة في البورصة والإسفار لشراء منزل . . وبينما كان جده مشغولاً بالعبادة ، وكان أبوه مشغولاً بالعبادة السعيدة ، أصبح الابن مشغولاً بالعبادة مع الروة . . فقد كان جده يتكلم العربية ويجهل الإنجليزية ولمهم العربية أما هو فإنه الآن يتكلم الإنجليزية بطلاقة طمأ . ويتكلم الفرنسية أيضاً . ولكنه لا يتكلم العربية ولا يفهمها . . أنه الآن يأكل الهامبرجر الأمريكي والخبز . . ولكنه في المنزل يفضل الطعام العربي كل يوم أحد . إن مايمتد زوجته من تقديم الطعام العربي كل يوم هو الوقت المفضل . ومع ذلك . . فإنه حتى في الأيام العادية . . سوف نجده . . يتناول الطعام الأمريكي في منزله . . بعد إجراء التحسينات المرمية عليه ، وبعد أن يصبح مكاناً على مائدة لطق من الكسبة البتنة . .

أما الآن يستمتع إلى مونيكي المال خارج منزله وإلى فيروز . مع أنه لا يفهمها . داخل منزله . أنه يرفض التمتع كل أسبوع

.. والديكة كل شهر . ان يراجه المصلحة في التليخزيون هي الاسمراخيص والرياحه والاحبر وبمضى البرامج السياسي . انه مع الحرب الجمهوري محمته ، ومع الحزب الديمقراطي بمواظف وانه الذي راي سنوات الكساد العظيم . ان عززه الفقيه في داخله الهوى ما يكن . جزئيا بسبب الرعه في الامن . . وجزئيا بسبب الامل في الثروة . انه مؤمن في الاقتصاد جيدا لانه يعمل . وفي السياسة جيدا « دعه يتكلم » وفي السكن جيدا « دعه يرفع الإيجار » . لانه هو شخصيا مالك منزل . ان كل رطله امريكيون ، ومعظم اصداقاته لبنانيون ، وبمضى جيرانه مصريون . انه يكره الفقر لانه لم يحصل على الترفيقه من الطبقة الصالحة الا مؤخرا . ويسمى بدا جده حبياته في أمريكا عاملا ، أصبح ابوه متوسطا ، وهو الآن يحاول ان يحتفظ بمكانه فوق الطبقة المتوسطة . ان احدي عينه تنطق في قمة الجبل ، واليمين الاخرى تفرغ من العروة الى السطح .

هذا هو المواطن الأمريكي ذو الأصل اللاتني السوري . . الذي اصح اليوم تسميه حبه تلك الموجات الاولى من المهاجرين العرب ، التي دعت الى أمريكا قبل نهاية القرن التاسع عشر ومع بدايه القرن العشرين . هذا هو المواطن الذي أصبح يمثل الآن - بعد أن لحق به مؤخرا مصريون وعراقيون وفلسطينيون وإردوبيون - مليون مواطن في أمريكا .

والسؤال الآن : لماذا نحن لا نسمع عن نشاط مؤثر لهذا العدد الضخم الموجود فعلا داخل أمريكا كمواطنين امريكيين ؟ لماذا لا نسمع عن ضغط سياسي فعال لهذه الأقلية العربية الأمريكية ، يساوي على الأقل مع ما يمارسه كل أقلية أخرى داخل دوائر السياسة الأمريكية ؟

ولكن يكون الأمر معهودا . . فلماذا ان اقرر سذنبنا ان الحرب الفلسطينية سنة ١٩٤٧ ، ثم حرب ١٩٦٧ قد أدت الهزيمة العربية فيهما الى الال كل مربي في أمريكا بشكل مرع ومرعب . ان هذا يبدو أكثر وضوحا ، وأكثر إلما أيضا ، خصوصا بعد النكسة المروعة التي وقعت لعرب امام اسرائيل في تلك الأيام السوداء من سنة ١٩٦٧ . ان هذه الهزيمة قد جعلت هؤلاء المهاجرين ينقسمون في ودود فطهم الى قسمين :

القسم الأول : وهو الأقلية . . يتكون من هؤلاء الذين راوا في الموضوع كله مجرد هزيمة عربية لا يمكن تبريرها ولا تصورها .

من مصادره الرئيسية في العلوم عنها وعن الأسابيع السابقة عليها تعتمد على الصحف الأمريكية والتليفزيون الأمريكي - وهذا الجسم كان رد عمله السلي هو التكرار مطلقا لأصطلح العريين .

القسم الثاني : وهو الاغلبية . . . لم ير الهزيمة كمجرد مواجهة عسكرية تمت بين العرب واسرائيل ، ولكنه رأى أيضا للدور الأمريكي السابق واللاحق في تأييد الوجود الاسرائيلي . وقد كان رد فعل هذه الاغلبية هو فقدان الثقة في صحة السياسة الأمريكية بالشرق الأوسط واعتزاز ايدهم بصحة فئتي هذه السياسة مع المصالح الحقيقية لأمريكا في الشرق الأوسط . ان هذه الاغلبية هي التي بدأت تطلي مجهودها لشرح وتفسير حقيقة الموقف في الشرق الأوسط للرأي العام الأمريكي ، وهذه ايضا تومر فلعده مبدئية تعمل منها المقاومة الفلسطينية لا يورث النقصية الفلسطينية في مواجهة الاحتلال الاسرائيلي . مواجهة تبدو على حقيقتها لأول مرة .

ولقد بدأ هذا النشاط يصب في تنظيمات جديدة تتكون ، او منظمات سابقة اعيدت إليها الحياة . انها منظمات تضم شخصيات أمريكية واعية ، بالإضافة الى اعتمادها على الوجود العربي في أمريكا .

ولكن . . . يعود السؤال مرة أخرى لماذا لم تستطع كل هذه التنظيمات ، في امتداد السنوات السابقة ، ان تخلق فضلا انصاعات مؤثرة في الرأي العام الأمريكي ؟ لماذا - برغم هذه التنظيمات - لم تستطع الاغلبية العربية في أمريكا ان تسيطر ضغوطا كالتى تباشرها الاقلية اليهودية هناك ؟ لماذا - على الأقل - لم تنظم حركات احتجاج ضد وسائل الاعلام كالتى نظمتها الايطاليون مثلا ضد برامج التليفزيون التى تصورهم كمجرمين ؟

ان مثل هذه الضغوط - مثل هذه الجهود لشرح الحقائق - لابد ان يصير هناك ، هناك هذا المليون عريين . وهي لابد ان من القاع . . . فالاسانفد العرب موجودون في كل الجلسات والضيوف العرب يحصلون في معظم الحالات التى لم يعمل فيها آباؤهم ان الامداد والامكانيات الشريفة متوافرة اذن . . . ومع ذلك فانها لم تنظم حتى الآن بشكل مرض على الاطلاق . هذه هي المشكلة التى لم تحل حتى الآن مع أنها لو تم حلها . . . لاستطاعت ان تحقق نتائج خيالية . يكفى أنها تستطيع ان تقدم الوجه الحقيقي للقضية العربية . . . الى مجتمع لا توجد فيه اقلية . مجتمع الغالبية هي مجموعة الاقليات التى تعيش في داخله ١ .

عودة إلى المصريين : فتانے بدلا أبوابے !



جرمی سیتی . . . هي مجرد مدينة امريكية تبعد عن نيويورك
١٥ دقيقة بالسيارة . ولأن السكان غالبية في نيويورك . . . ولخص
قليلا في خارج نيويورك . . . فلان عددا من المصريين المهاجرين
العاملين بنيويورك يختارون مساكنهم في جرمي سیتی . . .

وعندما بدأ المصريون يتوالفون بكثرة على تلك اللجنة الامريكية
- جرمي سیتی - بدأوا يهتمون بهم أصبحوا يشكلون غالبية
يتزايد عددها يوما بعد يوم . وعندما فكرت هذه اللجنة المصرية
في تنظيم نشاطها الاجتماعي والروحي بدأت تسعد الخسوف .
ان اول خطوة قلها اللجنة المصرية في جرمي سیتی كانت تحمل
رقما بسيطا : ثلاثين الف دولار - هذا هو المبلغ الذي كان يجب

على الجالية المصرية في جرسى سيتي ان تسدده خلال اسبوعين .
 و . . . فعلا . في خلال اسبوعين سددت الجالية المصرية فاتورة
 الحساب . سددت الثلاثين ألف دولار . . من مجرد التبرعات التي
 جمعها المصريون في جرسى سيتي من بعضهم البعض .
 ان هذا المبلغ كان ثمن شراء كنيسة جرسى سيتي . كنيسة
 ساهم المصريون المهاجرون بنيوورك وجرسى سيتي - مسيحيين
 ومسلمين - في تبرع لشراؤها . انها تقع الآن في ١٢٧ ويست ساید
 اينيو بجرسى سيتي . انها أصبحت أول كنيسة قطرية يملكها
 المصريون في أمريكا وأوروبا معا . انها ليست مجرد كنيسة يشتريها
 المصريون لممارسة نشاطهم الديني . . ولكنهم اشتروها لتكون
 فوق هذا مركزا لنشاط وطني واجتماعي . . ومركزا لمساعدة
 المهاجرين الجدد اليها . .

وعندما ذهبت لأرور هذه الكنيسة في جرسى سيتي . قابلت
 هناك الدكتور ماهر كامل - ٥٢ سنة - الذي ساهم مساهمة
 أساسية في تولد الكنيسة الجديدة ، بعد أن فرغ من عمله أيومي
 كمعيد لمعهد نشرون الشرق الأوسط في جامعة جرسى سيتي . وفي
 المرات المتعددة التي قابلت فيها الدكتور ماهر كان يقول لي
 . . . انا كما تريد شراء هذه الكنيسة أصلا في مدينة نيويورك.
 ولكن كل الكنائس التي رأيتها لا تقبل أن الواحد من مليون دولار
 ولم يثرأل أعلى كثيرا من امكانيات كمهاجرين مصريين حديثين
 في أمريكا . . .

٩ . . . ولأن مدينة جرسى سيتي تسمى عطيا صاحبة من صواحي
 نيويورك . . . من البديل التالي كان هو الشراء من كنيسة ها
 شريها لنظم المصريون القيمين في نيويورك وجرسى سيتي معا .
 ١٠ . في البداية وحقا أن الثمن الأعلى لهذه الكنيسة هو
 ١١ آلاف دولار ، بالإضافة إلى التجهيزات الأخرى الواردة بها . .
 ولكن عندما تفاوسا معهم ها مررنا طلبا يجمع لنا اثنين
 ألف دولار .

١١ . في الحقيقة نحن وافقنا على هذا السعر المنخفض
 - ١٢ ألفا - ولكنهم كانوا كرماء مما قلنا عندما دعوا انا
 ما تزال حالية حديثة في أمريكا ، ولنا في أشد الحاجة لهذه
 الكنيسة . لهذا استطعنا في اللحظة الأخيرة أن نربها بثلاثين
 ألف دولار فقط . . انا استطعنا أن نسمع هذا المبلغ من التبرعات التي
 قدمها المصريون المهاجرون هنا في جرسى سيتي وفي نيويورك . .
 وعندما يقول المصريون هنا فاني أقصد المسيحيين والمسلمين . .

فلقد تبرع لشراء الكتبة عدد كبير أيضا من الأخوة المصريين المسلمين هناك في جرسى سينى . ولم تكن التبرعات تقصر على النقود فقط . . . وإنما استندت إلى التبرعات العينية أيضا . . . إن إحدى السيدات الأمريكيات مثلا تبرعت بخاتم من المسك كانت تحتفظ به كهدية من زوجها

« . . . ذلك إذا كنت ناصور أن الثلاثين ألف دولار هي مبلغ ضخم بالنسبة لمثل هذه شعرا إلى أمريكا . . . فمن الضروري أن تعرف أن عبدنا محمدا أيضا . . . فحسب آخر أحمانيه رسمية حصلنا عليها من أداره الهجره ها . . . بعد أن عند المائلات المصرية إلى مفيى نيويورك وجرسى سينى وعمل في الكمام الماسى إلى غايه آلاف مائه . ولذا أصبحوا أن كل عائلة تتكون من ثلاثة أفراد فقط . المهاجرون ووجه وابن واحد لهما . على مسمى ذلك أنه يوجد هنا ٢٤ ألف مصرى . يعيشون في مدينى نيويورك وجرسى سينى وحدها » .

× × ×

والواقع إن المصريين في أمريكا أصبحوا يشكلون الآن واحدة من أسرع الجماعات نموا . . . رغم أنهم يعتبرون أنفسهم من أحدث الجيوش التي مهاجرت إلى أمريكا .

إن الدكتور ماهر كامل نفسه هو واحد من هؤلاء المصريين المهاجرين إلى أمريكا . والاستامة إلى ذلك مائه واحد من ثلاثة فقط في أمريكا كلها الذين حصلوا على الدكتوراه مرتين في الآداب والعلوم معا . إن الدكتوراه الأولى حصل عليها في علم نفس الطفل من جامعة ريسى برفا . والثانية حصل عليها من جامعة لوران بسوسرا .

إن آخر عمل شمله الدكتور ماهر هو رئيس قسم الفلسفة بكلية العلوم . لقد ظل كذلك إلى اليوم الذى سافر فيه إلى أمريكا منذ ١٢ سنة . لقد عمل أولا استاذًا مساعدا في جامعة جرسى سينى . . . وظل يترقى في مناصبه إلى أن أصبح الآن رئيسا لقواد الاحتمالية ورئيسا لقسم الاجتماع ومديرا لمعهد شئون الشرق الأوسط في الجامعة نفسها . معهد يلتحق به الحاصلون على الكاتوربوس على الأقل . . . لكن يتصلوا منه على الماجستير في شئون الشرق الأوسط .

ولأن الدكتور ماهر كامل يمثل نموذجًا مشرفًا من المهاجرين المصريين في أمريكا . . . ولأنه من طلبة أخرى رجل طمعى ، ثم له من ناحية نازة شغل احتمالى واسع بين المهاجرين المصريين . .

بعد دارن بيسى وبه مافشات كثيرة من أسباب التلحاح والمثقل بالنسبة للمهاجر المصري الحديث في أمريكا .
وعندما زلزل الدكتور ماهر مرة في غرضي التي ألهم بها في نيويورك سافته : ما هي احتمالات تطل المهاجر الذي يعمل فعلا في أمريكا ؟

وعال الدكتور ماهر : من الضروري ان تعلمين ان الله يوجد في أمريكا عمال عاطلون يريد منهم من خبة مائتين . ولكن رغم ذلك فاني هذا المبدأ لا قيمة له في دولة يريد صفحتها عن مائتي مليون . ثم انه بعد ذلك بعد مثل كلو السن والمصابين بأمراض نسيبة أو عصبية أو الحمى على الخمر والمخدرات . . كما يشمل السيدات اللاتي يوفن من العمل بسبب الحمل أو اللغة الأولى من الأمومة . وبمجاندا ذلك فاني كل شخص في أمريكا - وحلا كان أو امرأة - له دخل خاص . . ويشترو عضوا فعلا متجبا وليس عالة على المجتمع الأمريكي . فلذا لمطل من العمل لأي سبب أصبحت مسؤولية المجتمع أن يعق عليه الحد الأدنى اللازم للحياة من طريق التأمين الإجتماعي . أيضا القول هذا كله لاني أريد أن يكون الشخص المهاجر على استعداد سيكولوجي لمواجهة أية مصائب تطرأ على حياته بعد هجرته .

قلت الدكتور ماهر : هل الشهادات تكتل عملا عاما في خلق الإحساس بالأمن لدى المهاجر القادم إلى هنا ؟

ولكنه أجاب بسرعة : أن شهادة الكالوربوس أو الباتنس مثلا لا تزيد قيمتها بالنسبة للمجتمع الأمريكي من شهادة الإعدادية . ومهما كانت سن الشخص أو خبرته فانه هنا يجب أن يواصل الدراسة في التعليم . ولكن من مرة كالوربوس يحتاج إلى المراد تزيد منهم من السنين . . ويؤخذون جميع الواجبات والتقارير والإحصاءات جنبا إلى جنب ونفس العمل الذي يتبع مطالب أو طائفة في التفرير مثلا . لهذا يجب ألا يضر المهاجر إذا ان الباتنس أو الكالوربوس هو آخر المطاف بالنسبة له . . بل انني اذهب إلى أبعد من هذا . فهناك أعمال وتخصصات يستطيع أن يلقى صاحبها متاعا أسرع من غيره . ولهذا ينبغي أن يكون الشخص المهاجر على استعداد لتغيير تخصصه وأن يعمل في ميادين أخرى غير ما يحب أو سوي . . وأن يكون على استعداد لتعلم ما يستلزمه الأعمال الحديثة من خبرات . عتقد العالما مثلا . . فلذا يستطيع أن يعمل إذا طرأ إليه على أنه رجل تخصص في القانون المصري . سواء القانون المدني أو التجاري . . الخ ؟ أن

القانون هنا يختلف من العر، وظام المحاكم مختلف ، والفئة المستخلصة مختلفة . لابد ان على مثل هذا الشخص المحكي ان يكون مستملا قبل هجرته الى تغيير جنسيته واتجاه تفكيره وعمله . انه يستطيع مثلا ان يدرس علم المكتبات والحصول على الماجستير في المكتبات مع التخصص القانوني ، او يستطيع دراسة التصدير والاستيراد الدولي والقوانين الخاصة به والاحكامات الجمركية والربطة بهذه العمليات . او يستطيع اذا سمحت الظروف وامر على ان يظل محليا - ان يدرس اربع سنوات ليخرج كمحام فيريش ، لان كلية القانون ها تدرس لغتي سواب وليست اربعا كما في مصر . وكذلك يمكنه ايضا ان يدرس في سلوب على العمل السولواشركات المستلفة وسى انطلاقا يكون اصون . وهكذا توجد مبادئ كثيرة بعد من خبرة المصلي الفنية كأعمال السياحة أو الأعمال الفنية أو التصوير أو دراسة المصون الانكروبية والتخصص في أعداد المناهج الخاصة بها لشركات المستلفة .

قلت لقد تكرر ما هو : هذا من خروج الخلق ، لا سيما لا يستمر في الأمثلة ؟ لهذا لا تتحدث مثلا عن خروج كلية الزراعة ؟

قال الرجل إذا نظرنا إلى خريج كلية الزراعة . . . فيجب أن يعرف مقدما أن الزراعة في أمريكا لها ملامح خاصة تختلف كثيرا عما على مستوى الاقتصاد ، موجوده في وسط أمريكا . أما الولايات الثرية مثل نيويورك أو نيو جيرسي مثلا فلها - رغم البساطة - نهج أسسها بالصناعة ، ولهذا البحث كليات الزراعة فيها التي تخصص في التجهيزات المصنوية . وهذا يصبح خريج الزراعة رجلا كيميائيا يستطيع العمل في مصانع الأتوية ومعامل المبيدات الحشرية والنواحي المختلفة من الإنتاج الصناعي الزراعي مثل النجيل أو آتاج الشعر الصناعي أو الأقمشة الاصطناعية أو البلاستيك بمصانعها المتعددة أو في معامل أبحاث الصناعات المختلفة . . . الخ .

لم يلاحظ الدكتور ماهر كامل ان هناك بعض الدراسات التي لا توجد في الجامعات المصرية . . سيما خريجوها يحصلون على فرص ضئيلة بمرافق كبيرة . من هذه الدراسات مثلا دراسة علم الفئادق . . وهي دراسة ضخمة مالية يقبل فيها الطلاب من امريكا . بعد حصوله على البكالوريوس - ويتخصص فيها الماجستير او الدكتوراه . ومن القيد ان خريجي هذا التخصص ان بعد عددا من السنوات الاحصائية الحديثة وعلم الاجتماع والملاقات الانسانية . مع الامام بادوية الاعمال والاقتصاد .

ويقول الدكتور ماهر : انه يوجد في أمريكا مهاجرة مصرية واحدة استطاعت الحصول على الماجستير في الصادق وهي تعمل الآن نائبة المدير العام لأحد المنداق الأمريكية الكبرى (على فكرة والد هذه الفتاة المصرية الناجحة يعمل حاليا استاذًا بكلية طب جامعة القاهرة) .

ومن الذين يواحدون صعوبات بعد هجرتهم - كما يلاحظ الدكتور ماهر - خريجو العلوم الطبيعية .. وهذه الصعوبة قائمة حتى بالنسبة للأمريكيين أنفسهم . أما خريجو الهندسة فيجبرون إذا كانوا متخصصين في الكهرباء والميكانيكا .. يساء يواحدون الصعوبات في اللغة إذا كانوا متخصصين في البحارة .. لأن هندسة السفن في أمريكا متصلة إلى حد كبير جدًا منها في مصر .

× × ×

وقد سميت بهذا كلمان قول أن الدكتور ماهر كامل هو الواقع أكثر من مجرد عميد معهد شئون الشرق الأوسط بجامعة حرجي سبي . انه « عميد » أكثر من عميد . عمدة المصريين المهاجرين المقيمين في جرجي سيتي . انه يعيش هناك مع ولده و زوجته التي تعمل استاذة لعلم النفس بجامعة نيوارك . أن واحدًا من ولديه - د. دوف - مازال طالبًا في كلية طب جامعة كورنيل . وقبل أن يصل دوف إلى سنته السابعة - التي يدرس فيها حاليًا - كان أول دفعته في البكالوريوس العلوم .. ومع ذلك فإن هذا لم يمنعه من أن يمارس هوايته المفضلة .. السباح بجم . في هذه الكلية مثل دوف أمريكا ضمن فريقها في بطولة العالم ... واستطاع أن يفوز بالمركز الثاني في تلك البطولة العالمية . أما الابن الآخر للدكتور فقد تخرج من سنين في كلية طب كورنيل أيضًا ، ثم حصل على البكالوريوس في العلوم العسكرية بالامتياز إلى شهادته الطبية .

× × ×

والدكتور ماهر فيس هو المصري الوحيد البارز في الجامعات الأمريكية . في الواقع أن هناك عشرات غيره من المصريين الذين أصبحوا يشعرون بجمعة طيبة داخل الجامعات الأمريكية . عشرات قابلتهم ، عشرات سمعت منهم .

من الذين سمعت منهم مثلاً .. الدكتور محمد التوكيل ، وهم بضروبه من أئمة الإسكندرية الجامعيين الذين تخصصوا في استخدمات الطامة القلبية . وفي معظم المؤتمرات التي تعمرى

بحث استخدامات الطاقة الكهربائية .. صوف يرى كتب الدكتور
الوكيل وآراءه معصفوا دائما يرجع اليه العلماء من حبيات متفدده
وهذا ايضا المهندس المولاهم خليفة الذي يعمل الآن بانسا
لوريس مجلس ادارته شركة مبلين دولش وهي اكبر الشركات
المنتجة لمعدات مصانع الاسمنت والكيماويات .. والمهندس محمود
الطاهري الذي يعمل مديرا لشركة اخرى من اكبر شركات تكييف
الهواء ، والدكتور مصطفى المجيزي - واحد من ابرز خبراء
بحوث المصلي في شركة آي . بي . إم . للمحول الالكترونية ،
والدكتور هادي محروس الذي يعمل حاليا رئيسا لقسم
الهندسة الكهربائية في معهد « برات » . من اكبر المصاحف
الهندسية في شرق امريكا .

ولو عدنا الى اسئلة الجامعات لمن البلاد - كما سبق ان
اشرت - ان نجد جامعة امريكية صير استاذ عربي .. او مصري
بالذات . هناك مثلا الدكتور عزيز سوريال عطيه الذي مدير الان
معهد دراسات الشرق الاوسط بجامعة « يوتا » ان الطلبة -
بعد ان يتر الدكتور عزيز عدة كتب عامة باللغة الانجليزية -
قررت ان يطلق اسمه على مكتبتها الفضية فاصبحت تسمى
الآن « مكتبة عزيز عطيه » . وهناك ايضا الدكتور سامي بولس
رئيس قسم التربية بجامعة نيويورك الحكومية في « يو بولز »
بولاية نيويورك . والدكتور عصمت الطاهر في - من ابرز اساتذة
جامعة سبرينجفيلد .. والدكتور خالد كمال الدين الاستاذ
بجامعة اوكلاهوما .. والدكتور جيلس ميري الاستاذ بجامعة
ميسسيسيبي في اوهايو . والدكتور سكا جيني الاستاذ بكلية
حقوق جامعة كولومبيا الذي احدثه الجامعة دوحه الدكتوراه
التفخيرية بعد ان حقق بطلان كبرا هناك .

وهناك .. وهناك .. اسماء كثيرة لامعة من المصريين الذين
لموا هناك رغم الصعوبات الكثيرة او القليلة التي واجهها كل
مهم في النهاية .

ولو حسبنا مدى العائنة التي تعود طينا من وجود استاذ
مصري في جامعة احية - مجرد وجوده - صوف نجد انها
اكبر كنزا مما نتوقع . فمن من غير ان يتكلم هنا المصري المنقف
في السياسة .. ويقولون ان يضع نفسه وثمه في موقف الدفاع
.. لان مجرد وجوده .. مجرد ثقافته .. مجرد بروزه علميا
.. هو الحسن اعلان منحرك عن حضارة الشعب الذي يسمى اليه
فلي استطيع ان اضرب على ذلك عشرات من الامثلة للاسئلة

المصريين الذين قاطعهم في أمريكا . ولكنى سوف اختار لمصالح
قليلة أقدمها كمجرد اختيار شخصي .

فلو بلغت - مثلا - الدكتور وجاتي للألاخ - ذلك الاستدلال
المصري البارد في الاقتصاد بجامعة كولورادو فسوف أقول فوراً:
إن وجاتي ذهب إلى أمريكا كمجرد طالب يدرس الماكنتر منذ
عشرين سنة . وعندما لموفق وجاتي في الماجستير لمطته العلمية
صحة لدراسة الدكتوراه . . إلى أن حصل عليها في الاقتصاد من
جامعة وادجلور في يوجوس . ومنذ سنة ١٩٥٦ أصبح الدكتور
وجاتي استاذاً للاقتصاد في جامعة كولورادو . . ورئيساً لقسم
دراسات الشرق الأوسط وأوروبا بقسمي الجامعة . ولأول مرة
قرر الألاخ - بعد محمود كير - ادخال اللغة العربية كمادة
اختيارية يدرسها كل من يهدى دراسات جديدة عن الشرق
الأوسط وأوروبا .

وعندما بنيت ثمة لهم لغة السويس سنة ١٩٥٦ كان أول
بحث طمس بشر في أمريكا مصر وأهمية طرية في الموضوع . . هو
البحث الذي نشره الدكتور وجاتي في جريدة الشرق الأوسط
بجامعة كولورادو . وعندما أيضاً نشر أول بحث مماثل من البلد
المالي في الجريدة الاقتصادية التي تصدرها جامعة أوسكارني .
وبالإضافة إلى ذلك فإن آخر عمل كبير للألاخ هو الكتاب الذي
نشره له مركز دراسات الشرق الأوسط في جامعة شيكاغو . كتاب
عن اقتصاديات الكويت ، وإلى عليه في القسمة يوجيني بلاد
الوليس السابق لك القولي . ثم أصدر الألاخ كتاباً آخر عن
أهمية الشدول العربي بالنسبة لأقتصاديات الولايات المتحدة
ونشر في بريطانيا وأمريكا في وقت واحد . والألاخ الآن هو مؤسسة
علمية عربية في حد ذاته . . بعد أن فخرج على يديه في الجامعة
٩٥ طالباً عربياً من بينهم ثمانية مصريين . وفي السنة الماضية
وحدثنا بال لرحمة دارسين مصريين درجة الدكتوراه في الاقتصاد
على يديه .

وعندما تقبل الألاخ فسوف يقول لك على الفور إن في أمريكا
سبعة ملايين طالب بالجامعات والمعاهد العليا . أنهم يمثلون مدناً
أكبر من سكان الكويت ولبنان والأردن وليبيا مجتمعة ومع ذلك
فإن الإعلام العربي لا يحاول مطلقاً الوصول إليهم . أنهم -
الطلبة - هم الذين عملوا على إضاع شعبيهم بخطأ السياسة
الأمريكية في قشام . . ومع ذلك فإن جهة عربية واحدة لم تحاول

حتى الآن ان فهم علاقات فكرية لتشرح قضائنا لهم . لا شيء مطلقا . . سوى الجهود العروية . وحتى حينما نعمل كأفراد على شرح حقيقة الموقف في الشرق الأوسط لهم . . فليس لا بعد المساعدة الكافية من لجهة الاعلام العربية . . انى اذكر ما حدث لى مرة فى سنة ١٩٦٨ ، عندما قرأت عمالا معاديا للحرب فى الجريدة التى تصدرها الجامعة ظمراعا ثلاثون الف طالب . . وعندما اتصلت برئيس التحرير لاشرح له مدى انجيز القتل الى جانب اسرائيل ، قال لى انا بنلقى يوميا ثلاث شرائح على الاقل من منظمات صهيونية معطلة تشرح لى وجهة نظر اسرائيل فى قضية الشرق الأوسط ، يسعا لايتلقى اى شيء على الإطلاق يمثل وجهة النظر العربية .

ومعد هذا الحد - يقول الملاح - حصلت بمدير مكتب الجامعة العربية فى نيويورك مكافأة طرطة من كورادو . ورجوت المدير ان يرسل مطبوعاته وشرائه الى جريدة « الكويادو ديلى » . . التى تصدرها جامعة كورادو . ولكن السيد مدير مكتب الاعلام قال ان على الجريدة ان ترسل الى المكتب طلبا رسميا بذلك معطدة فيه ما نطلبه بالتفصيل . والا فان المكتب لى يرسل اليها شرائحه . كما لو كانت تلك شرائح سرية لا تصغر لتتورع العام ا وقد شجرت ونها بالاسف الشديد اثل هذا الاسلوب غير الاعلامى فى العمل الاعلامى . انه يتصور العمل الاعلامى عملا مكتبيا كل مهمة كتابة ملخص لافعال الصحف . اسلوب لا يحاول مطلقا الاتصال والتحول الى المنظمات القوية فى الراى العام الأمريكى . . لى هذا مع السبعة ملايين طالب فقط . . وانما مع الـ ٢٢ مليون اسود فى امريكا . ان هذا يحدث . . بالرغم من أن السود والكلية يمثلان قوتين عظميتين ومنتملفتين معنا داخل المجتمع الأمريكى .

xxx

والواقع أن هذه الكلمات التى سمعتها من الدكتور رحلى الملاح هى نفسها التى سمعتها من كل منظم المتفهمين المصريين المهاجرين فى أمريكا . . وخصوصا اسئلة الجامعات منهم . . وقد كان من الامور المؤسفة مثلا أن لرى عددا كبيرا من ابرز الاساتذة المصريين فى الجامعات المصرية يدخلون مكتب الجامعة العربية فى نيويورك لأول مرة عندما دعاهم ابراهيم شكر الله . . مدير المكتب - الى أكثر من اجتماع لسماع وجهة نظرهم . لقد فوجئت -

ومعنى ابراهيم نفسه .. بأنها اول مرة يتلقون فيها الدعوة من مسئول اعلامى عربى للاستماع اليهم ا ان واحدا من هؤلاء مثلا قال لى : اتنى احسنت لأول مرة برأى شخصيتى مع هذا المكتب عندما دخل مبنى الاح ابراهيم شكر الله فى ممانسة علمية من اليسار الجديد فى امريكا . هذه اول مرة احسنت فيها اتنى اتحدث مع جابر اعلام وليس مع موظف اعلام . حتى طمى يريد نتائج النجاح .. وليس موظفا بيروقراطيا يبحث عن امداد للفشل .. ان التكلم هنا هو الدكتور محمد المصراتى استاذ ادارة الاعمال فى جامعة سان جون بيوبورك . ان الدكتور المصراتى هو نفسه مودج آخر من مودج النجاح بين المهاجرين المصريين فى امريكا . لقد بدأ حياته فى الاسكندرية كمدرس للغة الانجليزية ثم عامور شرائب وجد ان لوك المراتب وسافر الى امريكا .. حصل على الماجستير ثم الدكتوراه فى ادارة الاعمال .. حيث عمل بعدها استادا مساعدا فى جامعة سان جون بدخل سوى يصل الى 18 الف دولار ، وله كتاب مثقال ثمرته العلمية على طلبة الماجستير فى ادارة الاعمال .

ومع كثرة اعمال المصراتى .. فانها لم تمنعه من تأسيس « البادى الأمريكى المصرى » فى مضمه بيوبورك . باد تأسس منذ اشهر قليلة فقط ، وبدأ بعائلة عضو وهدده لتقديم المساعدات الاجتماعية المحدودة لاي مهاجر مصرى جديد . ومن خيرة الدكتور المصراتى وشاغلته بين المهاجرين المصريين فانه يقول : « ان اول مشكلة تواجه المصرى المهاجر هنا هي اللغة . انه مكتشف بعد حضوره انه لم يفهم اللغة الانجليزية بما فيه الكفاية . وسبحة فذلك مكتشف ان عليه تقديم دراسته فيها باحدى طريقتين .. إما الالتحاق ببرامج خاص فى إحدى الجامعات لمدة سنة اشهر بتكاليف تصل الى مئاة دولار . طيبا هناك طريقة ثانية وهي الاعتماد على المدرسة العلمية .. انها طريقة اوفر .. ولكنها اطول زما .. » ومع ذلك فانه اعرف عددا كبيرا من المصريين الناجحين هنا وخصوصا فى مجالات الهندسة والطب والاقتصاد وادارة الاعمال والمحاسبة » .

× × ×

وفى مجال المحاسبة مكثفات تستطيع ان تجد عددا كبيرا من الشبان المصريين الذين تخرجوا حديثا قبل عمرهم بخمس

أو ست سنوات على أكثر تقدير . من هؤلاء مثلاً قاطنة في نيويورك شاباً مصرياً اسمه فاروق سلامة بشاى . إن فاروق بعد تخرجه من كلية المحاسبة بجناراه القاهرة - عمل محاسباً لشركة الطيران المصرية في القاهرة ، ثم مراجع حسابات في شركة القاهرة للملوحة . وعندما هاجر فاروق إلى أمريكا عند سنة ونصف سنة فقط كان عمره لا يتجاوز الثامنة والعشرين وكانت زوجته تعمل مأمورة ضرائب .. حيث تخرجت هي الأخرى من شعبة المحاسبة بمتخولة القاهرة .

وقبل أن يقوم فاروق بالهجرة فعلاً لمدة شهرين بدأ يعمل مع زوجته تجربة جديدة . لقد قال لها لماذا لا نحرب التحدث معاً في البيت باللغة الإنجليزية عند ساعة عودتنا من عملنا إلى صباح اليوم التالي ؟ لماذا لا بعد ذلك كتحربة لنطقها بكل دقة لاجادة مستواناً في اللغة قبل أن نهاجر فعلاً ؟

ولملا .. بعد الزواج بهذه التجربة ، بالإضافة إلى مراجعة ولشيط معاملتهما الدراسية .. والاتحاق برامج تعليمية جديدة في المحاسبة والتمويل .. إلى أن هجرا فعلاً إلى نيويورك . إن فاروق يعمل الآن مراجع حسابات بمكتب شركة آلاف دولار سنوياً في شركة « ويلفرك سبرغيس سينيم » وهي شركة للخدمات والنموذج . أما زوجته فهي الأخرى مراجعة حسابات في هيئة رقابية على مصانع خلاص السجلات .

وحلال مناقشتي مع فاروق في منزله بمرسى ميسى قال لي عدة ملاحظات منها مثلاً : « .. أنني اكتشفت عند حضوري إلى هنا أن ٧٥ ٪ من معلوماتي عن الحياة في أمريكا صحيحة والباقي خطأ » ..

« .. واكتشفت أيضاً أن على أن أقوم أنا بعمل عند من الجامعات الاجتماعية اللازمة لتحقيق نفس درجة الأمن التي كنت أتمتع بها في مصر . لأن على مثلاً أن أشرك في نظام التأمين الصحي - بالنسبة لي ولزوجتي وطفلي - مبلغ يصل إلى ثلاثين دولاراً في الشهر بخلاف التأمين الذي تقدمه شركتي بالنسبة للمعاملين بها . وبالإضافة إلى ذلك فقد علمت بوليفة تأمين بمئتين ألف دولار لصاحب أسرتي .. وهي تكفي خصصين دولاراً شهرياً .

« .. واكتشفت أيضاً أن فرصة قيادة السيارات التي كانت ممنوعة في مصر قد أزيلت مما أتاح لي فرصة القيادة

المولية الى عملتها من باقى السجلات بالهجرة . قد رجعت
رحمة فريدى الى القاهرة الى القصة الانجليزية واعلمنا من
الجمعية الأمريكية . . وهذه الرخصة استطعت ان ابعدي اجراء
الاخير القمى من القيد الذى تشترطه كل ولاية هنا . ان
الاختبار التجريدى ضرورى جدا كك شباك . ان الاختبار المثل
الرسوب فيه معناه ان الحق ما حدى مداول التلويح على
قيد السجلات هنا . باشتراك يصل الى مائة وخمسين دولارا

xxx

والواقع اننى لم اجد في نيويورك كلها شخصا « محافظا » في
قيدته للسفر اكثر من فروع هنا . ان معه الحق . . نظام
المور ها دقوى . . والشركات صلبة . فضلا يريد معدل
محافظاتك من نقطة ضيقة مسجون منك رخصة القيد هائلا
ولا يستطيع الحصول على رخصة حذرة الا اذا انتقلت الى ولاية
جديدة . ان هذا التشدد ضرورى لمنع تزايد معدل خسائر
السجلات هنا . معدل وصل الى ٥٠ مليون دولار في العام
الحالى فقط . رغم كل يكره لنا فروع كلها ركبا . امر ساهبا
وانا - في سجلاته الفولكس فاحن داهين الى حرسى سبى او
هالدين الى نيويورك او متجهين الى المكتب الترانستور لشركة
الطيران العربية .

في هذا المكتب - مكتب الطيران العربية - تستطيع ان تلقى
مستجيبة طقة : عبد العزيز عبد . . المدير التثبيط للمكتب
وسمجة فورة الوظيفة المصرية المؤقتة هناك . ان عبد العزيز
ليس مهاجرا ولكن سمجة هي مهاجرة بشكل ما .

ان سمجة - فتاة طويلة وشبيقة واسعة العينين تدرس
الفرح في نيويورك وتعمل مؤقتا كموظفة محلية في الطيران العربية
وتقيم مع اخها الشاب الاخرى - نادية - في شقة البحر الشرقى
من مانهاتن في نيويورك . شقة ايجارها مائتا دولار شهريا .
انهما اول فتاتين مصريين اراهما في أمريكا كمهاجرين . انهما
عملاؤنى رابى - بعد بلادة التى راسها في مونتريل مكندا - اول
نماذج للعناء المصرية التى تحتل الصدود وتهاجر وتعمل معتمده
على نصها . . انها فتاة نواحه الحياة هنا وحلها بكل ثقة . .
نكل جرة وامل في المستقبل . ان العنين الى الوطن والاهل
والاسرة موجود هناك في داخلها . . موجود باقوى مما هو موجود
في اى رجل . . ولكن التصميم على الحياة بشرف موجود ايضا

.. موجود بأكثر مما يتوقعه أي رجل ! إن نادى وسمبحة مملان
كموظفين ساطنين في نيويورك . نادى موظفة في الوعد الكويشي
بالأم المتحدة وسمبحة موظفة في الطيران العربية . إن نادى
أسبق من سمبحة في السفر إلى أمريكا . أنها أسبق أكثر خبرة
أقدر احتمالاً وأكثر معرفة . أنها مصرية في قلب نيويورك ..
من شعر الرأس حتى أخمص القدم . تلك لائلك في النهاية سوى
أن تحترسها وتغمرها وتحمي لها التحاح !

xxx

إن التحاح له سمعة .. مثلما لكل شيء آخر سمعة . ولقد
سمعت ههنا أولاً من حلق لي يعيش في نيويورك . صديق
مصري .. فإن .. فإن ذات السمعة .

إن جمال الزقبي .. هذا هو اسمه - هو مجرد كاتب مصري
درس المظرة بجامعة القاهرة وخرج منذ ١٢ سنة وعمل مصيلاً
بهندسة جامعة الاسكندرية . ولكن سمعت عنه أولاً - فرأت
عنه أولاً - في الصحف والمجلات الأمريكية . فرأت عنه في مجلة
« ميموايزل » ومجلة « أميركل هوم » فرأت عنه دائماً باعتباره
الفنان « .. الشاب المصري الناجح الذي يمتلك أفكاراً جديدة
ومتنوعة في فن المظرة .. والذي يبحث عن حلول لدية لمشكلة
الإنسان المعاصر الذي يعيش في مدينة مزدحمة ضيقة تنويدها

هل جمال هو كل هذا ؟ نعم . هو هذا - وأكثر . لقد ذهب
إلى أمريكا في البداية لدراسة الماجستير في المظرة وعندما وصل
إلى مطر واشنطن في تلك الليلة .. ليلة مصرع كينيدي - طس
مع حباته في المطار ليلة كاملة مفر ملهم واحد في جيبه .. من
هناك بدأ عدد من زملائه المصريين بإعتماده فحصلوا دروس في
أن أريد بولاية ميشيغان ساعده الدكتور فتحي الديب - الذي
كان - وقتها رئيساً لقنصل العربى في آن أريد - وقدم له مسكنه
بعدها ساعده أيضاً الدكتور صلاح عبد العزيز .. و .. و ..
لهم أن جمال حصل بعد حين على الماجستير بدرجة الامتياز
هنا بالضغط بقول جمال : « أتى في الواقع ثم أحسن بالامتحان أو
التقدير أو الوعد لاسألنى في القاهرة .. ألا بعد أن درست هنا
في أمريكا . لقد كنت أحس أن كل كنوف أحققه . إنما يرجع
الفضل فيه أولاً للصنوى الذي طمنا به أسألنا في جامعة
القاهرة .

وبعد الماجستير تزوج جمال بالمركية وحصل على اقامة دائمة ، وبدأ يعمل كمصمم مصغرى بكتيب المصانف المصغرى « ماكس ايرمان » بمرتب مواتع .. وهو ١٢٥ دولارا في الاسبوع وحملها مع جمال في اول تصميم له لمدرسة ثانوية بمدينة نيويورك لرفع مرتبه الى ١٦٠ دولارا في الاسبوع ، ثم الى مائتي دولار قبل ان يمر عليه سنة .. ومائتين وخمسين دولارا قبل ان يمر سن .. وحينما اصبح جمال في عمه الثالث - رئيس قسم التصميم بكتيب نظم استمالته . لقد عرض عليه صاحب الكتيب دفع مرتبه الى خصمته دولارا في الاسبوع ولكنه اعتذر . انه يقول « .. اعتبرت لاني اردت نصي المربة من رواجي ومن عملي .. حيث وجفت نفسي مشتا بين الطرفين .. لقد اعتبرت رغم ان صاحب الكتيب دفعه - ماكس ايرمان - كان كرما جدا علي وحققوا عملي .. فن ماكس هو الان رئيس الجمعية الهندسين المصغرين الامريكية .. وخلال عملي معه حصلت على سبعين ليرة التعليم بنويورك فارت احداها بهاترة احسن ملونة من حيث التخطيط .. وفازت الاخرى بهاترة احسن مبي غرساني .. وصممت ايضا مكتبة لجامعة باجرا ومشروعين اسكانيين لمدينة نيويورك وسان فرانسيسكو .. بالاضافة الى عدد من المشروعات الاخرى . لقد تركت هذا كله لاعمل مدرسا في كلية العمدة بمدينة نيويورك .. نيويورك سيتي كوليدج - حيث اعطاني ١٥ ساعة تدريس والثاني وصناخصه كنه للعمل وادارة مكتبي الخاص الرسوم المصرية . وفي خلال تلك الفترة اختارني له من رؤساء تحرير مؤسسة لايف وليم الامريكية لعمل رسومات لاحد بناء مدنة بلل . مهمة كان اجري فيها هو ٣٦٠٠ دولار . بهذا الملح قروا ان اميد تصميم لسفتي ومكتبي الخاص حسب ظروفي التي اؤمن بها في الصلوة . هذه هي الثقة التي قرات بها انت في المجلات والصحف الامريكية .. بعدها وقع على الاختيار لتصميم مكتب شركة استثمار في وال ستريت كمشروع يتكلف مئتيون دولار .. ثم مشروع آخر لجامعة نيويورك .. ومطعم مصري في بروودواي لم المرمي المصري الذي اقامته مدينة نيويورك واختاروني للاشتراك فيه مع ١٨ قنا حصاريا اخر . فني الان اعطى في التدريس بمعهد برات في بروكلين بنيويورك - وهو احد خمسة معاهد مشهورة في الهندسة المصرية بالمركا .. كما اتني اقوم بتدريس الماحتر

في الممطرة لثلاثة عشر طالبا اجنبيا من تايلاند والصين والهند
وغانا ومصر .

ان الشخص الذي يقول هذه الكلمات هو مجرد سار مصري
شاب في الخامسة والثلاثين من عمره . لكن ايراده من التفرس
هو عشرة آلاف دولار في السنة ، ولكن ايراده من عمله العائلي
وصل في الدم الماسي وحده الى مئتي ألف دولار . . . بالاضافة
الى المنزل الذي اشتراه بسبعين ألف دولار في غرب شارع ٨٧
بمدينة نيويورك . منزل يذخره جمال ويحصل منه على ٥٥٠
دولارا شهريا ويؤتي بيعة بعد اعدله بنصف مليون دولار .

ول كل مرة كتب اذهب الى جمال لاري شبعته الخاصة في
ذلك المنزل . . . كنت اريد ان اكتشف فيها السر الذي جعلها
ميرة الصحف والمجلات الامريكية . كنت ازل من غرضي بجمعية
النسبان المسيحيين في شارع ١٧ واقول لالكي : لو سمعت . .
أريد ان اذهب الى ٢١٢ غرب شارع ٨٧ وبلا كلمة واحدة من
سائق التاكسي - ولا حتى مرة راسي - كان السائق يغني الى
منزل جمال .

ان مديني جمال هو علو لي . . لكن الحدث من ديسا
كلمة . . ديسا اخرى تعيش داخله وحوله . .

من اللحظة الاولى التي تزور فيها جمال بشقته . . في ذلك
الحرم الهندي من غرب شارع ٨٧ - فانك تعيش غورا انك تترك
الديسا التي امتدح خطك . . ودخلت ديسا اخرى محتلة لعلها
لقد تركت نيويورك . . برحلتها ونسجتها وموضاتها واختلافاتها
- ودخلت ديسا اخرى - وما زالت موجودة في نيويورك ايضا .
انها ليست مجرد شقة عادية . . تلك التي سكن فيها مديني
جمال . ان النور الصلبي فيها هو فقط باب النعمة العائلي .
انه باب . . مثل اي باب . ولكن عند هذا الباب ان تحد والتقى
اي بابا آخر . لا ابواب . . لا حوائط . . لا موانئ . . لا حائل
.. لا ستائر . . لا شيء مطلقا سوى مساحة مضيوجة . لقد انشأ
جمال كل المحبرات داخل الشقة ، فنحوت الشقة كلها الى
مجرد حجرة كبيرة واسعة . في داخل هذه الحجرة الواسعة ان
تعد سوى لوبيين اثنين فقط . . الابيض والرمادي . . ان اللون
الثالث داخل الشقة سوف يكون شرك ! ان فكرة مديني
جمال في هذه الشقة ملاقات هي نفسها كما تشرتها له مجلة
» تايم « الامريكية . . ان كل شخص يحتاج الى دكن يشمل فيه

.. في هذا الركن يستطيع أن يفكر .. يتأمل .. يحلم .. ويستعد قليلا من زحام الحياة .

هذه هي فكرة جمال في شقته . أنه يرى أن : .. المهندس المصممي .. يجب أن يؤمن بأن كل انسان يحتاج الى مثل هذا المكان ، لمسا من حاجته الى الطعام والتراب .

ولأن جمال غائب يردد هو الآخر مكانا يتأمل فيه .. فقد بنا بنصه . قد بنا بتحويل شقه هذه الى مكان بمنزل فيه من الطبيعة ، من الدنيا ، من الزحام والاضجيج الذي يطاردك في كل ركن من بيوتك . قد امسك مطبخ كبير من العشب وبنا مصنع ديكور الصديق لهذه الشقة .

ولكن تكون مكانا فإن الشقة ليس فيها أي ديكور على الإطلاق .. انها مجرد مكان واسع .. بمنصة عالية في الطابق الايمن .. ومنصة منخفضة في الطابق الاسفل .. وركن في اليسار .. ومساحة بيضاء في الشمال . إن القصة المالية هي - بالنسبة له - حجرة الرسم . المنصة المنخفضة هي حجرة الاستقبال . الركن هو السرير . للمساحة البيضاء هي بمثابة شاشة لمسرحي الافلام .. بعد هذه المساحة - لا شيء إلا شيء أكثر من مكان خلف الشقة .. هو بمثابة مطبخ ، ومكان أخير هو بمثابة التواليت هو الآخر مفتوح . لا حائط هناك . ولا باب ... ولا شيء على الإطلاق يمزك من باقي الذين يطسبون في الشقة .. لا شيء لا حوائج .. ولا اثاث . إن الشقة كلها ليس فيها قطعة اثاث واحدة .. هذا هو تفكير جمال .. انه يرى أن : .. الانسان هو الذي يتحرك .. أما الاثاث فيجب أن يكون ثابتا ..

هذه هي الشقة التي يعيش فيها صديقي جمال .. هذه ديماء .. هذه ميالته .. لقد اختفت الحوائج من هذه الشقة .. متلها الخفت من حياة جمال نفسه .. إن جمال ليس لديه حياة خاصة به . إن مايطغى بضمي كل انسان آخر . هكذا يريد هو أن يعيش . إن الصداقة بالنسبة له ليست مجرد صداقة . انها تحالف عسكري .. انها اتحاد فيدالي .. اتحاد مفتوح .. تستطيع أن تخطه متى تشاء .. وتخرج منه متى تشاء .. إلا تركت جمال .. فتستطيع أن تعود بعد سنة لتجد أن صفاته لك مازالت موجودة هناك .. موجودة عنده نفس النقطة التي تركته فيها بالقيبط .

لهذا السبب فأنى كنت أكشف كل يوم لأجمال أهم من شقته
الفرجة . أنه أهم ما فيها . أنه أهمى دائما في كل مرة ألعب
الى هناك : عريى الكتفين .. قوى البنية .. طويل الشعر
.. مسطيل الوجه .. خفيف القنصاء .. ضيق اللامع ..
بفتحتين واسعتين حساستين .. وعينين تشبهان لقيين واسعتين
معروفين في بطنية من الصوف !

انه أهمى دائما في كل مرة .. بيده المبدودة .. وضيقته
الميزة .. وكلماته التكرره .. « أهلا ابو حنى » .. « يا أختنا
النهارة جنسك ضحك » ..

نعم سوف تلمحك البنية كثيرا .. ربما لم أجلس الى جمال
الا لى الصبح .. هذه هي الصلة الصلبة في بيورك . ان
الناس ايام طوال النهار عاملون عطفون جاذون متمون يتحركون
بسرعه ويرتلحون في هدوء ويتسمنون في طه .. أما جمال فانه
السن آخر غير هؤلاء الذين كسبوا لهم طوال اليوم .. انه ليس فلف
المساقا آخر .. وأما هو جنس آخر على كوكباخر ليلنا . لهذا
كنت أشر ان زيارة جمال هي التود الذى ينسني نعب اليوم
كله . ان ديداء مختلفة من ديدلى .. مختلفة كثيرا . انى اموت
في بيورك كل يوم مائة مرة .. ولكن جمال كان يعيش في كل
يوم الف مرة !.. انه يدرس ويصل ويعيش ويحب . ان الحب
بالسبة لجمال هو الصداقة .. هو كفى . هو الزحام الذى
يحنه الناس دائما في شقته كل يوم خميس . ان شقة جمال
كانت هي المكان الوحيد في بيورك ألعب اليه بقميص مفتوح
وحذاء يلعب . اننى في الصباح ألعب الى الامم المتحدية يوما
بخطا يلعب - ضرورى ولكن ليس بقميص مفتوح . ان القميص
يظل مفتوحا الى مسافة عشرة امتار فلف من مبنى الامم المتحدة
بعد هذه الامار البشرة لابد ان المخرج « الكرافة » من جيبي
ولربطها في عنقى .. من هذه القفلة فمكنا .. سوف نسير ،
والكلم ، وانافى بأصغلى رجل محسكوم عليه بالاعمام . ان
الكرافة في رجلي كطينى دائما هذا التمشيد . ولان شقة جمال
هي المكان الوحيد في بيورك الذى ألعب اليه بلبى كرافة ..
فأنى املها بشعور شمسى ابقى سراحه حالا . شمسى سرور
من حبل ككشقة منذ دقيقة . ان القميص مفتوح . ولكن القمام
يلعب في هذا ضرورى لى لا أفسد المسحاج كل شوه يلعب
داخل الشقة ..

وفي كل مرة تدخل فيها شقة جمال مساء كل خميس .. فالتى
كنت دائما اجد فيها هذا القرحام : اناسا من كل لون وحسب
وجنس .. ناسا طولا وقصيرا وبين بين .. بنات ونسبانا
وعواجز .. اثم جميعا مختلفون في لواتهم ٤٠ لى ملابسهم ..
لى امزجهم .. ولكم جميعا شاتون ١ اثم جميعا يحبون الفن
.. او يتعانون الفن .. او يرون ان يمشوا حياتهم بفن !
اثم جميعا امسكوا يعلمون ان بابا شقة مفتوح دائما كىوم خميس
.. لى يوم الخميس يتنزل جمال من شقته ، من دنيا تصبح
شقة مفتوحة ودنيا مفتوحة . ان كى شخص يستطيع ان يحضر
مع كى شخص . وكل شخص يستطيع ان يفعل كى شىء دون ان
يقتضى اليك احد . انك تجلس او تقف او تنام او تمشى
او .. حتى تبنى .. او تشاهد الافلام السينمائية ، او تتناول
عشاء ، او تشرب كاسك او تسمع موسيقى .. دون ان يزجرك
احد .. انك تستطيع ان تفتح كى منافذة وتقيم نفسك فى كى
منافذة .. دون ان يترجع احد !

انها نماذج غريبة من الناس .. تلك التى كنت اجدنا دائما فى
شقة جمال كل يوم خميس .. ان معظمهم دخل هذه الشقة الآن
دون ان يعرف الآخر . ولكم جميعا .. بعد خمس دقائق فقط ..
اصبحوا امسكوا جميعا .. يستطيعون ان نفس ذلك من نوع
الانسان الضحك ، النكات ، القهقهات ، الاسئلة .

مرة تسالنى فتاة من المرحلات : هل لى لو سمحت .. كيف
تنظرون الى العسرى فى بلادكم .. فى مصر ؟ واحترت بماذا ارد .
لهذا قلت لها .. انت يا عزيزى عرفت سميرة على هذا السؤال
.. وانا ملرت مصيرا على الاحابة اقترح .. لافراس مملبة ان
سبا بما هو متواضع مثلا . فشرحت لى عطييا وجهة النظر
الامريكية فى الموضوع ١

وقبل ان انه كلامى جنسى من لرامى رجل آخر - ٧ اهرقه
بعد - وفل لى ' هل احضرت صديقك معك الليلة ؟

وقلت له : لا .. هل احضرت قمت زوجك ؟

.. لا ..

وترددت لعله لم قلت له : هل تستطيع ان التفرغ منك
فلم حبر ؟

اجاب الرجل : بكل تأكيد ..

قلت : وورقة صغيرة ؟

اجاب : طبعاً ..

قلت : شكرًا .. هل اجد منك طابع بريد ؟

.. يجوز ..

.. هل تطبني عنوان منزلك ؟

طبعاً .. ولكن .. ماذا ؟

.. سأكتب خطاباً الى زوجتك مصرحاً فيه بمواقفي نحوها ..

ومسك الرجل من الكتبة - طبعاً هي كتبة ا - ثم قال لي
بلهجة جادة ..

- انت لا تعلم يا صديقي .. ان زوجتي تسمى .. ل الواقع
انها قامت لي الليلة اتى نموذج الزوج المثالي ! قلت مستنكراً ..
نموذج ؟ للزوج المثالي ؟ هل انت متأكد انها قالت لك ذلك ؟
اجاب الرجل بدهشة .. نعم ..

قلت له .. هل انت تعرف معنى كلمة «نموذج» هذه في القاموس؟
لا ..

- ها .. ان « نموذج » معناها اموياً شيء مثالي .. تفهيم
صغير .. شيء أصلي حقيقي كبير ! ايضاً من امسك الآن #
وعندما تركت هذا الرجل مع ضحكاته - ما رأت لا امرئه -
التفت بحري سيدة متوسطة العمر وهي تسألني - تصور لي جوني
يسألني هي تاريخ ميلادي ؟ هل هذا .. يمكنك - سؤال بوجهه
رجل الى امرأة ؟ وفلت لها لا بأس ... الاكبرى له القرد الذي
ولفت فيه ا

هكذا كانت تستمر ضحكاتها كل ليلة .. اننا لم نكر صرف بعضنا
قبل حسن دقاتي .. ولكننا الآن يبدو كما لو كنا لصدقاء متدحس
سواء الجميع يضحكون في يراعة ... جناقشون .. يتكلمون
في بساطة ..

ان جمال يحب البساطة في دنياه هذه .. انها تنطح البساطة على
كل من يدخل هذه الدنيا ان حياته مثل دميء - مثل شقة - هي
مزيج من البساطة .. والخطوط المستقيمة .. والمساحات الواسعة ..
والألوان القليلة .. ان شخصية جمال هي مزيج من تلك الألوان
القليلة .. ولكن البساطة هي شائضها .. ان خياله يطلق في السماء

.. بينما قلناه لثقان على الأرض .. لن قلبه يحبه دائما .. وعقله
 عمل أبدا .. انه مثالي في أرائه .. وواقفي في أفعاله .. ان احبني
 عينيه تنظر للجمال في السماء .. والعين الأخرى تبحث عن الجمال
 في السرى .. ان احبني يديه ترسم لوحة .. والأخرى تتحسس
 لوحة .. ان احبني يديه بارقة للغاية .. بينما عواطفه ساخنة جدا ..
 انه يحب في منزله كل شيء بسيط .. الديكور ، الاضواء ، والنسج ..
 انه في هذه الشقة يريد الجمال .. ولكنه يريد الراحة قبل الجمال ..
 .. الانسجام قبل الجمال .. ان الألوان عادية والضوء شاحب
 والخطوط مستقيمة والصوت خافت .. ان الابداع في تفكيره ايضا
 منسجمة : بطيء .. ثابت .. عمل متحفظ .. مسالم .. ان الاسرار
 هو أقوى صفاته والحب أقوى عواطفه والتفكير أكبر همومه والثقة
 اسبق طبعه والطموح أبرز دوافعه والبساطة أحسن آماله والمرأة
 قلبه أهدافه ..

ان المرأة تستطيع ان تحصل من جمال على أي شيء بعد الساعة
 السادسة مساء .. بعد ان يؤدي عمله جيدا .. انها تحصل منه على
 أي شيء .. وهو يعطيها كل شيء .. ما كانت تحصل معه الى السرى
 بعد خمس دقائق .. او بعد سنة ! لا شيء في هذا العالم يستطيع ان
 يمنع جمال من ذلك سوى عمل لئيمه .. او صديق بغيابه .. ومع
 ذلك فان جمال مستعد لالتسام كل شيء مع صديقه .. كل شيء ..
 ابتداء من طعامه وشقيقته حتى .. فتاته ! نعم .. انه يتسام معك
 لفتاته بنفس المنطق الذي يتسام به معك آخر كسرة خبز ! ان بعض
 الناس لا يوافق قطعا على ذلك .. يوافق على التسام كل شيء - كل
 شيء - حتى مع صديقه .. ولكن جمال يفعل ذلك .. انه يفصل
 - ويستطيع - لانه لا يهتم بالناس .. يهتم فقط بأصدقائه من بين
 الناس .. ان جمال في هذا - وفي أشياء أخرى كثيرة - مختلف من
 الناس ..

ان جمال هو آخر مهاجر رأيت في نيويورك قبل عودتي الى القاهرة
 .. في الواقع ان جمال هو واحد من ثلاثة اشخاص جعلوني أرى
 نيويورك بعض الوقت كشيء أكثر قليلا من وجود ناطحات السحاب ..
 ومبان عالية .. وشوارع مزدحمة .. ان الشخص الثاني لا يربطه
 بجمال سوى مجرد الاقتران .. فكلاهما يتسم دائما .. وكلاهما
 له النظرة الساخرة للحياة دائما .. لما بعد هذا السطر فالشخصان

يختلفان في كل شيء في العمل .. والنظرة إلى الحياة .. وأسلوب التفكير ..

إذا كان جمال بوعصبيا في حياته .. فإن الشخص الثاني هو العكس مطلقا .

إذا كان جمال تربطه بنويورك علاقة دائمة كهاجر .. فإن الثاني تربطه بها علاقة مؤقتة كضيف .. إذا كان جمال فنان يعمل مهنيا .. فالثاني فنان يعمل دبلوماسيا .. إذا كان الأول ينظر للحياة بالغضب .. فإن الثاني ينظر لها بسين واحدة .. فالعني الأخرى لأبنة حيث توجد زوجته الرقيقة للهدبة .

إن هذا الصديق الثاني اسمه : إبراهيم شكر الله . دبلوماسي مصري عمل في نيويورك مديرا مؤقتا لمكتب الجامعة العربية بها .. هذان هما أول شخصين أضافا إلى نيويورك في خيالي لحقة استلبته ولكن .. مازال هناك شخص ثالث أحببت نيويورك من خلاله . شخص - ربما قلت مني متذكرا في بعض صفحات هذا الكتاب - ولكن اسمه لن يظفت مني الآن ..

إلى هؤلاء أهدى كل الصفحات السابقة .. صفحات لها عنوان مصري : مصري .. بليون دولار .. ثم لها عنوان آخر غير مصري : الدلع المتن .. في شرح أحوال الساكنين .. من المصريين .. الذين يعيشون في بلاد الفرنج والأمريكيين ..

فهرس الكتاب

صفحة	مقدمة
٣
٧	الفصل الاول : بدأت حيدى فى سن الخمسين ...
	الفصل الثانى : العرب فى كندا
٢٧	الكويكر واللوات والتمسف نصف ...
	الفصل الثالث : نظرة على المجتمع الكندى
٤٣	يحدث فى كندا فقط
	الفصل الرابع : المصريون فى كندا :
٦١	امراة بعد منتصف الليل
٧٧	الفصل الخامس : صبي يقال بالدكتوراه
٩١	الفصل السادس : عروس لكل عشرة رجال
١١١	الفصل السابع : صباح الخير فى امريكا
	الفصل الثامن : نظرة على المجتمع الأمريكى
١٤١	مستر امريكا ! !
	الفصل التاسع : مع المصريين فى امريكا
١٧٧	العلم سكر .. مهاجر وفم الله ...
	الفصل العاشر : العرب فى امريكا
١٩٧	مليون مع وقف التنفيذ
	الفصل الحادى عشر : عودة الى المصريين فى امريكا ..
٢١٢	فنان بلا ايوب !

• • المصري يبحث عن العمامة

والسوري يبحث عن الشبيرة
واللبناني عن الشل - المصري متلف

والسوري محتال والليبي متعب •
المصري مطيع والسوري متعمر على

السلطة والليبي ثائر ضعفا •
المصري قسوع والسوري متعلم

واللبناني مجازف • المصري مؤلف
والسوري باعز الليبي

خادم والليبي • المصري محافظ غلبه
والسوري قسوع كبرا والليبي

معلم أبا • فكلون التسعة هي -
الليبي يحسن أحيانا ويحجب نظرا

والسوري مطيع أحيانا ويحجب كبرا
والليبي جيب • • • • •

• • • • • • • • • • •
في هذا الكتاب يبحث عن

بعد أن كان في هذا الكتاب

هذا هو المصري والسوري والليبي
يعتبرون في هذا وأمريكا •

• • • • • • • • • • •
والليبي في هذا وأمريكا •

والليبي في هذا وأمريكا •

والليبي في هذا وأمريكا •

والليبي في هذا وأمريكا •

والليبي في هذا وأمريكا •

والليبي في هذا وأمريكا •

والليبي في هذا وأمريكا •

والليبي في هذا وأمريكا •

والليبي في هذا وأمريكا •

والليبي في هذا وأمريكا •

والليبي في هذا وأمريكا •

والليبي في هذا وأمريكا •

والليبي في هذا وأمريكا •

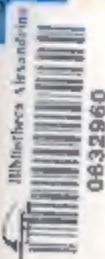
والليبي في هذا وأمريكا •

والليبي في هذا وأمريكا •

والليبي في هذا وأمريكا •



الليبي



الشمس ٢٥ قرش